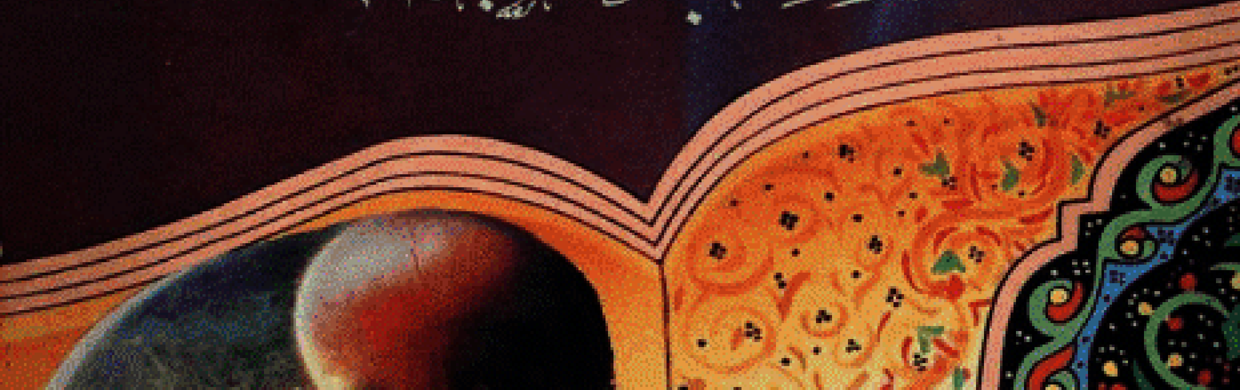
القرآن

والطب الحديث



تأليف

الدكتور صادق عبد الرضا علي

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

القرآن
والطب الحديث

القرآن والطب الحديث

تأليف

الدكتور صادق عبد الرضا علي

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار المؤرخ العربي

بيروت - ص.ب ١٢٤ / ٢٤ - تلكس ٤٠٥١٢ كمك - ت ٨٢٠٨٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى / أتباع سيّدنا الرسول الأعظم محمّد (صلّى الله عليه وآلـه). المؤمنــين بكتـاب الله وسنّـة رسـولـه وسـيرة الأئمّـة المعصومين(عليهم السلام).

إلى/ الذين يجدون في القرآن والسنّة المطهّرة بلسماً شافياً من الأمراض التي تعصف بمجتمعنا الإسلامي.

أُقدم

هذه

الصفحات

د. صادق عبد الرضا علي

المحتوى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الرسول الأمين، وعلى آله الهداة الميامين، الذين اجتباهم الله من خلقه، وجعلهم الدعاة إلى طاعته، ورحمته وبركاته.

مما يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت (عليهم السلام)، ويضطر المؤمن إلى الانقطاع إليهم، قول الرسول الكريم (صلّى الله عليه و آله) إذ أهاب في الجاهلين، وصرخ في الغافلين، فنادى: *«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»* (١)

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال *«ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فاني سائلكم عن اثنين: القرآن وعترتي»* (٢)

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر وزيد بن أرقم. ونقله عنهما المتقي الهندي في أول باب الاعتصام بالكتاب والسنة من كنز العمال ص٤٤ من جزءه الأول. وهو الحديث (٨٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني كما في أربعين الأربعين للنبهاني، وفي إحياء الميت للسيوطي.

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً: *«أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت اليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عزوجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»*. الحديث[1].

والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة. وقد صدع بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في مواقف له شتى، تارة يوم غدير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفة في حجة الوداع؛ و تارة بعد انصرافه من الطائف، و مرة على منبره في المدينة، وأُخرى في حجرته المباركة في مرضه، و الحجرة غاصة باصحابه، و قد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور.

وحسب أئمة العترة الطاهرة أن يكونوا عند الله و رسوله بمنزلة الكتاب، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. وكفى بذلك حجة تأخذ بالأعناق الى التعبد بمذهبهم، فإنّ المسلم لايرتضي بكتاب الله بدلاً، فكيف يبغي عن أعداله حولاً.

والأحاديث الشريفة واضحة المعنى و المقصد، فهي تطالب المسلمين بأنْ يتمسكوا بالقرآن و العترة نصاً و روحاً و اقتداءاً. وأن يجعلوهما منهجاً يدركون ويفهمون من خلاله جميع مستلزمات و متطلبات العصور المختلفة، لأنّ في ذلك خيرهم و سعادتهم و كرامتهم و عزتهم.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات علمية كثيرة، جاء البعض منها كحالة إعجازية و تحدٍ لبني البشر، كما جاء البعض الآخر بصيغة أمثال علمية لبيان المراد من الآيات السابقة لها، أو لتقريب بعض الحقائق لذهن الانسان.

هذه الحقائق العلمية أصبحت مصدراً لكثير من الباحثين العلميين والمحققين. فقدأثبت الزمن أنّ تلك المعلومات العلمية الثمينة بقيت شامخة وسط

---

(١) راجعه في أواخر الفصل٢ من الباب٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر، بعد الأربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة في ذلك الفصل ص٥٧.

النظريات و الفرضيات العلمية التي يطرحها العلماء و الباحثون، حتى أصبحت تلك الحقائق التي جاء بها القرآن بمرور الزمن مصدراً أساسياً لكثير من الاكتشافات و الاختراعات التي هزت عالمنا المعاصر.

وحتى الآن لم يتمكن العلم الحديث من مخالفة علوم القرآن و العترة، بل أيدها و اعتمد عليها بكل ثقة و اطمئنان. كيف لا؟! وهي من لدن حكيم خبير.

إذن فالتمسك بالقرآن الكريم و نهج العترة الطاهرة يمنع الانسان من الزلل و الخطأ و السير في المتاهات. ويأخذ بيده نحو شاطئ الأمان و الخير و الرفاه، ويجعله في عيشة إنسانية نبيلة هانئة تُرضي اللهَ و الرسول و المؤمنين. وتخدم البشرية جمعاء.

ومن هنا فإنّ حديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) جاء مصداقاًلقول الله عزّ وجلّ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُم لِما يُحْيِيكُم﴾.

فالرسول محمد (صلّى الله عليه و آله) طلب منا التمسك بكتاب الله، لأنه هدى و رحمة لكل البشر و نور مبين لكل مؤمن، و فيه تبيان لكل شيء.

وقد وردت روايات كثيرة عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) من:«*أن للقرآن ظهراً و بطناً، ولبطنه بطناً الى سبعة أبطن، أو سبعين بطناً*».

ولهذا نرى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) قرن التمسك بالقرآن بالتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) لأنهم الصفوة الخيرة الطاهرة المعصومة، الذين حباهم الله وعصمهم من الخطأ والاشتباه و الزلل. وجعلهم رحمة لأُمة محمد (صلى الله عليه وآله) والناس جميعاً، لأنّ علمهم من علم رسول الله، وعلم الرسول الأعظم منحة من الباري جل جلاله، و عظمهم سبحانه حين قال: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

و لا يزال التأريخ يقدم لنا صوراً مشرقة عن حياة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) و جهودهم العظيمة التي بذلوها في تفسير سور القرآن الكريم و بيانها للناس، خلال حياتهم الشريفة التي قضوها في رفعة الاسلام و نفع المسلمين.

فهم الذين حفظوا القرآن وفسّروا آياته، كيلا يجهل الناس آيات القرآن ـ سواء التشريعية منها أو الفلسفية أو العلمية ـ وإتمام الحجة عليهم.

و الجدير بالذكر أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فسروا القرآن وعرضوه للناس حسب إدراكهم و تحملهم العقلي. و لم يبينوا ماحوى القرآن الكريم من تفاصيل رغم أنهم الراسخون في العلم. كل ذلك مراعاةً لعقول الناس و محدوديتها ، إذْ ليس بامكانهم أن تستوعب عقولهم أو تتقبل ماجاء به القرآن الكريم من علوم غزيرة و معان عميقة.

ولعل المناظرة التي حدثت في مسجد الكوفة عندما خطب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال قولته المشهورة: «*سلوني قبل أنْ تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلمُ مني بطرق الأرض*». خير دليل على ما نقول.

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: سلوني إلاّ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال الغزالي: وهذه الكثرة و السعة و الافتتاح في العلم لا يكون إلاّ لدني إلهي سماوي.

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ﴾. روي من طريقين أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتابِ﴾ هو علي بن أبي طالب. ولا شك أنّ منْ عنده علم الكتاب قدأحاط بعلم كل شيء لقوله تعالى:﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أحْصَيْناهُ في إمامٍ مُبِينٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾.

قال الشيخ الرئيس: «إنّ أمير المؤمنين مركز الحكمة و فلك الحقيقة و خزانة العقل. ولقد كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس».

وأذكر أشعار الشعراء في مدحهم إياه (عليه السلام) بصفة العلم وما يتعلق بها.

قال ابن أبي الحديد:

ياوارث التوراة و الانجيل و الـ ـفرقان و الحكم التي لا تعقل

وله أيضاً:

و وارث علم المصطفى و شقيقه أخاً و نظيراً في العلى و أواسر

ألا إنما التوحيد لولا علومه كعرصة ضليل و نهبة كافر

وقال الصاحب بن عباد:

من كان كالوصي علي عند مشكلة

وعلمه البحر قد فاضت نواحيه

وقال السيّد الحميري:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى و أفضل ذي نعل ومن كان حافيا

أسرّ إليه أحمد العلم جملة و كان له دون البرية داعيا

ودوّنه في مجلس منه واحداً بألف حديث كلها كان هاديا

و كل حديث من أولئك فاتح له ألف باب فاحتواها كما هيا

ولله در ابن العودي حيث قال:

وَمَنْ ذا يساميه بمجد و لم يزل

يقول: اسألوني ما يحل و يحرم

سلوني ففي جنبي علم ورثته

عن المصطفى ما فاه مني به الفم

سلوني عن طرق السمآء فإنني

بها من سلوك الطرق في الأرض أعلم

ولو كشف الله الغطا لم أزد به

يقيناً على ماكنت أدري وأفهم

فكان (عليه السلام) أحفظ الأصحاب لكتاب الله الوهاب. فهذا ابن أبي الحديد يقول: «و أما قراءة القرآن و الاشتغال به، فهو المنظور إليه في هذا الباب. اتفق الكل على أنه يحفظ القرآن على عهد رسول الله، ولم يكن غيره يحفظ القرآن. إلى أن قال: و إذا رجعت إلى كتب القراءة وجدت أئمة القراءة كلهم يرجعون إليه. إلى أن قال: فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً مثل كثير مما سبق». انتهى.

بل كان نفسه (عليه السلام) الكتاب الشريف و الخطاب اللطيف. أليس هو (عليه السلام) القائل:***«أنا كلام الله الناطق، و خطابه العزيز الفائق. و من لم يكن مسلوباً عن عقله و حسه يعلم أن الشخص لا يغفل عن نفسه»***.

و يرى بعض المفسرين بأنّ الحقائق العلمية تركت لجهود الإنسان وفكره، حيث أعطاه الله و أودع في عقله أعظم أمانة ألا وهو [الفكر] حيث قال سبحانه: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا و حَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**.

إذن فالإنسان بوجود القرآن و السنة وتراث أهل البيت و الفكر الذي وهبه الله له، و ما يستنبطه من تجارب وعلوم و اكتشافات قديمة و حديثة، إنما هي أدلة قاطعة و صريحة تدل بلا شك على وجود الخالق الذي أتقن صنع كل شيء.

لم يكن الغرض من الآيات أنْ يبين الله لنا ما في الطبيعة من حقائق علمية. كلا فإنّ ذلك موكول إلى عقل الإنسان و تجاربه. وإنما الهدف الأول من ذكرها أنْ نسترشد بالكون و نظامه إلى وجود الله سبحانه. و أنه لا شيء في هذه الكائنات والمعجزات وجد صدفة و في غير قصد كما يزعم الماديون. بل وجد بارادة علمية حكيمة، و قد بيّن الله ذلك صراحة في قوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[1].

---

(١) سورة فصلت: الآية٥٣. عن تفسير الكاشف: ص٣٨.

يقول: EDWARD LUTHER KESSEL [(١)]: «أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة على وجود الله، زيادةً على الأدلة الفلسفية التقليدية.. فقد كان في الاثباتات القديمة مايكفي لاقناع أي انسان يستطيع أنْ ينظر إلى الموضوع نظرة مجردة عن الميل أو التحيُّز. و أنا بوصفي ممن يؤمن بالله أُرحِّب بهذه الأدلة الجديدة لسببين:

فهي أولاً تزيد معرفتنا بآيات الله وضوحاً.

وهي ثانياً تساعد على كشف الغطاء عن أعين كثير من صُرحاء الشكيين حتى يسلّموا بوجود الله.

لقد عمّت في أمريكا ـ في السنوات الأخيرة ـ موجة من العودة إلى الدين ـ ولم تتخطّ هذه الموجة معاهد العلم لدينا ـ و لا شك أنّ الكشوف العلمية الحديثة التي تشير إلى ضرورة وجود إلهٍ لهذا الكون، قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلى رحاب الله و الاتجاه إليه. وطبيعي أنّ البحوث العلمية التي أدت إلى هذه الأدلة، لم يكن يُقصد من إجرائها إثبات وجود الخالق. فغاية العلوم هي البحث عن خبايا الطبيعة و استغلال قواها، و هي لا تدخل في البحث عن مشكلة النشأة الأُولى ـ فهذه من المشكلات الفلسفية والعلوم لاتهتم إلّا بمعرفة: كيف تؤدي الأشياء وظائفها؟ وهي لا تهتم بمعرفة: مَن الذي جعلها تعمل أو تؤدي هذه الوظائف؟

ولكن كل إنسان ـ حتى أُولئك الذين يشتغلون بالعلوم الطبيعية لديه ميل أو نزعة نحو الفلسفة ـ ومما يؤسف له أنّ المرموقين من العلماء ليسوا دائمًا من الفلاسفة الممتازين. فقليل منهم هم الذين يفكرون في أُمور النشأة الأُولى ـ.

ولو أنّ جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من الأدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة و البعد عن التحيُّز الذي ينظرون به إلى نتائج

---

(١) إدوارد لوثر كيسيل: أخصائي في علم الحيوان والحشرات ـ حاصل على دكتوراه من جامعة كليفورنيا ـ أُستاذ علم الحياة ورئيس القسم بجامعة فرنسيسكو متخصص في دراسة أجنة الحشرات والسلامند والحشرات ذوات الجناحين. راجع كتاب «حوار بين الإلهيين والماديين» ص٢١ـ٢٣.

بحوثهم، ولو أنهم حرّروا عقولهم من سلطان الثائر بعواطفهم و انفعالاتهم فإنّهم سوف يسلّمون دون شك بوجود الله. وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسّر الحقائق.

فدراسة العلوم بعقل منفتح سوف تقودنا بدون شك إلى إدراك وجود السبب الأول الذي هو الله.

ولقد مَنّ الخالق على جيلنا و بارك جهودنا العلمية بكشف كثيرٍ من الأُمور حول الطبيعة، و صار من الواجب على كل إنسان سواء كان من المشتغلين بالعلوم أم من غير المشتغلين بها أنْ يستفيد من هذه الكشوف العلمية في تدعيم إيمانه بالله.

«ثم بعد سرد البراهين من العلوم التجريبية على حدوث المادة يستمر قائلاً»:

ولا يتسع المقام لسرد أدلة أُخرى لبيان الحكمة و التصميم و الإبداع في هذا الكون، و لكنني وصلت إلى كثير من هذه الأدلة فيما قمت به من البحوث المحدودة حول أجنّة الحشرات و تطوّرها، و كلّما استرسلت في دراستي للطبيعة و الكون إزداد اقتناعي و قوى إيماني بهذه الأدلة.

فالعمليات و الظواهر التي تهتمّ العلوم بدراستها، ليست إلّا مظاهر وآيات بينات على وجود الخالق المبدع لهذا الكون، و ليس التطور إلا مرحلةً من مراحل عملية الخلق.

وبـرغم أنَّ صيحـات الماديين قد حجبت، كثيراً من الباحثين الأُمناء عن الحقيقة، فإنَّ فكرة التطور الخلقي لا يمكن أنْ تكون منافية للعقيدة الدينية، بل على النقيض من ذلك نجد من الحماقة و التناقض في الرأي أنْ يسلّم الإنسان بفكرة التطور، و يرفض أن يسلّم بحقيقة وجود الخالق الذي أوجد هذا التطور.

لقد عاش منذ عهد أوجستين العظيم في القرن الرابع حتى اليوم كثيرٌ ممن آمنوا بالله، ورفضوا فكرة الخلق بمعنى الصناعة. و قبلوا فكرة الخلق على أساس التطور.

والواقع أنه بالنسبة لهؤلاء ـ وأنا من بينهم ـ نجد أنّ للتطور أهمية من الناحية الدينية، فهو يقود العقل الأمين المتجرد من التحيّز إلى فكرة وجود الله تعالى.

و أعود فأقول: إنّ دراسة العلوم بعقل منفتح تجعل الإنسان يسلّم بضرورة وجود الله و الإيمان به .

و يقول «كرسي موريسن»[1]: «لسنا إلاّ في فجر العلوم، ولكن كل إلمامة جديدة و كل تزايد لنور المعرفة تأتينا ببرهان جديد على أنّ كوننا هو حقاً صنيعة عقل خلّاق فعّـال. كذا يعتمـد الإيمان على المعرفة، و يشعر العالم في كل مرحلة جديدة يقطعها أنّه يقترب من الله، وقد وجدت في العلم شخصياً سبع علل كبرى أُرسي عليها قواعد إيماني» ثم يستمر في بيانها.

و نلاحظ خلال قراءتنا للقرآن المجيد أنه يحوي الكثير من العلوم، التي بذل الإنسان جهداً كبيراً و طويلاً من أجل التوصل إلى خفاياها و أبعادها، ليضعها في خدمة الإنسانية جمعاء. ويفسر لنا بعض الأسرار التي لم تكن مفهومة لدى بعض الناس خلال الفترة التي سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة. حيث قال جلّ و علا: ﴿ عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾.

و من خلال ما مرّ بنا نجد انّ الإنسان الذي أعطاه الله العقل، و علّمه العلم، و سخر له الأرض و ما عليها مِنْ حيوانات و نباتات، يحتاج إلى رعاية و عناية و لطف إلهي، كي يحتفظ بهذا العقل سليًما رشيداً يستخدمه في معرفة الخالق و ما أعطاه مِنْ نِعَمٍ لا تحصى.

و لهذه الأسباب كلها نجد القرآن الكريم يبني لنا الكثير من الارشادات و القواعد الصحية التي تجعل الإنسان يعيش عيشة سعيدة صحيحة صحية، تحفظ له جسمـه و عقله، و ليستـطيع بها معـرفة الله و عظمته و جلاله، و يتمكن مِنْ تطبيق

---

(١) رئيس المجمع العلمي في نيويورك سابقاً ـ ينقلها عنه كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ص٨٢ـ٨٦. وراجع «حوار بين الإلهيين والماديين» ص١٦٣ـ١٦٥.

التشريعات التي أوصى بها الله سبحانه من أجل خلق مجتمع إسلامي مثالي و إنساني تسوده الصحة و السلامة، و يرتكز على قواعد صحية سليمة تحفظه من الأمراض و الكوارث.

فالإسلام يضع اللَّبِنَة الأولى في بناء المجتمع السليم، و يخطو الخطوة التي لابدّ منها في إقامة صرح الأمة على أساس متين. فوجب إعداد الفرد إعداداً بدنياً، وعقلياً، وخلقياً، حتى يكون عضواً نافعاً لنفسه. ولأهله، ولأمته، وحتى يضطلع بالأعباء التي تناط به.

و المقصود بالاعداد البدني المحافظة على سلامة الجسد، كي يبقى الفرد قويّ البنية، بعيداً عن الأمراض و العلل، قادراً على مواجهة الصعاب التي تعترضه، وهو يعمل و يكدح، و يكد و يكسب. و إنما يتم ذلك:

١ـ بما شرعه الإسلام من المحافظة على النظافة في البدن والثوب والمكان. يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1] ويقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2].

٢ـ وبجانب تشريع النظافة، يشرع الإسلام الأكل من الطيبات التي تغذي البدن وتقوّيه، ليؤدي وظيفته ويقوم بنشاطه على خير وجه وأحسنه.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ، وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[3].

كما يمنع الإسراف في تناول الطعام، فانه يضر الجسم، ويعرّضه لكثير من الأمراض والعلل.

قال الله تعالى: ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٧٢ و١٧٣.

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «*ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً من بطنه*».

ويقول: «*نحن قوم لا نأكل حتى نجوع. وإذا أكلنا لا نشبع*».

ونهى الإسلام عن تناول الخمور والمخدرات، وكل ما يضر البدن بأي نوع من أنواع الضرر.

٣ـ وشرع الإسلام ممارسة الألعاب الرياضية. مثل: المصارعة والعدو، والسباحة، والرماية، وركوب الخيل، بالإضافة إلى أنّ عبادات الإسلام نفسها تتضمن ممارسة الرياضة ممارسة منظمة. في غير إجهاد أو إرهاق.

٤ـ وبما دعا إليه من علاج، يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «*تَدَاوَوْا فان الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد، الهرم*».

وهكذا نجد القرآن دستوراً متكامل المعالم وضعه الله وأنزله على خاتم أنبيائه، ليكون الدستور الأمثل الصالح لكل الناس على مختلف العصور.

لقد غشيتنا الظلمات يوم أدرنا ظهرنا للإسلام، وولينا وجوهنا شطر أعدائه. ودخلنا المتاهة يوم تركنا القرآن طريق الله المستقيم، وتعلقت أبصارنا بالمذاهب الوضعية. وضاع منا الحق يوم هجرنا كتاب الله الذي أُنزل على رسوله بالحق، وتعلقنا بكتب أئمة الضلال.

والقرآن لمن أراد أنْ يدرسه دراسة مستفيضة، ويبحث في أعماقه، يجد فيه كل متطلبات الحياة السعيدة. فهو الكتاب الإلهي الوحيد الذي يُغني العقل والجسم ويربي المجتمع ويُسعد الأُمة والعالم.

«حيث أنّ القرآن الحكيم فلسفة كاملة للحياة ولا فلسفة كاملة غيره. لا بدّ وأنْ يسيطر على الحياة إنْ عاجلاً أو آجلاً. فإنه انما يسيطر إذا عرف البشر هذين الأمرين. إنّه فلسفة كاملة ولا فلسفة كاملة غيره. إذْ البشر بحاجة إلى فلسفة كاملة ليسعد، والسعادة هي الغاية المتوخاة لكل بشر وليس وراءها مقصد. فانّ الذاتي لا يعلل بغيره. أما أنّ القرآن فلسفة كاملة فلأنه يعطي شؤون الروح، ويعطي متطلبات

الجسد ويستند إلى ما لا يتغير.

وهذه العناصر الثلاثة هي التي تشكل السعادة الكاملة، لأن الإنسان روح وجسد ولكل منهما متطلبات، ثم إذا كانت متطلباتها غير مستندة إلى قوة أزلية لا تتغير، كانت محلاً للتغير مما يسلب الثقة، وسلب الثقة ينتهي إلى الشقاء»[١].

واستناداً لما تقدّم ذكره، فإنّ القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يُعطي الانسان ما يُريد، ويجعل حياته مليئة بالسعادة والاستقرار، حيث لا عُقد نفسية فيها ولا كآبة، حياة خالية من المشاكل والعوارض والآلام التي تغير وتُدمِرْ حياة البشر وتجعله تعساً يائساً.

والآية الكريمة تعطي أفضل جواب كامل حول هذه النقطة حيث يقول الله: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾.

والقرآن يشير بوضوح وصراحة ثابتة إلى أنه ليس بمقدور أحد أنْ يعيش حياة طيبة حتى يكون مؤمناً بكل ما جاء به، لأنّ القرآن شفاء لروح الإنسان وعقله وقلبه. شفاء لجسم الإنسان وأمراضه، بلسم لكل الجروح التي تصيب الإنسان خلال حياته الدنيوية التي يعيشها منذ اليوم الأول لولادته -حتى ساعة فراقه الدنيا. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلا يَزِيْدُ الظّالِمِينَ إلاّ خَساراً﴾.

وإني في هذا الكتاب الذي سميته (القرآن والطب الحديث) ألتمس من الباري عزّ وجلّ أنْ يوفقني لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال إبداء وجهة نظري ـ كطبيب ـ من خلال التدبر في بعض الآيات التي وردت في القرآن، ولها مفهوم أو معنى أو مراد صحي من الوجه العام أو الخاص، خصوصاً وأنّ تلك الآيات هي مفاتيح إلهية لبعض العلوم الطبية الحالية بأوجهها المختلفة النفسية منها والجسدية.

وقد أقدمت على هذه الخطوة المباركة بعد أنْ قرأت قول الله عزّ وعلا: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾.

---

(١) تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) ص٢٧.

ولعل القارئ الكريم قد لاحظ من خلال قراءاته السابقة أو الحالية الضجة الإعلامية الكبرى والدعاية التي تظهر بين آونة وأخرى حول بعض الاكتشافات العلمية الحديثة، أو ظهور مدارس طبية ذات وجهات نظر جديدة في ميدان بعض العلوم الطبية.

وعند المقارنة بين الاكتشاف الجديد وما جاء في القرآن والسنة وأقوال الأئمة المعصومين(عليهم السلام).. نرى أنّ الله سبحانه وتعالى قد بين ذلك للمسلمين منذ زمن بعيد ـ أي عند مجيء الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ـ سواء في كتابه الكريم أو على لسان رسوله العظيم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام). ومن خلال الآيات القرآنية الكريمة، أو الأحاديث النبوية الشريفة، التي غطت جانباً كبيراً من العلوم الطبية، والذي يدعي رواد مدارس الطب الحديثة الآن شرف اكتشافها.

والآيات والأحاديث التالية خير دليل على ما نقول في هذا الصدد:

﴿إنّ الله يُحبُّ التّوابينَ وَيُحبُّ المُتطَهِّرينَ﴾[1].

﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلىٰ طَعامِهِ﴾[2].

﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾[3].

﴿وَاَقْصِدْ في مَشْيِكَ وَاَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إنّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَميرِ﴾[4].

﴿أفَلَمْ يَنظُرُوا إلىٰ السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ وَ الأرْضَ مَدَدْناها وَألْقَيْنا فيها رَواسِيَ وَأنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٥) سورة ق: الآية ٦-٧.

﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾[1].

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾[2].

﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3]

﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[4]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ والثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ﴾[5].

وقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم):

«الطهور شطر الإيمان».

«تنظفوا فإنّ الإسلام نظيف».

«الوقاية خير من العلاج».

«إنّ الله يكره الوسخ الشعث».

«غسل الجمعة واجب على كل محتلم» (أي البالغ).

«حق على كل مسلم أنْ يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده».

«خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، و قص الشارب، و نتف الابط، و تقليم الأظافر».

«إنّ الله جميل يحب الجمال».

وقال الإمام علي (عليه السلام):

«إياكم والبطنة فانها مقساة للقلوب، مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد».

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٤) سورة الرعد: الآية ١١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

«كثرة الطعام تميت القلب كما يميت كثرة الماء الزرع».

«بطن المرء عدوه»[١].

هذه بعض من الآيات و الأحـاديث التي تمثل آراء بعض مدارس الطب الحديثة، إضافة إلى تراث طب الرسول (صلى الله عليه واله)، وطب الإمام الصادق (عليه السلام)، وطب الإمام الرضا(عليه السلام)،و طب الصحيفة السجادية(عليه السلام). ولكن عدم وجود الدارسين والباحثين المسلمين الملتزمين جعل اكتشاف ونشر هذه العلوم يُعـزى إلى تلك المدارس الطبية، بينما الحقيقة أنّ الإسلام والقرآن كانا السبّاقين لتلك الآراء والمدارس الطبية.

ولـو تمعنّـا في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لرأيناها تشمل مختلف العلوم الـطبية الحديثة، من: علم النفس الطبي، إلى الوقاية الصحية، إلى الإرشاد الصحي، إلى البيئـة الصحية، إلى كيفية خلاص المجتمـع من الآفات والأمراض الجنسية، التي هي من أخطر المشاكل في الحياة الإنسـانية، خصوصاً في عصرنا الحاضر، وخطورتها لا تقاس بأي خطر مهما عظم إذا ما استثنينا خطر الإلحاد والكفر بالكتاب والسنة والعترة.

وسأحاول أنْ أُركز خلال البحث في بعض آيات القرآن الكريم على الجانب الصحي فقط، ليكون الكتاب مختصراً. وهو بالطبع أكثر قراءةً ومتناولاً، ولقلة نفقاته يصل إلى أيدٍ أكثر، وبذا يحقق الغرض، وتحصل الفائدة، بينما لا يقرأ الكتاب الموسع إلّا المختص وصاحب الثقافة الواسعة. ولكن لا بدّ من إضافة ما نقص وتوضيح ما غمض بشكل لا يخرج الكتاب عن حجمه، ولا يغير معالمه.

وقبل أنْ أرفـع قلمي وأختم المقـدمة، أرى من الواجب تسجيل شكري وتقديري للكاتب الإسلامي الكبير والأديب البارع، المحامي السيّد طالب الحسيني البغـدادي الشهـير بالخراسان، على مراجعته للكتاب، ومناقشاته القيمة معي رغم

---

(١) وقد ندب الإسلام ورغب في تنظيف الأسنان، وقص أظافر اليدين والرجلين، وإكرام الشعر بدهنه وتسريحه.

انشغاله بموسوعاته العلمية والأدبية، سدّد الله خطاه ونفع به خدمة للإسلام والمسلمين.

وأترك القارئ الكريم يدلف إلى جو الكتاب الكريم، يتنسم عبيره، ويقطف من ثماره، ويحمل رسالته السامية إلى سائر الناس.

نسأله تعالى التوفيق والإيمان وحسن العاقبة، وأنْ يجعلنا من الراغبين إلى طاعته، وأنْ يرزقنا كرامة الدنيا والآخرة، انه سميع مجيب.

﴿رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَداً﴾[1].

﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأنا﴾[2].

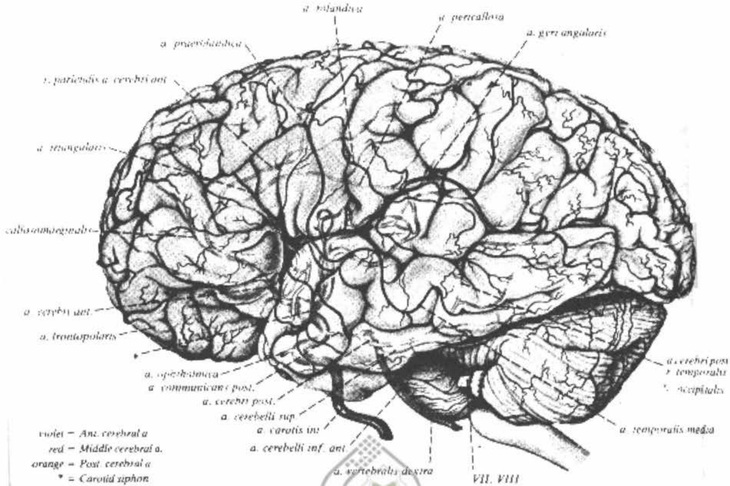
صدق الله العلي العظيم.

د.صادق عبد الرضا

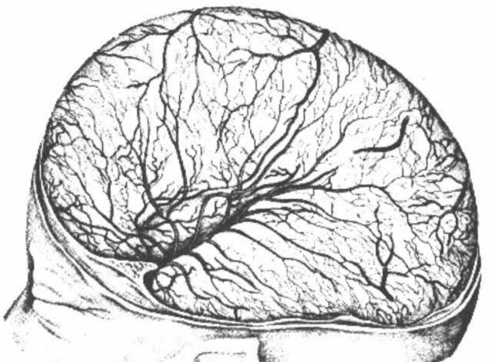
---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠.

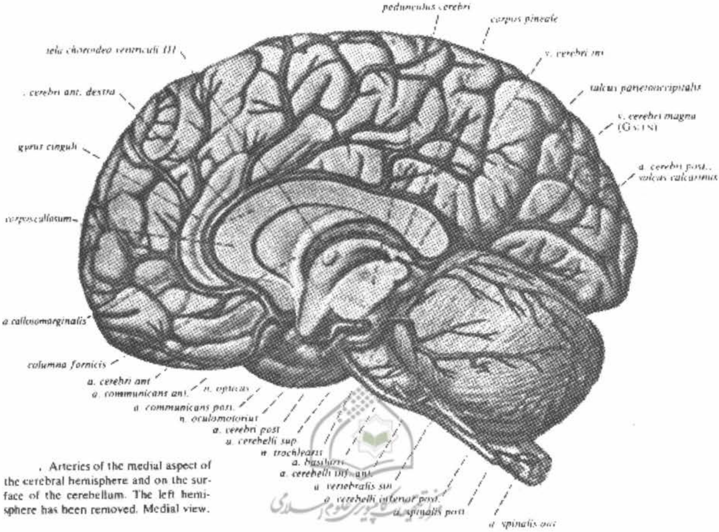
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.



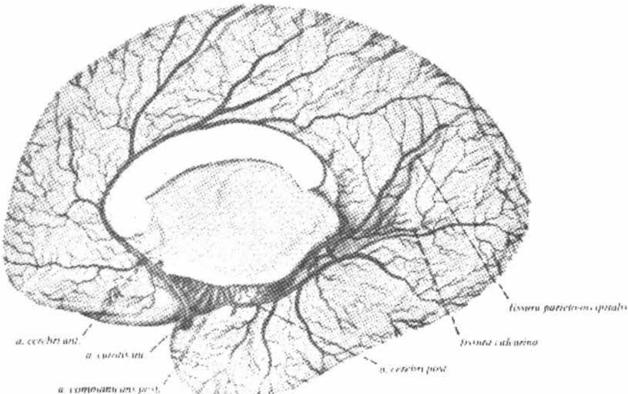
. Arteries of the left hemisphere. Lateral view. Injected specimen. The cerebral matter is rendered transparent, so that the representation is directly comparable to an arteriogram. The terminal branches of the arteriae cerebri anterior and posterior extend beyond the pallial crest onto the convexity. (From PERNKOPF: Atlas der topographischen und angewandten Anatomie des Menschen. Vol.1.2nd ed [Ed. H. FERNER]. Urban & Schwarzenberg. Munich–Vienna–Baltimore 1980.)



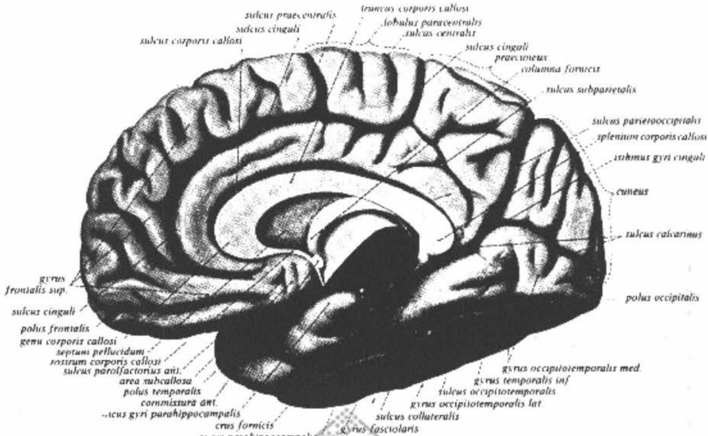
Arteries on the convex surfaces of the himispheres in a human fetus of 28 cm CRL. The branches of the a. c rebri med ascend over the operculum in a fan-shaped manner (pecimen. FERNER).



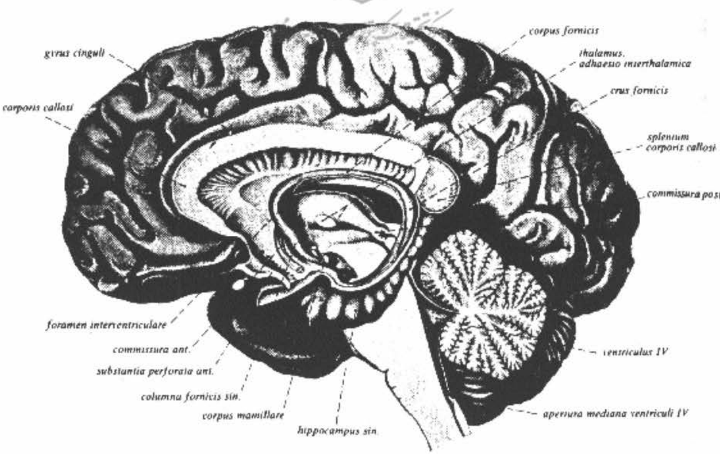
. Arteries of the medial aspect of the cerebral hemisphere and on the surface of the cerebellum. The left hemisphere has been removed. Medial view.



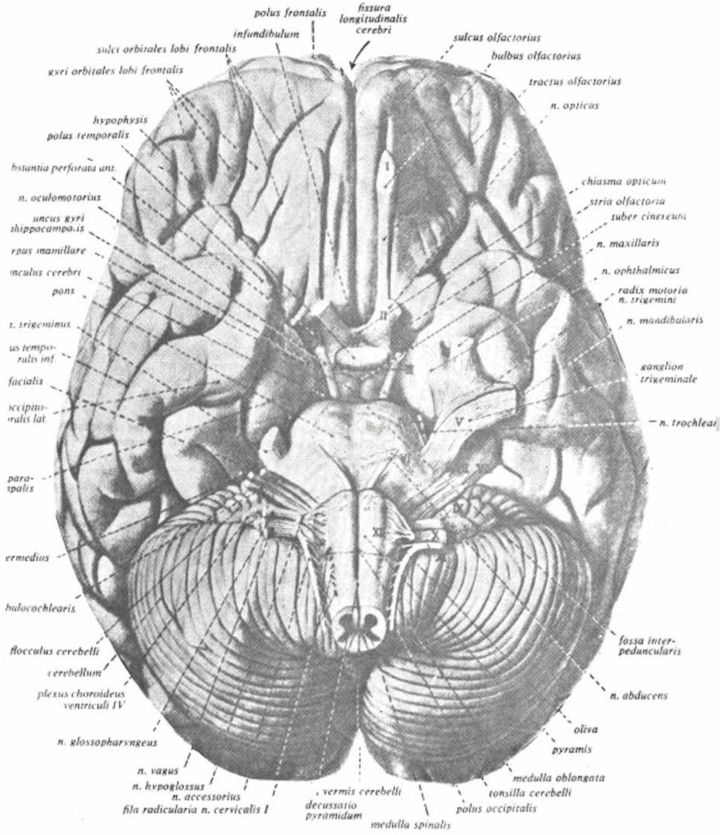
Arteries on the medial and basal surfaces of the hemispheres in a human fetus of 28cm CRL (specimen: [illegible]



. Right cerebral hemisphere. The brain has been halved in the midline, the brain stem together with the cerebellum have been removed by an oblique section through the thalamus. View onto the medial and inferior surface of the hemisphere.



Lateral view of the fornix of the left half of the brain. Hippocampus, commissura anterior, bulbus and tractus olfactorius f the left side are also shown. The corpus callosum has been sectioned in a left parasagittal plane, the brain stem in the sagittal plane. (Aft PERNKOPF Atlas der topographischen und angewandten Anatomie des Menschen, Vol. 1, 2nd ed. [Ed. H. FERNER]. Urban & Schwarzenberg Munich–Vienna–Baltimore 1980.)



Basal view of the brain revealing the sites of origin of the nervi craniales (I–XII). Telencephalon = yellow, cerebellum = orange, ain stem and nervi craniales = white. The left ganglion trigeminale is preserved. The hypophysis is slightly deflected posteriorly in order to eal the infundibulum.

منظر سفلي للدماغ

الفصل الأول
علم النفس الطبي

يبحث هذا العلم التغييرات التي تطرأ على فكـر الإنســان ومزاجه نتيجة الأحداث (السيكولوجية) التي يتعرض لها خلال مراحل حياته المختلفة. أو نتيجة إصـابتـه ببعض الأمراض البدنية وما يرافقها من أثر نفسي على مجمل شخصية الإنسان الفكرية.

وعلم النفس الطبي ليس موضوعاً علمياً حديثاً، وإنما له جذور تأريخية منذ ظهور الطب اليوناني في عصر الطبيب المعروف (جالينوس) حتى بزوغ فجر الإسلام المشرق.

وكان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من عالج موضوع النفس الإنسـانية وتقلبـاتها، ووضع الحلول والأُسس الكفيلة للقضاء عليها وإتقاء شرها. فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يترك كبيرة أو صغيرة لها مساس بالعلم والـطب ـ لا سيما علم النفس الطبي ـ إلّا وقام بشرحها وتبيانها للمسلمين، حتى أصبحت قوانـين ثابتة، خلدت مع الدهر، وواكبت العلم كسراج دائم الاشعاع لا ينقضي ولاينطفئ نوره.

تلك هي السنة المحمدية وأحاديثه النبوية الشريفة. وهذه الأحاديث ليست حدثاً طارئاً، أو أفكاراً للقراءة والنشر، وإنما نبعت من معايشة المسلمين للواقع في تلك الفترة الزمنية، وما سيلاقونه ويواجهونه في مستقبلهم القادم (أولاً).

وأنها مستقاة من القرآن الكريم، ذلك البحر العميق الذي يحوي الكثير من الكنوز العلمية المختلفة (ثانياً).

وأروع مثال خالد لهذه المدرسة القرآنية النفسية ما جاء في الآية الكريمة

من سورة الرعد: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وموضوع علم النفس، وما يطرأ على النفس البشرية، ورد في أكثر من آية، فالقرآن الكريم هو الينبوع الذي يستقي منه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) الحلول للمعضلات الطبية بأنواعها النفسية والجسمية، مضافاً إليها سيرة الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي ورثوها عنه باعتبارهم خلفاؤه وورثة علمه، وأعلم الناس بعده.

فلا عجب أنْ نرى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد غذّى هذا الجانب المهم من (الطب) بالكثير من وصاياه وخطبه، وطبقها في سيرته الحميدة، التي نجدها متكاملة الجوانب في كتاب «نهج البلاغة» فآراؤه لا تزال شامخة بالسمو تستحق الإحترام وسط مدارس (علم النفس الطبي) الحديثة.

وقد أكمل المهمة من بعده الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من ولده، حيثما سنحت الفرصة لهم، كالسجاد والصادق والرضا (عليهم السلام).

كذلك يحتفظ التأريخ الإسلامي بأسماء العديد من الأطباء الذين ساهموا في تقدم العلوم الطبية، ولا سيما الطبيب المعروف (أبو بكر الرازي) الذي ألّف العديد من الكتب الطبية في مختلف مجالات علم الطب وفروعه، وكذلك طبيب الفلاسفة وفيلسوف الأطباء المشهور (ابن سينا).

وفي عصرنا الحاضر، ونتيجة لتطور الأجهزة والامكانات الطبية والتفرغ للبحث العلمي، نجد أنّ العلوم الطبية بفروعها المختلفة بدأت تسلك آفاقاً جديدة وحديثة، حيث تم انشاء المدارس الطبية والكليات والجامعات، وازداد عدد الأطباء سنة بعد أُخرى، حتى ظهر الاتجاه الحديث نحو التخصص في مجال العلوم الطبية، وكان ذلك مترادفاً مع الثورة الصناعية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وما رافقها من تطور حياتي واسع في مختلف المجالات.

ولكن بالرغم من ذلك النمو والتطور الطبي (الكمي والنوعي)، نجد أنّ الأمراض النفسية والمشاكل الروحية، والقلق المهيمن على حياة الكثير من البشر

أخذت تنمو بسرعة وازدياد، مما حدا بعلم النفس الطبي أنْ يتوسع ويتخصص أكثر من ذي قبل ليواكب هذه المتغيرات الجديدة. حتى أصبح الآن من العلوم الطبية المهمة والواسعة في عصرنا الحاضر، وأصبح له رواد ومدارس ذات اختصاصات مختلفة ومتعددة.

طيّب ! وما هي النتيجة التي سنحصل عليها الآن من هذه القفزة العلمية الكبيرة التي حدثت في المجالين (الكمي والنوعي) حالياً؟ أظن أنّ ذلك ليس بخافٍ على القارئ الكريم، ولا يحتاج إلى مزيد تفكير عندما يرى بعينه الملايين من الناس يتقاطرون على المستشفيات والعيادات والمصحات للعثور على حل لمشاكلهم النفسية والعاطفية والإجتماعية. وهذا يدل بلا أدنى شك، وبصورة قاطعة لا تقبل النقاش والجدل، على أنّ تلك المشاكل هي أكبر بكثير من إمكانيات العالم الطبية، وأنه لم يعد بالإمكان معالجة هؤلاء المصابين معالجة علمية كافية تتناسب مع ضخامة العدد المتنامي منهم.

وسوف يجعل المستقبل من هذه الظاهرة المؤلمة أكثر تعقيداً وإثارة. وربما سيجعل منها إحدى الكوارث التي تهدد البشرية ومستقبلها، لأنّ تلك الملايين من المرضى والعاطلين عن العمل، والمصابين بمختلف الأمراض والعقد النفسية،لن تتمكن من مجاراة بقية الناس والعيش معهم بسعادة وهناء، وبالتالي لن يستطيعوا أنْ ينعموا بعيش شريف مطمئن يليق بكرامة الإنسان وقناعته، إذا لم يتحولوا مستقبلاً إلى مصدر شقاء وتعاسة لعوائلهم وغيرهم من الناس.

والقرآن الكريم عندما ركز على بعض العلوم الطبية النفسية وأنها ستكون مشكلة المستقبل. فأنّه أوضح الأسباب لذلك، وأعطى العلاج الشافي الملائم. فكل آية عبارة عن مدرسة للعلم والطب، وكل كلمة فيه هي درس كامل يأخذ منه الإنسان أصدق وأثبت وأفضل ما يريد في حياته الحاضرة.

حيث يقول الإمام علي (عليه السلام) موجزاً هذه المعاجز الطبية في أجلى وأجمل وأعظم الكلمات البليغة في دعاء ختم القرآن المجيد، عندما يقول:

«اللّهمّ اشـرح بالقـرآن صدري، واستعمـل بالقرآن بدني، ونوّر بالقرآن بصري، وأطلق بالقرآن لساني، وأعنّي عليه ما أبقيتني، فإنه لا حول ولا قوة إلّا بك».

* * *

الموضوع الأول:

«الخوف»

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ﴾[1].

تعريف: «الخوف»: تألم النفس من المكروه المنتظر والعقاب المتوقع، بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات. وفي ذلك قال الإمام الصادق (عليه السلام): ***«ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته»***.

وقد يعبّر عن الخوف: بالخشية، أو الوجل، أو الرهبة، أو الهيبة. [والخوف يعتبر أحد مسببات أغلب الحالات العصبية، وهو حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكاً يبعده عادة عن مصادر الضرر، وهذا كله ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان والحيوان. ويسمى (غريزة).

(ولا بدّ أنْ يكـون الخالق قد أوجد هذا الاستعداد الغريزي لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي، فالخوف هو الذي يدفعنا لحماية أنفسنا والمحافظة عليها. فالخوف أمر طبيعي معقول وضروري يؤدي إلى حماية الفرد مما يجوز أنْ يسبب له ضرراً.

والخوف في ظرف أو وقت ما حالة طبيعية أو شاذة، وحيث أنّ الشاذ هو ما يشذ عن المألوف أو يخرج عنه، لأنّ الخوف الكثير المتكرر الوقوع لأية مناسبة يعتبر نشازاً)[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٢) د.عبدالعزيز القوصي (أُسس الصحة النفسية).

الخوف عند الأطفال: قد تظهر آثار الخوف عند الطفل لأسباب عديدة ومختلفة منها: عوامل تكوينية قبل الولادة، وعوامل بيئية بعد الولادة، ينتج عنها عقد مكتسبة تصيب الطفل أثناء نموه وتطوره، وهذه العوامل هي:

١ـ العامل الصحي: فالرعاية الصحية للأم أثناء الحمل، والتغذية الجيدة لها، وعدم إصابتها بالأمراض والعقد النفسية والهياج العصبي والتوتر النفسي، أو الجهد الزائد الذي تتعرض له الأم خلال تلك الفترة، أو بسبب المضاعفات الجراحية والمرضية أثناء الولادة وبعدها.

كما أنّ رعاية المولود وتوفير البيئة الصحية له حتى ينمو ويتعلم العادات الصحية الصحيحة بشكل علمي مدروس ، وفق أحدث الأساليب، يجعل عقل الطفل وفكره ينمو بصورة اعتيادية وسليمة، ويترك أثراً كبيراً على سلوك الطفل مستقبلاً، ويجعله يعيش حياةً لا تعكرها الشوائب والشكوك وعقد الخوف.

٢ـ العامل التربوي: يبدأ الطفل بالنمو جسمياً وفكرياً ويأخذ تفكيره طابعاً مختلفاً في هذه الفترة، حيث يبدأ نظره إلى الأمور المستجدة بشكل أعمق من السابق، مع ما يرافق تلك الفترة من تأثير تربوي في البيت والشارع والمدرسة، وإنعكاس تلك الظروف على نفسية الطفل سلباً أو إيجاباً، وبأشكال متفاوتة، قد يكون تأثيرها بسيطاً بعض الأحيان، أو ذات تأثير متوسط. وقد تأخذ طابعاً حاداً يؤدي إلى إصابة الطفل بعقد مختلفة أبرزها: الخوف وظلام المستقبل.

والتربية الصحيحة لها آثار كبيرة لمنع الطفل من السقوط في هاوية الخوف والجمود والنظر إلى المستقبل بمنظار الريبة والشك والحيرة.

٣ـ العامل الاجتماعي والبيئي: العصر الحديث وما يمثله من سرعة في الحركة والتطور، حيث سهولة وسرعة السفر، وانتشار وسائل الإعلام كالراديو والتلفزيون في جميع البيوت، وكثرة دور السينما التي تعرض الأفلام غير الهادفة. إضافة

للتطور التكنولوجي السريع، وظهور الأحياء والمدن ذات الكثافة السكانية العالية، جعلت من فكر الطفل ـ الذي لا يزال يعيش مرحلة النمو ويفتقر للقدرة التي تؤهله على تحمل المصاعب ـ فكراً مضطرباً مشوشاً بعض الأحيان، لا ينظر إلى المستقبل إلّا بمنظار الشك والريبة والخوف للأزمة الناتجة من إضطراب دائم في السلوك والأفكار.

وهذه المضاعفات تشاهد بوضوح في الأحياء السكنية المكتظة بالسكان، والمحرومة من الخدمات الصحية والبيئية والاجتماعية، حيث يؤثر هذا المناخ على الطفل ويجعله يكتسب الكثير من العادات السيئة التي لها الأثر البالغ على مستقبله ومستقبل أُسرته، ويكون بسببها في حاجة ماسة إلى جهود متواصلة وحثيثة كي يتخلص من آثار ورواسب ذلك المجتمع وتلك البيئة الفاسدة. إضافة إلى أنّ النظم الاجتماعية السائدة في العالم تفتقر إلى تطبيق العدالة الاجتماعية، مما أدى إلى نقص واضح لهذه الشريحة الغضة من المجتمع، وما يعكسه هذا النقص من انعكاسات تركت أسوأ الآثار على سلوك ونفسية ذلك الطفل النامي، ويمكن ملاحظة تلك المظاهر بأسوأ حالاتها داخل الطبقات الفقيرة المحرومة من هذه الرعاية.

٤ـ العامل المالي: يدخل العامل المالي كأحد الأطراف المؤثرة في خلق وتبلور بعض العقد النفسية لدى الأطفال في مراحل نموهم، حيث أنّ وجود المال الكافي عند العائلة يجعلها توفر الوسائل الكفيلة والمتطلبات الأساسية، الأمر الذي يجعل مِنْ تربية الطفل تأخذ مسارها الصحيح، لأنّ المال يعتبر عاملاً مؤثراً ومساعداً على حل المشاكل التي قد تحدث للعائلة.

وبالعكس من ذلك فانّ الفقر يزيد الطين بللاً، ويضاعف المشاكل العائلية أكثر فأكثر من جراء عدم توفر المال الكافي لديهم.

٥ـ العامل الغذائي: التغذية الجيدة والعلمية للأم أثناء الحمل وبعده، وللطفل أثناء نموه، لها الأثر الكبير في فعالية الجسم وزيادة مقاومته للأمراض، ممّا يجعله أقل عرضة للأمراض التي قد تصيبه، وتؤدي في حينه إلى ضعف مقاومته البدنية

والفكرية.

أما إذا كان الغذاء المتناول قليل الكمية، وذا نوعية غير متوازنة، لا تفي بالمتطلبات الجسمية والروحية، نتج عنه هزال في الجسم، وتغيّر في السلوك الطبيعي للطفل، قد يصل في بعض مراحله إلى متغيّرات نفسية وعاطفية عديدة، لها ارتباط وثيق بطول الفترة التي تعرّض فيـها الطفل لعوامل سوء التغذية المختلفة خلال مراحل نموه المتعاقبة.

٦ـ **العامل الثقافي**: وهو من العوامل المهمة التي تجعل تربية الطفل تأخذ المسار العلمي الكفيل بالحد من المشاكل والمتاعب اليومية والغذائية والنفسية للطفل، فبدلاً من أنْ يكون الجهل عاملاً إضافياً ثقيلاً تكون الثقافة عاملاً مساعداً للحد من تزايد مخاوف واضطراب وانحراف الطفل. خصوصاً إذا علمنا أنّ الثقافة التي يتلقاها الأطفال في الوقت الحاضر أغلبها ثقافة غير إسلامية، لا تستند إلى روح الإسلام العظيم، التي تغرس في الأطفال القدرة وروح المقاومة والصمود، وتزرع الإيمان الكفيل بإزالة وتحطيم عوامل القلق والخوف ـ المادي والروحي ـ خلافاً لما نراه اليوم من ثقافة مادية حاقدة يتغذى بها أطفالنا الأعزاء خلال مراحل دراساتهم المختلفة. وهي بلا شك بعيدة عن واقع الإسلام العظيم، وما يمثله من مصدر مهم للثقافة الإسلامية والإنسانية.

إذْ أنّ الثقـافة الإسلامية تستند إلى ركائز قوية، كالقرآن الحكيم، والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الائمة الأطهار (عليهم السلام)، والتي برهن التاريخ القديم والحاضر على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على خلق الإنسان المؤمن المقاوم والمبدع، الذي يملك العزيمة الكاملة التي تؤهله لأن يكون عضواً صالحاً في مجتمع خالٍ من الوساوس والأفكار الهدامة والخرافات.

٧ـ **العامل الديني**: وهو من العوامل المهمة والمؤثرة جداً في حياة الأطفال، لأنّ نشوء الطفل وترعرعه وسط مجتمع محافظ وملتزم بالمعتقدات الدينية السماوية،

سيولّد بلا شك طفلاً مؤمناً صالحاً مستقيم السيرة، قوي العقيدة، لا تؤثر فيه الصدمات النفسية، أو التيارات الفكرية.

وطبعـاً، فإنّ مجتمعـاً كهـذا سيكون مجتمعاً فاضلاً تسوده المحبة والإخاء والصداقة والوفاء، وتتجلى فيه السعادة الإجتماعية بأبهى وأحلى صورها، وتجري فيه الحياة بلا تكلف ولا عقد نفسية أو إضطرابات عقلية.

كيف لا؟ والأخلاق الدينية الإسلامية منحته من روحها وحلاوتها أحلى القيم الرشيدة، وفق المسار الصحيح والطريق القويم، والنضج الفكري المثالي الذي يبلور روح الفضيلة لدى الفرد والأسرة والمجتمع.

مجتمع بهذا البناء الروحي القوي يخلق ـ حتماً ـ جيلاً مِنَ الأطفال ذا قوة جسدية وروحية عالية، تجعله في مناعة من المؤثرات الخارجية، أو تمنع هذه المؤثرات مِنْ أنْ تكون ذات أثر حاد يعجل في سقوط الطفل في خضم المشاكل العاطفية والنفسية والخوف المنتظر.

وقـد تجعل من ذلك الأثر الموجود عند الأطفال شيئاً مؤقتاً، وليس حالة دائمـة. وهـذا ما يحدو بالأطفـال إلى أنْ ينـظروا إلى المستقبل نظرة أمل واشراق واستبشار وتفاؤل. على العكس من زملائهم الذين ينشأون في مجتمعات وأُسر غير ملتزمة دينياً، لا تعرف الجانب التربوي والأخلاقي العظيم الذي جاء به الدين الحنيف.

فمثل أُولئك الأطفال تكثر فيهم وتنمو عندهم عقد الخوف والقلق والتشاؤم من المجهول، وتظهر عليهم الإضطرابات النفسية بصورة مبكرة، ممّا يحول حياتهم إلى بؤس ومرارة تتخللها الهزات العنيفة بأعلى مراحلها وحدودها. وأخيراً تهيء لهم عوامل السقوط والانحدار نحو جحيم الحياة المضطربة.

٨ـ العـامل الأسروي: يعتبر من العوامل المؤثرة في تغيّر سلوك وأخلاق ونـوازع الأطفـال، وهو ذو أثر مصيري في تقرير مستقبلهم النفسي. خصوصاً في الأعوام الأُولى خلال مراحل النمو. فعندما يبدأ الطفل يعي ويدرك ما حوله، ويشاهد

بأم عينيه وقلبه الصغير المشاحنات العائلية المستمرة، والصراع العائلي الدائم يمزق شمل الأُسرة وهناءها، يدب الألم والخوف فيه. وتستحكم في داخل كيانه الطري والبريء العقد النفسية، التي قد تزداد مع استمرار وديمومة الحوادث وتتابعها.

فمثلاً الطلاق الواقع بين الأبوين، يجعل الطفل ممزّق الشعور والعواطف والآراء، وعرضة لدخول عالم الخوف القاتل.

كذلك نرى أنّ روح اللامبالاة من قبل الآباء تجاه أطفالهم، أو اعطاءهم الحرية اللامحدودة، يعطي نتائج معكوسة في سلوك الأطفال. أمّا التهديد المستمر أو التضييق بقسوة، وعدم تلبية حاجات ورغبات ومتطلبات الأطفال الضرورية، مع التمييز في التعامل بينهم، يؤدي إلى خلق حالة تناقض في سلوكهم قد تدفعهم إلى السقوط في مهالك التناقضات والصراعات ذات التأثير الواضح في مجمل سلوك الأطفال.

نتائج الخوف عند الأطفال:

١ـ قصور في معدل النمو الطبيعي للأطفال.

٢ـ العدول عن تناول الغذاء وسوء الهظم.

٣ـ ضعف وهزال الجسم العام.

٤ـ التأخر الدراسي وضعف الذاكره وعدم القدرة على استيعاب الدروس.

٥ـ ارتخاء وضعف الأعصاب.

٦ـ ضعف البصر والتعب عند القراءة.

٧ـ تقلب المزاج والأفكار وتحسس الطفل تجاه زملائه وانفعاله لأبسط الأشياء وأتفهها.

٨ـ الخوف من الناس والمجتمع.

٩ـ الهياج وحب الاعتداء والتسلط والتخريب.

١٠ـ إهمال العناية بالنفس واللامبالاة.

١١ـ الوسوسة والخوف من المستقبل.

١٢ـ التعلق بالأبوين أو أحد الاخوان أو أحد الأصدقاء.

١٣ـ القلق وعدم الاستقرار، وظهور حركات غير طبيعية.

١٤ـ التردد في إطاعة الأوامر الصادرة إليه من قبل الآخرين.

١٥ـ حقد الطفل على أحد أفراد عائلته أو جيرانه.

١٦ـ اعتناق الطفل لبعض الأفكار الشاذة والغريبة ليعوض عن مركب النقص الموجود لديه.

١٧ـ الإصابة بنوبات هستيرية أو نوبات صرع.

١٨ـ الخوف من الموت.

١٩ـ ضعف الثقة بالنفس.

٢٠ـ التردد في اتخاذ القرارات.

٢١ـ انعقاد اللسان والتهتهة واللجلجة.

٢٢ـ الانكماش والخجل.

٢٣ـ الجبن وعدم القدرة على التفكير المستقل.

٢٤ـ التبول الليلي.

٢٥ـ الكذب بأشكاله المختلفة.

٢٦ـ الميل إلى السرقة.

٢٧ـ نمو شعور الغيرة عند الطفل.

٢٨ـ ازدياد المشكلات الجنسية.

٢٩ـ الخوف من الظلام والليل وحالات السكون.

٣٠ـ الخوف من بعض المشاهد، كمشهد الدم أو ذبح الحيوانات، أو حالات الشجار بين الأفراد.

٣١ـ التعرض للإصابة بالأمراض المختلفة نتيجة الضعف البدني.

٣٢ـ زيادة أعراض الخوف بشكل تدريجي مما قد يؤدي الى الإصابة

بالأمراض النفسية الخطيرة والجنون.

٣٣ـ الانتحار في بعض الحالات.

الخوف عند الكبار: الخوف عند الكبار: إما أنْ يكون حديث النشوء نتيجة المعاناة التي يمر بها الإنسان أثناء مراحل حياته، أو استمرارية للخوف والعقد الكامنة داخله بعد تحوله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والتأهيل، حينما تبدأ المسؤوليات تزداد بشكل تدريجي ومستمر تبعاً للظروف التي يمر بها، حيث تضغط ضغطاً إضافياً على قابلياته وطاقاته، ومدى قدرة تحمله واستيعابه لهذه المرحلة الجديدة من حياته.

والخوف يزداد بصورة طردية مع تزايد ونمو فكر الإنسان، وتشابك التيارات والأفكار المطروحة أمامه، وبروز متطلبات حياتية جديدة تكون بمثابة أدوات إضافية ضاغطة على قدرة الفرد النامي، وعلى مجمل أُسلوب حياته وفكره وقابليته للصمود أمام هذه المستجدات.

والخوف عند الكبار: إما أنْ يبرز بشكل حاد ومؤثر، وتصبح نتائجه خطيرة على مستقبل الإنسان، فيدفع حياته ثمناً لذلك، أو ينمو مع نمو المشاكل وتطورها وتعددها وديمومتها. فانْ كانت معقدة ودائمة التأثير أصبح الأثر التدريجي الذي تتركه دائمياً ومزمناً، وذا قوة مؤثرة تجعل من الفرد مسلوب الارادة، والراحة، والقابلية، والإبداع، وأخيراً تؤدي به إلى الإصابة بعقدة الخوف القاتلة التي تحول حياته إلى قلق دائم ومرعب ومستحكم لا يمكن الخلاص منه.

ومن هذا نستخلص أن الخوف أنواع:ـ

أ ـ ذاتي: نابع من ذات الإنسان وداخله. نتيجة عوامل داخلية محضة، لا دخل للعوامل الأُخرى فيه كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوا

أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١].

ب ـ **غير ذاتي**: يصيب الإنسان نتيجة العوامل الخارجية التي يتعرض لها، ويعاني منها طوال مراحل حياته المختلفة.

ج ـ **مختلط**: وهذا النوع ناتج من تأثير العوامل الداخلية الموجودة في ذات الإنسان، إضافة إلى التفاعلات الخارجية التي تصيبه خلال حياته المستقبلية وتأثيراتها المتلاحقة.

وأسباب الخوف عند الكبار تختلف عمّا هي عند الأطفال، لتباين واختلاف المؤثرات الداخلية والخارجية على كل منهما، وهي:ـ

١ـ المنافسة: وهي أنواع منها:

أـ المنافسة العلمية والدراسية والأدبية: يقول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢].

فالمراحل الدراسية تجعل من الإنسان أنْ يعيش حياة قلقة، مضطربة، تتطلب منه بذل المزيد من الجهد للنجاح والانتقال إلى صف جديد، ومرحلة جديدة. وبالرغم من أنّ هذه المنافسة شريفة ومشروعة، إلّا أنها عامل ضغط لا ينكر على فكر الإنسان وحياته.

ب ـ المنافسة التجارية والاقتصادية: أصبحت المنافسة التجارية اليوم في عصر السرعة والعلم والتكنولوجيا، وعصر المضاربات التجارية، والتكتلات الاقتصادية، وعصر الابتكارات، والإبداع العلمي، مصدر قلق وخوف لكثير من الكسبة، والتجار والرأسماليين، والشركات ـ الصغرى والكبرى ـ وحتى الحكومات.

وهذه التقلبات التجارية السريعة في عالم اليوم، جعلت الإنسان الضعيف الايمان لا يطمئن لمستقبل عمله التجاري والاقتصادي.

---

(١) سورة النور: الآية ٥٠.

(٢) سورة المطففين: الآية ٢٦.

ج ـ المنافسة المالية: أصبح اقتناء المال، وزيادة الثروة ظاهرة تسيطر على أغلب أفكار الناس في مختلف بقاع العالم في الوقت الحاضر، وتأخذ قسطاً كبيراً مِنْ تفكيرهم. علماً بأنّ أغلب المشاريع التجارية وقوانين البنوك الحالية لا تستند إلى قواعد إسلامية تجعل مِنْ رأس المال الموجود مأمون الجانب. لا سيما إذا كانت تلك الأموال لم تجمع وفق القواعد الشرعية الإسلامية.

د ـ المنافسة السياسية والفكرية: وهذه المنافسة أصبحت اليوم الشغل الشاغل لأكثر الناس ، والمفكرين منهم على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، حيث اتخذ الصراع الفكري في العصر الراهن منحنى خطيراً، ومؤثراً على اختلاف مستويات وشرائح تلك الطبقات. فكل فرد أو حزب ـ وحتى الحكومات ـ تعيش حالة من التفكير والقلق السياسي الدائم حول مشاكل الحاضر وما يخبئه المستقبل. سواء كان هذا القلق مشروعاً وغايته خدمة الناس والمجتمع والدين. أو غير مشروع يخدم أهداف بعيدة عن السياسة الحقيقية الأصيلة والمفاهيم الدينية القويمة.

وعصرنا الحاضر يزخر بالصراعات السياسية والفكرية المتعددة الجوانب والأشكال والآفاق والمفاهيم. ولكن الصفة المميزة المشتركة لهذه المنافسة والصراع، هي عدم الاطمئنان والخوف والحذر من إمكانية النجاح أو الفشل في تحقيق ما يريده الفرد من سياسة أو فكر. أو ما تتوخاه الجمعيات والأحزاب من نجاح أو سقوط، خلال مراحل الصراع السياسي بين تلك الأحزاب. وما يرافق ذلك من تطورات دولية لها أثر ومساس مباشر في بقائها أو القضاء عليها.

هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ أغلب أهدافها وشعاراتها بعيدة عن روح الإسلام ومفاهيمه الحكيمة، التي لا مكان للخوف والقلق فيها إلاّ من الله ورسالته السماوية.

وجل مِنْ قائل: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً﴾[١].

هـ ـ المنافسة في الاختراعات والاكتشافات: العلوم اليوم كثيرة ومتعددة، وأغلبها أُكتشف لأجل خدمة الإنسان وراحته. وكسب المزيد من الربح الاقتصادي السريع، مما جعل الأفراد والشركات والحكومات في منافسة حامية مستمرة، لتقديم أفضل المخترعات التي تدر عليهم أعلى الأرباح وأسرعها.

لذا تحتم على كل طرف أنْ يكون في تفكير دائم، ومراقبة مستمرة للطرف الآخر، مترصداً بخوف وحسد أي مخترع أو تقدم علمي جديد، قد يؤثر على مستقبل اختراعه وصناعته وبالتالي مستقبله المالي والحياتي.

و ـ المنافسة الرياضية: أصبحت الرياضة تشغل حيّزاً كبيراً من حياة الفرد والمجتمع، وأصبح لها عشاقها وروادها ومحترفوها، وصارت جزءاً من تربية الفرد الصحيّة اللازمة في الوقت الحاضر.

وتشكلت الفرق الرياضية المختلفة في كافة الأحياء والمدن والدول، وتنوعت الألعاب كثيراً، وأصبح التنافس والتسابق بينها سمة وشعاراً، وأدى ذلك في نهاية المطاف إلى إيجاد حالة من القلق والخوف بين تلك الفرق من أجل تقدم المستوى الرياضي والمحافظة عليه.

(ز) المنافسة الدينية: بعد التطور الحاصل في وسائل الإعلام، والدعاية المحلية والعالمية، وسرعة التنقل بين المدن والدول، وازدياد عدد الذين يجيدون القراءة والكتابة.. أخذت المنافسة الدينية تشتد بين الأديان والمذاهب مِنْ جهة، وبين مَنْ يستغل هذه المنافسة والاختلافات لتحقيق مآرب وأطماع سياسية وخصوصاً الاستعمار العالمي، والصهيونية، وذوي النزعات التسلطية والانتهازية من جهة أُخرى. مما زاد

---

(١) سورة الجن: الآية ١٣.

من عمق هذه المنافسة وجعلها شائكة ذات مسار بعيد ـ في بعض الأحيان ـ عن الواقع الديني الذي وجدت مِنْ أجله.

واليوم نراها مصدر قلق لكثير مِنْ المخلصين الدعاة. وحتى المنافقين والمتاجرين باسم الدين مِنَ الذين يُسيِّرهم رجالات السياسة المحلية والعالمية من أجل منافع مالية أو سلطوية والذي قال الله فيهم: ﴿كَلَّا بَلْ لايَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾[1].

(٢) **الخوف من المرض:** بالرغم مِنْ تطور العلوم الطبية ـ تكنولوجياً ونوعياً ـ وكثرة الأطباء ، فإننا نلاحظ أنَّ عدد المرضى آخذٌ بالازدياد، والأمراض منتشرة ومزمنة في بعض المجتمعات والدول، والكثير مِنَ الأمراض لايزال مستعصياً على العلاج، والدواء قليل التأثير والفاعلية لأسباب عديدة لامجال لذكرها الآن.

كما أخذت العاهات الموروثة والمكتسبة نتيجة الجهد والإرهاق والقلق أثناء فترة الحمل، أو بسبب العامل المادي، الذي جعل المرأة تهجر البيت وتتجه إلى العمل تاركة تربية الأطفال لغيرها، تزداد بمرور الأيام مما نجم عن ذلك أمراض جسمية ونفسية لاحصر لها.

فتلك العوامل جميعها والتي مرَّ ذكرها جعلت الإنسان يفكر في نفسه ومستقبله، وينظر إليهما بمنظار الخوف والقلق والحسبان عند إصابته بأي مرض بسيط.

(٣) **الخوف من البطالة وفقدان العمل:** تطورت الحياة في الوقت الحاضر، وأصبحت التكنولوجيا الحديثة تغزو كافة الميادين، وتتنافس بأساليب مختلفة، لإيجاد الأسواق التي مِنْ خلالها تقوم بتصريف البضائع والمنتجات. والأخبار تنقل إلينا عن غلق بعض المعامل، أو تسريح آلاف العمال نتيجة الكساد، والركود الاقتصادي، أو شحة المواد الاولية، أو اكتشاف بدائل جيدة لبعض المواد المصنعة، أو الاستغناء عن الايدي العاملة المكلفة، بالآلات الالكترونية الحديثة القليلة الكلفة.

---

(١) سورة المدثر: الآية ٥٣.

وكإنعكاس لهذه النتائج المستجدة والمرتقبة نجد الآلاف ـ بل الملايين ـ من العمال أو الناس المرتبطين بهم يعيشون حالة الخوف والتشاؤم من جراء ماحدث أو سيحدث مستقبلاً.

(٤) الخوف من الحرب: يعيش العالم اليوم حالة تمحور واستقطاب بين محورين رئيسين في العالم، وتحاول كل من الدولتين العظميين السيطرة على بقية دول العالم بصورة أو بأُخرى، مستخدمة كل السبل المشروعة ظاهراً وغير المشروعة، ومسخرة جزءاً كبيراً من مواردها لإنتاج وخزن الأسلحة المدمرة والفتاكة التي تؤدي إلى دمار العالم، كالأسلحة النووية والكيمياوية والجرثومية.

وقد تلجأ تلك الدول إلى إثارة حروب محلية لغرض تصريف إنتاجها من السلاح، وإيجاد الأسواق الملائمة واللازمة لتصريف بضائعها، مستفيدة من المشاكل التي خلقتها في مختلف بقاع العالم بوسائل معروفة أو غير معروفة ـ تقليدية أو خفية الجانب ـ بواسطة عملائها المدسوسين هنا وهناك.

وبالتالي ينشب الصراع المسلح في داخل بعض الدول أو بين عدة دول متجاورة، ومايرافق هذه الصراعات من تصريف للمواد والسلاح غير عابئين بما يترتب عليه مِنْ تشريد الآلاف من الناس وتدمير ممتلكاتهم وبيوتهم في ظل هذا الهوس والجنون.

ويعيش عالمنا اليوم هذا الخوف في غمرة تسابق محموم لشراء السلاح، وإنشاء الجيوش الجرارة التي تهدد وتهدم قيم الانسان وطمأنينته، وتجعل فكره مربوطاً بما تثيره مراكز القوى الكبرى من أزمّات مفتعلة ـ كأزمة الصواريخ في كوبا ـ أو التهديد بحرب جديدة ـ كالحرب العالمية الثانية ـ التي راح ضحيتها ملايين الناس، وضربت فيها هيروشيما وناكازاكي بالقنابل النووية.

ولايزال العالم يعيش حالة حرب باردة بين الدولتين العملاقتين، الأمر الذي جعل الانسان يعيش وكأنه في حالة حرب قائمة فعلاً لامحالة لها.

(٥) الخـوف من الحياة العائلية: يعيش الإنسان فترة بحث وترقب وهو يحاول اختيار شريكة العمر الصالحة التي ستجلب له الراحة والسعادة، ويتم الزواج ويعقبه الانجاب وتزداد المتطلبات العائلية والمصروفات المالية المترتبة على توسع الأُسرة.

وتبـدأ المشـاكل المالية العائلية تطفو على سطح الحياة السعيدة فتعكرها وتحيلها الى شقاء عند بعض الأُسر، بحيث قد تدفع بالعائلة أو أحد أفرادها إلى سلوك حياة مضطربة تؤدي به في نهاية المطاف إلى الاصابة بالأمراض النفسية أو إحدى عقد الخوف التي تنغص حياته ومستقبله، وتجعله يتخبط في بحر من الأوهام والأفكار والهواجس.

هذه المسببات جعلت الطلاق وهجر العائلة وتفكك أواصرها يزداد بصورة ملحوظة ومأساوية، خصوصاً في أمريكا والدول الغربية التي تدعي التقدم.

(٦) الخوف من الكوارث الطبيعية: الكوارث الطبيعية التي تحدث في العالم لها أسبـاب وعوامل عديدة منها: التغييرات البيئية المختلفة التي طرأت على العالم نتيجة كثرة استعمال بعض المواد الكيمياوية، أو تفجير القنابل النووية، ومنها ماهو الهي لانعرف بالضبط الأسباب الحقيقية لها أو المراد منها كالأعاصير والزلازل وانفجار البراكين والفيضانات والجفاف، وموجات البرد أو الحر الشديدة.

هذه الكوارث جعلت أعداداً كبيرة من الناس يعيشون حالة وجل وترقب وخوف دائمي من المستقبل المجهول الذي ينتظرهم ويحيل حياتهم إلى دمار، بالأخص أُولئك الناس الذين يعيشون قرب البراكين، أو مايسمى بخط الزلازل.

(٧) الخوف من المجاعة ونقص الغذاء: لايخفي على أحد أنّ نفوس العالم آخذة بالازدياد، وأنّ بعض الأراضي قد فقدت صلاحيتها للزراعة بسبب سوء الإدارة.

وكل عام تحدث مجاعات في أماكن متعددة من العالم نتيجة التخطيط غير المدروس، أو بسبب الاستثمار الاستعماري المتعمد والمقصود، الذي يهدف إلى ربط

إقتصـاد البلدان الفقيرة والنامية بالعجلة الاستعمارية، لكي تسهل السيطرة عليها واستعبادها اقتصادياً وسياسياً.

وهذا ماجعل من إطروحة الانفجار السّكاني أداة تهديد استعمارية تشهر في وجوه الناس البسطاء والدول الفقيرة، كلما أراد الاستعمار أنْ يحقق له هدفاً يضمن الربح المادي الكثير.

ومما لاشك فيه أنّ هذه الورقة الرابحة التي يستعملها الاستعمار، ويهدد بها في أكثر المناسبات عبر وسائل إعلامه الخبيثة، لاقت القبول لدىٰ الكثير من الناس والدول، وجعلتهم يتطلعون إلى المستقبل بتشاؤم وقلق، وكأنّ المجاعة قادمة لامحالة، وأنّ البشرية ستمر بفترة مظلمة تطغى فيها المجاعة على كل شيء.

ولكن لو فكر الناس بإيمان وواقعية، لأدركوا أن الخالق العظيم قد ضمن للنـاس الحياة الكـريمة، التي توفر لهم كل مستلزمات الرفاه الاقتصادي والعيش الكريم، تحت ظل الاقتصاد الاسلامي السليم. حيث لايخفى على أحد أنّ المليارات المكدسة من الأموال وملايين الأطنان من الذهب المخزون، لو أُحسن استعماله بصورة إسلامية صحيحة، بدلاً من صرفه على تطوير السلاح القتّال، لما بقي إنسان جائع على وجه الأرض.

(٨) الخـوف من العقاب الآلهي والموت والحساب: يقول الله سبحانه:
﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾[1].

الخوف من الموت وساعة الحساب والآخرة موجود عند كل إنسان، سواء كان مؤمناً أو كافراً، وهذا الخوف يتجسم بوضوح عند قسم كبير من الناس الذين يعتنقون مبدأ الالحاد أو الديانات الأُخرى غير السماوية التي لاتؤمن بالله واليوم ألآخر.

إلّا أنهم شاءوا أم أبـوا فإنّ عقـدة الخوف من دنو الأجل وملاقاة الموت

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

ومابعده موجودة لديهم، ومسيطرة على مخيلتهم وتفكيرهم، وربما كانت إحدى العوامل التي عن طريقها يسلكون طريق الهداية والخير.

وعزّ القائل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١].

أما المؤمنون الذين كلما ذكر الله والموت والحساب، ازدادوا ايماناً ورهبة وخشية من تلك الساعات، حيث يواجهون الخالق الرحيم وكلهم إيمان وأمل بأنّ ما عملوه هو لله الواحد القهار، وأن النتيجة والمصير معروفان بلاشك، لأنّ الله لايضيع أجر من أحسن عملاً من المؤمنين.

وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٢].

إذن فخوف المؤمن يختلف عن خوف الكافر لأنّ هذا النوع من الخوف يترتب عليه الإيمان والسكينة والقناعة والسلوك الإنساني الحميد. فالدنيا دار امتحان مؤقتة وقنطرة للعبور إلى دار الأمان والراحة والخلود.

(٩) الخوف من تسلط الحكام الظالمين: الخوف الحقيقي ـ كما أوضحنا سابقاً ـ لايكون إلاّ من الله.

والإمام الحسين (عليه السلام) يخاطب الناس وهو يحارب في ساحات القتال، ويأمرهم بعدم طاعة الحاكم الجائر الظالم، حيث يقول بأعلى صوته: *«إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما»* و*«كونوا أحراراً في دنياكم»*. لأنّ الحاكم الظالم بلاء على الناس والمجتمع والدولة، وحتى على الدول الأُخرى المجاورة بعض الأحيان.

وما أكثر الحكام الظلمة في عصرنا هذا الذين أفرطوا في ظلمهم كيفاً، وجاءوا

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥١.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٦.

بجميع معاني الظلم إذا لم نبالغ.

ولنا أنْ نتصور الحالة النفسية والمعاناة اليومية والحياتية التي تحل علينا من جراء تسلط هذا الحاكم الظالم أو ذاك.

فعندما يعيش الإنسان تحت ظل نظام تسلطي إرهابي غير قانوني وغير إسلامي، لابدَّ وأنْ يكون عرضة لأي نوع من أنواع الاضطهاد، والانتهاك، والمضايقة السياسية، أو الدينية، أو الاقتصادية، أو العنصرية. وحتى الأخلاقية. وغيرها مما لاتخطر على باله وفكره.

لأن ذلك الحاكم يتسلط على رقاب الناس بقوة السيف والمادة، فلا قانون أو دين يردعه، ولا عقل أو ضمير يمنعه من عمل مايُريد، وإنما يعمل بما يمليه عليه فكره العنيف وعقله البليد، لأنَّ الناس في نظره ليسوا سوى عبيد يسيرهم وفق رغباته وشهواته وجنونه.

وفي هذه الحالة لايبقى للفرد أية قيمة وهو يعيش في ظل كابوس الخوف والتناقض، ويلازمه شبح الطاغوت في كل ساعة ويوم، ولايفارقه حتى في الأحلام أحياناً.

(١٠) الخوف من الحوادث اليومية والمجهول: يعيش اليوم الملايين من الناس حياة روتينية، وليست لديهم مشاكل أو مضايقات يعانون منها، إلاّ أنَّ طبيعة أعمالهم التي يمارسونها، أو البيئة التي يعيشون فيها، تجعلهم في حالة من الخوف المرتقب الذي قد يحل بهم في أي لحظة. كعمال الكهرباء والإطفاء والمجاري، وعمال معامل السموم والمبيدات وعمال المناجم والطائرات، وخبراء المتفجرات وشرطة مكافحة الإرهاب، والحراس الليليين.

أو أحياناً الخوف من الحيوانات عند القرويين وغيرها.

وهنالك حالات عديدة ينتاب الانسان فيها نوع من القلق والخوف الذي لامبرر له. وعند السؤال عن السبب، تجد الجواب مجهولاً وغامضاً.

نتائج الخوف عند الكبار: بعد أنْ تجلت الصورة أمامنا عن مدى تأثير الخوف، والعوامل النفسية المختلفة على روحية وجسم الانسان، وماتتركه من آثار سيئة على صحته وتؤدي إلى تدهورها وانحرافها، نورد الآن أهم النتائج النفسية والبدنية التي تنشأ عنها، وهي:ـ

(أ) الإصابة بمختلف الأمراض النفسية:

١ـ القلق الدائم.

٢ـ الكآبة والحزن.

٣ـ التشاؤم الدائم.

٤ـ الهستريا.

٥ـ إهمال النفس والهندام.

٦ـ الشك وعدم اليقين.

٧ـ انفصام الشخصية.

٨ـ الهلوسة.

٩ـ جنون العظمة.

١٠ـ داء النسيان.

١١ـ الخوف من الموت.

١٢ـ حب التسلط.

١٣ـ تغير السلوك الشخصي.

١٤ـ بروز ظاهرة الكذب.

١٥ـ التخلف العقلي.

١٦ـ الجنون.

١٧ـ الانتحار.

١٨ـ عقدة الشعور بالذنب.

١٩ـ حب الاعتداء وازدياد النزعة نحو الإجرام.

(ب) الشذوذ الجنسي بكل أشكاله.

(ت) الإدمان على الكحول والمخدرات.

(ث) الميل نحو السرقة.

(ج) تدهور الصحة الجسمية وفقدان الشهية للطعام.

(ح) العزوف عن العمل أو تعثر العمل.

(خ) فقدان عنصر الابتكار والابداع.

(د) التأخر الدراسي والعلمي.

(ذ) عدم الاستقرار العائلي وتفكك الأُسرة.

(ر) اختلال الوظائف الجنسية، كالبرود الجنسي عند المرآة، والعنّة عند الرجل.

(ز) الصداع المزمن والاصابة بداء الشقيقة.

(س) الحساسية والربو القصبي.

(ش) تساقط الشعر من الرأس.

(ص) الإصابة بالأمراض الجلدية المزمنة.

(ض) التهاب الأمعاء الغليظة (القولون).

(ط) الإصابة بقرحة المعدة والاثنى عشر والتهاب البنكرياس.

(ظ) الإصابة بمرض السكر.

(ع) الإصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم بكافة أنواعه.

(غ) ازدياد الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، كالسكتة القلبية وغيرها.

(ف) ازدياد الإصابة بمرض الروماتيزم.

(ق) ازدياد الإصابة بمرض السرطان.

(ل) ازدياد الإصابة بالجلطة الدماغية والشلل.

(ك) الإصابة بتورم الغدة الدرقية.

(م) اضطرابات الحمل وتشوه الجنين والاسقاط.

(ن) تسوس الأسنان.

(هـ) إنبعاث روائح كريهة من الفم.

(و) إنبعاث روائح كريهة من الجسم خصوصاً من تحت الابطين.

(ي) عدم الالتزام بأحكام الدين.

(يا) ترك التوكل على الله والاتكال بالوسائل المادية.

(يب) العزوف عن الإيمان الحقيقي بالله.

(يت) الميل نحو أظهار الكفر بالدين.

(يث) اعتناق المبادئ الالحادية الهدامة.

وهكذا تتضح لنا الصورة المؤلمة بكل أبعادها، من جراء تسلط الخوف والقلق على جميع الناس وبمختلف الأعمار ـ صغاراً وكباراً ـ وفي ظني أنَّ النتائج التي أوجزناها كافية لتوضح لنا مدى إتساع هذه المشكلة.

[لقد أدى القلق والاضطراب النفسي إلى تحول ثلة كبيرة من المتمدنين المعاصرين في العالم إلى مرضى، وهذا المرض المؤلم قد سلب راحة المصابين به من الرجال والنساء. فنجد البعض منهم يستعينون للحصول على نوم بضع ساعات والاستراحة بأقراص مخدرة ومنومة. أما في اليقظة فصراع دائب مع الآلام الباطنية والقلق المستمر، والبعض الآخر يلجأون لنسيان أنفسهم لبعض الوقت والتخلص من شر القلق الداخلي إلى استعمال المشروبات الروحية والحشيشة، وهم بعملهم هذا يهدمون صرح سعادتهم وسلامتهم.

أما القسم الآخر فإنهم قد فقدوا القدرة على المقاومة بالتدريج، على أثر الضغط الروحي المتواصل والقلق المستمر إلى حيث الاصابة بالأمراض النفسية أو

الجنون وقضاء ما تبقى من العمر في مستشفيات المجانين بأسوأ حال وأشنع صورة.

وهناك طائفة تأزمت حالتها تجاه المضايقات الروحية المستمرة إلى درجة أنها أفلتت عنان الاختيار من يدها، وأقدمت على الانتحار من القلق والألم، وبهذا الوضع المزري ينهون تلك السلسلة من الاضطرابات][١].

لنعد الآن إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

فالآية الكريمة تدل على أنّ لكل شيء ثمراً، فالذي يريد أنْ يجني ثمراً عليه أنْ يزرع ويبذل الجهد ليحصل على مايُريد، وكذلك العامل والمؤمن وكل من يُريد الآخرة والجنة ورضىٰ الله، عليه أنْ يضحي في حياته، ويصبر على مكاره الدنيا وامتحاناتها، فلا جنة بدون امتحان وتمحيص. وعلى الناس أنْ يمروا بسلسلة من الاختبارات والامتحانات القاسية التي تظهرهم على حقيقتهم، حتى يكونوا أهلاً لرضىٰ الخالق كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾[٢].

ومن المعلوم والواضح والبديهي أنّ أشد أنواع الامتحان صعوبة على النفس هو فقدان المال أو إعطاؤه جبراً، والموت، أو صعوبة الحصول على الغذاء اللازم، أو مرور الإنسان بحالة من القلق والخوف التي قد تؤدي إلى زعزعة إيمانه وهز كيانه ووجدانه.

ولكن الشيء الذي يلفت النظر ويعتبر من المعجزات القرآنية التي حيرت علماء النفس والباحثين، وجعلتهم يقفون موقف الاحترام والاجلال والخشوع والايمان، هو دقة وإعجاز وشمولية آيات القرآن، وتوافقها الدائم وتفسيرها ـ الذي لايقبل الطعن والنقاش ـ للمستجدات التي تظهر للوجود خلال المراحل الزمنية

---

(١) الشيخ محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

الحاضرة والمستقبلية، وما يرافقها من اكتشافات علمية ومشاكل اجتماعية جديدة.

فالله سبحانه وتعالى قدم الخوف في هذه الآية على غيره من الامتحانات الآلهية، لكي يتبين عندهم عمق الايمان وصدق الحقيقة، قبل غيرها من الامتحانات كالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات. علماً بأن الخوف وغيره جاء جزئياً وليس، كلياً، لأنّ الانسان الاعتيادي لا طاقة له على تحمل الخوف الكلي الشمولي الذي يتطلب أعلى حالات الاستعداد النفسي والصبر والصمود.

وخلاف ذلك يصبح الانسان عرضة للانهيار النفسي والعصبي، الذي قد يقوده إلى الضلال وحاشا لله وهو أرحم الراحمين.

فلا عجب أنْ ترى الدهشة تصيب بعض قراء القرآن الكريم الذين ليست لديهم المؤهلات أو العمق العلمي الكافي من التفسير وهم يلاحظون باستغراب .

إنّ الخوف يتصدر قائمة الامتحانات التي فرضها الله على عباده، ليرى الصالح منهم والطالح على بقية الامتحانات الأُخرى، والتي هي بنظرهم أكبر وأعظم وأشد من الخوف في تأثيره على البشر.

وهنا تكمن حقيقة كون القرآن، كان ولايزال وسيبقى، من أكبر معجزات الاسلام التي خلدها الدهر والعلم.

فالآية الكريمة عند مقارنتها ومطابقتها مع الواقع الذي بيناه وفصلناه بما مرّ ذكره، يتجلى لنا الاعجاز الربّاني والقرآني بأسمى وأجل وأقدس معانيه، إذ أنها وضّحت لنا الحقيقة بأسبقيتها وقوة تأثيرها على الانسان.

ولنأخذ ـ مثلاً ـ أحد الأفراد الذين يعيشون على ظهر هذا الكوكب الشاسع، ونجري عليه بعض الامتحانات والاختبارات التي من خلالها نستكشف المعجزة القرآنية في هذه الآية، ونرى النتيجة المعطاة بعد ذلك.

فالانسان خلال مسيرة حياته، إذا تعرض لخسارة، أو جوع، أو فقدان أحد أحبائه، أو أفراد أُسرته، قد يصاب ـ أو لايصاب ـ بصدمة معينة تلازمه بعض الأحيان،

وفي الغالب تمر بشكل سريع، ولكن بمرور الأيام يحل النسيان محلها، ولايبقى منها شيء يذكر خلال مسيرته الحياتية. بينما الخوف والقلق الذي غطى أغلب طبقات المجتمع فرض نفسه على الانسان بصورة دائمة ومخيفة، وبتناسب طردي مع تقدم الحياة وعصريتها والآثار الناجمة عنها.

وأظن أنّ أغلب النـاس بدأوا يشعـرون بعظم هذه الكارثة التي تلازمهم كالظل، ولو سألنا الآن الطاعنين في السن عن الكثير من الأمراض التي ظهرت حديثاً بشكل كبير وازدادت بصورة غير متوقعة ومحسوبة لأظهروا العجب، وأنكروا وجودها سابقاً بهذه الحالة الرهيبة.

فلا عجب إذا شاهدنا أنّ كثرة المستشفيات والأطباء والعقاقير لم تعد كافية، وليس بمقدورها كبح جماح الزيادة الرهيبة في الأمراض النفسية، وخصوصاً الخوف والقلق. ولانستغرب أنّ كثيراً من الناس لم يسمعوا سابقاً بمرض السرطان، لا بسبب عدم وجوده، ولكن لندرته وقلة الناس بالمصابين به.

ومرض السكر هو الآخر كان من الأمراض النادرة، والمصابون به لايتعدون العشرات، وكذلك ضغط الدم، والسكتة القلبية، كانت من العجائب عند الأقدمين.

أما قرحة المعدة وتهيج (القولون)، وقلة الشهية، والعزوف عن الطعام، فهي عجيبة اُخرى، أو نكتة يتداولونها في أحاديثهم، لأن الانسان كان يأكل من الطعام أضعاف ما يأكله الآن بالرغم من عدم تنوع طعامه ومأكله.

والإحصاءات الحديثة التي تبين زيادة الأمراض النفسية والجسمية بصورة مضطردة وكبيرة، هي بلا شك برهان قاطع على أنّ الخوف والقلق سيكون مشكلة المستقبل التي يستعصى حلها والسيطرة عليها.

كما أنّ وجود المال الوافر والعقارات الكثيرة وكثرة الأولاد وتوفر الغذاء، لاتجعل الانسان سعيداً إذا كان مصاباً بعقدة الخوف، التي تجعله ينظر إلى المستقبل بعين القلق والاضطراب، كما أنّ الأضرار الناجمة منها لايمكن تعويضها بتلك النعم الزائلة. وقد يكون الموت سعادة لبعض الناس المؤمنين، أو خلاصاً ظاهرياً للأشقياء

والمرضىٰ من شقائهم ومرضهم.

وأمامنا الآن أمثلة كثيرة على أنَّ الخوف والقلق إذا استمر وأخذ يغلي ويتفاعل في صدر الإنسان، فربما يجره إلى مكاره كثيرة تؤدي به في النهاية إلى ارتكاب مختلف الجرائم كالقتل، والسلب، وإيذاء الناس، وتدمير الممتلكات، وغيرها.

إذن هكذا الصورة الحالية لإنسان القرن العشرين الذي يعيش الخوف بمختلف أشكاله ومعانيه، فلنا أنْ نتصور حالة إنسان مابعد هذا القرن حينما تزداد الاضطرابات ويعم الخوف المرعب نتيجة العوامل التي مرّ ذكرها واستفحل أمرها، مضافاً إليها التفكك العائلي الذي نشهده الآن بكل أبعاده ومآسيه، والسباق المادي الطاغي، وابتعاد الناس عن الالتزام والتمسك بالدين الاسلامي الحنيف، الذي يدخل السعادة إلى قلوبهم ويجعل منهم جبلاً شامخاً يكافح الصعاب.

وأخيراً لايبقى أمامنا إلّا باباً واحداً يحوي كل الحلول الجذرية المطلوبة، ألا وهو الايمان الكامل بقضاء الله وقدره. لأن الايمان بالله يجعل الانسان في أقصى وأعلى وأتم حالات الهدوء الروحي والنفسي، ويزوده بالقدرة الكافية على كبح شهواته وغرائزه وميوله، ويمكنه من الاحتفاظ بشخصيته أمام الحوادث والويلات التي تجلبها الحياة، ويكسبه الحصانة الآلهية التي تمنعه من السقوط في خضم الاضطرابات النفسية العديدة.

[هنا يظهر دور الإيمان الكبير في علاج مرض القلق، فإنَّ المؤمنين يتسندون إلى الله تعالى في مد الحياة وجزرها. ويستعينون بألطافه وعناياته باستمرار، ولذلك فهم يملكون أرواحاً قوية، ونفوساً تتحدى التحطيم، ولايفشلون أمام تقلبات الحياة، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. إنَّ المؤمن لايشعر بالصغار والذلة أبداً، لأنه يجد أنه يستند إلى أعظم قوة

---

(١) سورة الاحقاف الآية ١٣.

في الوجود، ذلك هو الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]][٢].

ويقول (وليم جيمس) أبو علم النفس الحديث وأُستاذ الفلسفة في جامعة (هارفرد): [إنَّ أشد العقاقير تأثيراً في رفع القلق هو الإيمان بالله والاعتقاد الديني][٣].

فالحاصل النهائي الذي يتوجب على الإنسان الأخذ به هو التوكل على الله، لأنه نعم المولى ونعم النصير.

ولأنَّ الخائف لاعيش له، والحزن يهدم الجسد، والهم نصف الهرم كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام [٤].

* * *

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) العلامة الشيخ محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية.

(٣) دع القلق وابدأ الحياة: ص١٥٩.

(٤) سفينة البحار للشيخ عباس القمي.

الموضوع الثاني

« فرعــون »

شاءت الظروف والصدف أنْ يحكم بعض مناطق العالم في حقبة من الزمن بعض الملوك والأُمراء الذين وجدوا أنفسهم على رأس السلطة، فأخذوا يتصرفون بما يحلو لهم متمتعين بكل السلطات والصلاحيات المطلقة التي تتيح لهم التصرف بالدولة وكأنها ملك آبائهم، وبالناس كالعبيد المطيعين.

وقد مارس هؤلاء الحكام مختلف الأعمال، وارتكبوا المآسي التي تفوق حدّ الاحصاء، بسبب تلك الصلاحيات والقدرة التي كانوا يتمتعون بها. فمارسوا الهيمنة على الناس بأبشع صورة، وقبضوا على السلطة بيد حديدية قاسية لاترحم ولاتسمح لأحد حتى بابداء الرأي في الأُمور البسيطة، لأنّ كل الأشياء والموجودات في نظرهم هي من بركـات وجودهم، وهذا ما حدا بهم بصورة تدريجية أنْ يتخيلوا ويتصوروا أنفسهم أُناساً غير عاديين، وأنّ بقية بني البشر هي مخلوقات دون مستواهم من جميع الوجوه.

وقد أدىٰ بهم هذا الوضع الشاذ والمصطنع في نهاية المطاف إلى أن يصابوا بجنون العظمة والخيلاء، فعاشوا وتصرفوا وفق هذا التصور الخاطئ، الذي جرفهم في النهاية إلى حالات نفسية معقدة اختلفت من واحد لآخر، وتراوحت بين الدكتاتورية والأنانية وحُب التسلط والعظمة، وحتى بعض حالات الجنون العنيفة.

وَمِنْ هؤلاء الحكام (فرعون) الذي حكم (مصر) بقوة الحديد والنار، وسخر الناس لمآربه الخاصة، حتى أعلن عن نفسه بكل وقاحة بأنه إلهٌ واجبةٌ طاعته، وأخذ يتصرف بمصر وأهلها بصفته الربّ المقدّس الذي أوجد ومنح لهم النعمة.

هكذا أخذ (فرعون) يفعل مايشاء وفق عقليته السوداء التي سيطرت عليه. فنصّب على رؤوس الناس الطغاة والمارقين وقتل الكثيرين بأسباب واهية، واستولى

على مايُريد وفق أحكامه الخاصة المطلقة، وحسب الصلاحيات والدساتير الإلهية التي وضعها بنفسه ولمصلحته.

هذا (الفرعون) إذا أردنا أنْ ندرس ونحلل حالته النفسية طبقاً لما وصلتنا من الأخبار عن طريق: القرآن والسنة والأئمة الأطهار(ع)، نجده إنساناً غير طبيعي، غلبت عليه بعض الأفكار والحالات النفسية الغير طبيعية، حتى جعلت منه في النهاية إنساناً مريضاً تقوده تلك الأفكار والحالات، ولايستطيع أنْ يفكر بأي شيً إلاّ وفق هذه التصورات والمعايير.

ومما زاد الطين بلة هو أنّ الزمرة المحيطة به كانت تصور له الأُمور، وتقدم له الخدمات، وكأنّه إلهٌ حقاً وحقيقة، وأنّ المخالفين له ماهم إلاّ أُناس كفرة يستحقون العذاب والموت.

القرآن الكريم صوّر لنا (فرعون) بآيات عديدة، وعرض علينا بعض أفكاره وآرائه وأحكامه وتصرفاته الشخصية والعامة، مع الناس ومع النبي موسى(ع) بشكل خاص، بأسلوب علمي لطيف يوضح بجلاء الحالة النفسية التي وصل إليها (فرعون) عندما ادّعىٰ الربوبية.

والآن وبعد مقارنة الأفكار التي كان يحملها (فرعون) والحالة النفسية التي آل إليها، حسبما جاءت على لسان القرآن الكريم مع علم النفس الطبي الحديث، يتوضح لنا المرض النفسي الذي ألمّ بفرعون نتيجة الغرور والكبرياء والربوبية المزيفة التي سيطرت عليه، عندما أُتيحت له الفرصة ليحكم مصر، حيث نرى أنّ (فرعون) وبتأثير تلك الأفكار الشاذة، والظروف النفسية المعقدة التي أحكمت الطوق عليه وعلى حاشيته المنافقة، يتصرف بقسوة وعنف قال الله عنها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

---

(١) سورة القصص: الآية ٤.

وعندما يأتي النبي (موسى)«ع» إلى (فرعون) ويعرض عليه الايمان بالله بأسلوب رباني، وبآيات بينات، ومعجزات إلهية، يرفض (فرعون) ذلك، لأنّه هو الرب الأعلى ولا ربٌّ غيره.

﴿إذْهَبْ إلىٰ فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغىٰ.فَقُلْ لَهُ هَلْ لَكَ إلىٰ أنْ تَزَكّىٰ.وأهْدِيَكَ إلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ.فَأَرٰيهُ الآيَةَ الكُبْرىٰ.فَكَذَّبَ وَعَصىٰ.ثُمَّ أدْبَرَ يَسْعىٰ.فَحَشَرَ فَنادىٰ.فَقالَ أنا رَبُّكُمُ الأعْلىٰ﴾[١].

ويثور على الرسول الجديد ويستهزئ برسالته السماوية، ويشكك بها بطريقة مسرحية تدل على أنه مريض بداء جنون العظمة والوسوسة النفسية، فيقول: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أيُّها المَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلٰهٍ غَيْرِي فَأوْقِدْ لِي ياهامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحاً لَعَلِّي أطَّلِعُ إلىٰ إلٰهِ مُوسىٰ وإنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ.وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أنَّهُمْ إلَيْنا لايُرْجَعُونَ﴾[٢].

ويستمر مخاطباً الحاضرين من حوله: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ العالَمِينَ﴾[٣]، أنا الرب الأعلى وأنا المالك والقادر والمعطي: ﴿وَنادىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ ياقَوْمِ ألَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الأنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أفَلا تُبْصِرُونَ.أمْ أنا خَيْرٌ مِنْ هٰذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلايَكادُ يُبِينُ﴾[٤].

ولكن النبي موسىٰ(ع) يجادله باللين واللطف كما أمر به الله، وبما يملك من آيات، وفرعون يرفض ويتهم موسى بأنه ساحر ومخرّب. ﴿قالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ.يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَماذا تَأْمُرُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة النازعات: الآيات ١٧ـ٢٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٨ـ٣٩.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٣.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥١ـ٥٢.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٣٤ـ٣٥.

ويهدده أمام الملأ بالسجن والعذاب والقتل إذا تكلم عن إله آخر غيره ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ.قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ.قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

ويلتفت (فرعون) إلى الحاشية المنافقة التي زينت له الأعمال قائلاً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٢]

ولكن النبي موسى(ع) يقدم له البرهان تلو البرهان ويدعوه للمناظرة وينتصر عليه، ويؤمن السحرة من أصحاب فرعون بما جاء به النبي موسى(ع)، لأنهم رأوا الحق واضحاً أمامهم، وهنا تثور ثائرة فرعون الطاغي وينفعل بعصبية حادة، ويرفض المعجزة التي حدثت أمامه. ويصاب بصدمة نفسية تهيج أعصابه، وتجعله حاد المزاج سريع الأحكام.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

ويرفض هذا الواقع بشدة ولايقبل بالمعجزة التي حدثت، والبرهان القاطع الذي جاء به النبي موسى(ع) لأنَّ نفسيته مريضة، وتصرفاته تحكمها الأفكار الشاذة التي سيطرت عليه بشكل مؤثر جعلته أسيرها، فهو في نظره المريض إله ومرشد وطاعته واجبة.

نعم، هذه هي حالة (فرعون) النفسية كما وردت في القرآن الكريم، وقد جاءت مطابقة للأعراض التي تظهر على الانسان عند إصابته بداء العظمة والوسواس النفسي الشديد.

وباستعراض تلك الأعراض المرضية لداء العظمة والوسواس النفسي،

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٩ـ٣١.

(٢) سورة غافر: الآية ٢٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٤٩.

تتضح لنا في نهاية البحث الصورة الكاملة بكل أبعادها ومحتواها.

أعراض مرض اضطراب النفس الوسواسي وداء العظمة:ـ

١ـ يظهر دائمًا بمظهر الشخص الفضولي، ويكون بعض الأحيان متحذلقاً يصل حد الإضحاك.

٢ـ يهتم بالأُبهة والمظهر والديكور الزائد عن اللازم.

٣ـ الحـذر بدرجة كبيرة محاولاً من جعل الأُمور مرتبة وذات نظام خاص ومعين تتلاءم وذوقه الخاص.

٤ـ يظهـر بصـورة الشخص المتكـامـل ذي الشخصية الناضجة، محاولاً السيطرة على نفسه بقوة وإحكام، وكذلك يجهد للسيطرة على الآخرين سواءاً عن طريق الأفكار أو القوة.

٥ـ يتصرف بطريقة أنانية وفردية زائدة.

٦ـ يكون صلباً وعنيداً في آرائه وأحكامه، ولايعرف الرأفة مع الآخرين.

٧ـ يريد أنْ تكـون الوقائع والأحداث مسندة بأدلة كافية أو مرئية لغلبة عنصر الشك في نفسه، ويعطي الأوّليات للأُمور الثانوية بدلاً عن الفكرة أو الموضوع الرئيسي.

٨ـ يجب أنْ تكـون الأشياء قطعية وحـادة خصوصاً إذا كانت الفكرة أو الموضوع من أُم أفكاره.

٩ـ شديد الحساسية تجاه الآخرين ولاتؤثر عليه رغباتهم وآراؤهم وطلباتهم.

١٠ـ عنده مجموعة من المقاييس الثابتة والأفكار المعينة التي لايتزحزح عنها إلّا بصعوبة، ويستجيب بطريقة معقدة وملتوية عندما يقع في ورطة أو يواجه بحادثة خصوصاً في حالة حضور جمع من الناس.

١١ـ يظهـر عليه العنف الشديد عندما يقابل بطلبات أو رغبات مغايرة لمبادئه وآرائه المتسلطة.

١٢ـ يراوغ ويحاول أنْ يترك منـافذ للأُمور بشرط أنْ تكون تلك المنافذ مرتبطة بوسيلة أو أُخرى مع آرائه السابقة المتصلبة[١].

* * *

(١) Davidson's principle and practice of medicin.

الموضوع الثالث
« الرسول الكريم »

ليس الكلام عن رسول الله(ص) مثل الكلام عن غيره من عظماء الرجال الذين كان لهم فضل على الإنسانية بتوجيهها وجهة الخير والحق والكمال.

والانسان مهما أُوتي من فصاحة الكلام، وقوة التعبير، وسعة الخيال، ودقة التصوير، فما هو ببالغ الوفاء في ناحية من النواحي التي برّز فيها، فضلاً عن الاحاطة بكل النواحي التي فاق فيها غيره من سائر البشر.

إذا كانت النفس الانسانية في ذاتها معضلة العلم، ومشكلة الفلسفة، وعقدة الحكمة من القدم إلى اليوم، وإذا كانت المعارف الانسانية بأجمعها، وقوانين علوم النفس برمتها، لم تزل قاصرة عن تتبع سير النفس في حركتها وسكناتها، والإشراف على سر تطوراتها في صلاحها وفسادها، وعاجزة عن الالمام بصفة عروجها في عالمها على أجنحة الفضائل، أو هبوطها بدوافع شهوتها إلى حضيض النقص والرذائل، فكيف يطمع باحث أنْ يقف على حقيقة روح نزلت من حظائر الملأ الأعلى، وانفصلت من سرادقات العالم الأسمى، واتصلت بأبدع وأكمل صورة من صور المادة، لتأخذ في الأرض بيد أرواح غرقى، وتنجي من الغم نفوساً هلكى، وتتم من مكارم الأخلاق خداجاً ونقصاً، وتعد النفوس لكمال طالما حنت إليه حنيناً وبكت عليه الضمائر شوقاً.

درس هذه الروح يستلزم معارف جلى، وعلمًا جماً، ويستدعي من الباحث بعلم النفس إحاطة كبرى، وبضمائر المساتر معرفة عظمى.

مَنْ ينكر علينا أنَّ هذه الروح المحمدية الطاهرة الكريمة، نشأت بين قوم كانـوا من الدين في وثنية، ومن الأخلاق في همجية، ومن العادات في وحشية، ومن الاجتماع في انقسامات قبيلية، وتحزبات عصبية، ومن المدارك في جهالة، ومن الأفكار في ضلالة، ومن الوجود في عماية، ومن العقائد في غواية، ومن الأنظمة في فاقة، ومن

القوانين في حاجة؛ حروب متواصلة، وأحقاد متوارثة، ودماء مهدرة، ومهج مهراقة، وعادات نشبت فيهم نشوباً، وغرست فيهم عيوباً، وجرت عليهم خطوباً، وطباع خلعتهم عن مقتضى الفطرة، ونبت بهم عن مطالب الخلقة، واصطلاحات بعدت بهم عن قوانين الطبيعة، وألقت بهم إلى مطارح الرذيلة، وأشربت نفوسهم سموم القطيعة، صناديد لايفكرون في غير الغارات، ولايفاخرون إلّا بطعن الردينيات وضرب المشرفيات، شعراء ولكن في الدعوة إلى القتال، وتيتيم الأطفال، وإفناء الأهل والمال، أقوياء ولكن في نسف المعالم، واكتساح المغانم، نجداء ولكن ضد بعضهم، شجعان ولكن على أنفسهم.

وَمَنْ ينكر علينا، أنّ هذه الروح المحمدية الشريفة، قامت في مبدأ الأمر وحدها بدون نصير، ولاقت مما يحيط بها من الأرواح مقاومات عنيفة، ومخاصمات شديدة، وفتناً مظلمة، وإحناً حالكة وصدوراً وغرة، وأعداء فجرة؟

وأنها صبرت تجالد هذه الأرواح سنين متوالية، تأخذها بالنصيحة مرة، وبالترغيب أُخرى، وبالترهيب حيناً، وبالجدال أحياناً، فكانت بذلك وحدها أمام أُمة بأسرها، ترمقها عن بكرة أبيها شزراً وتتوعدها شراً، وتهددها سراً وجهراً، وتنصب لها الحبائل، وترصد لها المخاتل، وتغري بها اللئام والرعاع، وتثير عليها الاحن والأحقاد؟

وكيف فازت في النهاية على جميع مجاوراتها، وأخضعت لسلطانها جميع عدواتها، وسائر حواسدها، وأتمت كل وظائفها، ثم صعدت إلى حيث أتت، قريرة العين مرتاحة البال، لم ينلها من تألب أعدائها شيئاً، ولم يلحقها في أداء وظيفتها فتور ولاونى، ولم تصعد حتى نقشت اسمها في صفحات الوجود نقشاً لايمحى، وأبقت فيه أثراً لايبلى، واستخلفت فيه روحاً لاتزهق، وحياة لاتضمحل أفاعيلها في تابعها إلى يومنا هذا. ومن يرد أنْ ينكر كل هذه الحوادث فلينكر، الشمس طالعة والنجوم ساطعة، ونفسه الجاحدة.

إنَّ شخصية رسول الله(ص) من أوضح شخصيات الانسانية التي سجلتها صحف التاريخ الموثقة بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، التي إنْ أنكر الناس الشمس ودورتها في الفلك، كان لهم أنْ ينكروا « محمداً(ص) » وظهوره في هذه الفترة من التاريخ وفي هذا المكان من العالم. ولله تعالى في هذا حكمة وتدبير.

نعم لقد كان الرسول الأكرم(ص) أكبر معلم عرفته البشرية منذ نشأتها حتى اليوم، بشهادة القرآن ومن فسّره، واعتراف كبار المفكرين والحكماء والفلاسفة من مسلمين وغيرهم.

فكان (ص) حكيماً لم ينجب التاريخ قديماً وحديثاً مثله.

وكان (ص) طبيباً نفسياً لايرقى إليه أحد مهما مرت الأيام والسنين.

هذا الطبيب النفساني الأوحد اسمه (محمد بن عبدالله ـ ص ـ) خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين الممدوح في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وانّك لعلى خلق عظيم﴾[١].

و﴿يا أيُّها النَّبيُّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً.وَداعِياً إلى اللهِ بإذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً﴾[٢].

﴿وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾[٣].

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[٤].

﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾[٥].

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢١

(٥) سورة الحشر: الآية ٧.

﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

والجانب الخلقي في الشريعة الإسلامية، هو الجانب الايجابي منها، وهو غاية أحكامها، ومرمى تعاليمها، التي تدور حول تهذيب النفوس، وتقويمها، وتوجيه الناس بها إلى مقاصد الخير، ومسالك النفع.

بهذا كانت دعوة الرسول الكريم(ص)، وكانت أوامر الشريعة ونواهيها، وهذا ما يتحقق به قوله تعالى في نبيه الكريم(ص): ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾.. فإنه لاشك أن أهم مظاهر الرحمة الالهية، وأبرز آثارها في الانسان، هو أن يحمد خلقه، وتحسن سيرته، ويستقيم مع الناس على طريق الحق والعدل، والاحسان خطوة، وهذا بعض مايشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

والمحسنون حقاً هم الذين فتح الله قلوبهم للخير، وسلك بهم مسالك الهدى، فحسن قولهم، وصلح عملهم، وطاب في الناس ذكرهم.

تلك هي غاية الرسالة الاسلامية، خلق الانسان الصالح، في المجتمع الصالح، ولن يكون الانسان صالحاً إلاّ إذا توازنت قواه المادية والمعنوية جميعاً، وتلاقى مع بعض على دواعي الخير، وغايات الإحسان. ولن يكون الإنسان إنساناً صالحاً، إلاّ إذا كانت له شخصيته ومكنته وآثاره المحمودة في المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك لايتحقق إلاّ بخلق كريم، وسيرة محمودة، وعمل نافع، وآثار بارزة في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعاً..

والعادات، والمعاملات، والآداب والأخلاق، التي رسمتها الشريعة الاسلامية، إنما غايتها تخريج نماذج طيبة للانسانية، في صورة المسلم الذي تظهر عليه آثار الاسلام، فتكسوه رواء يبهر العيون جمالاً، ويملأ القلوب جلالاً، ويثير عواطف الحب والاكبار التي يجدها الانسان في نفسه حين يلتقي بمثل هذا النموذج الكريم من

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

الناس..

وفي ذلك يقول الرسول الكريم(ص): *«إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»* [١]. ومن تمام مكارم الأخلاق في الانسان أن يشف ويصفو، وأنْ ترتفع إنسانيته الى المدى الذي تنتهي إليه الانسانية في أسمى مدارجها، وفي أعلى مواطن كمالها.. هناك تجد ذلك الانسان الذي تهفو إليه مشاعر الأنسانية، وتتمثله في الإنسان الكامل.

فقد وهب الله تعالى لرسوله الكريم(ص) العناصر الأساسية لمكوّنات الشّخصية الانسانية النبيلة.

أ ـ تواضع لايعرف الغرور، ولا التعاظم، فهو بين رجاله كواحد منهم. فكان (ص): *«يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويّردِف خلفه»* [٢].

وكان *«يجيب دعوة الحرّ والعبد ولو على ذراع أو كراع، ويقبل الهديّة ولو أنها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصّدقة. لايثبت بصره في وجه أحد»* [٣] *«كان إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل»* [٤].

فحياته ومعاشرته (ص) كانت عادية تماماً وبدون تجمّلات، بحيث أنّ الغريب كان إذا أقبل على مجلسه (ص) يضطر أنْ يسأل: أيكم محمّد؟

ب ـ وعدل بلغ بصاحبه حدّ الميزان الدقيق الحساس، دقّة، إلى درجة أنّه ساوى بين نفسه وبين النّاس في العطاء. ولم يكن يقبل بأدنى تجاوز لحدود الله... فعندما أُخبر أنَّ فاطمة المخزوميّة سرقت لم يتقبل وساطة أُسامة بن زيد وقال: *«إنما هلك من*

---

(١) كنز العمال ج٣ ص١٦ حديث ٥٢١٧.

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص٢٢٨.

(٣) البحار ج١٦ ص٢٢٦ـ٢٢٨.

(٤) البحار ج١٦ ص٢٤٠.

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطع محمّد يدها» (١).

ج ـ وزهد لايعرفه إلّا النسّاك المتبتّلون لله المنقطعون للعبادة، فلبس خشن، ومأكل جشب، لئلّا ينسى الفقراء، ويظلّ ذاكراً فقراء رعيّته، مارّاً بالتجربة النفسية التي يمرّون بها يوميّاً.

د ـ وحلم وصفح صغّر كلّ ما عرف عن حلماء العرب. «فرغم كل الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة، فإنّه عند انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عنهم.. عفا عن (وحشيّ) قاتل عمّه حمزة، وكذلك فعل مع أبي سفيان وهند» (٢).

هـ ـ وشجاعة أدبية لاتعرف المواربة، ولاتفهم المراوغة والمداجاة.

و ـ شجاعة أزرت ببطولة كل بطل.

ز ـ وصفاء ذهن يوحي بأحكام عبقريّة يقف عندها كل عبقري ذاهلاً.

ح ـ وجُودٌ شهد له به أعداءه قبل محبيه، أليس هو القائل (ص): *«إنّ من موجبات المغفرة بذل الطعام، وإفشاء السلام، وحسن الكلام»*.

ويقول (ص): *«خلقان يحبهما الله تعالى: حسن الخلق والسخاء. وخلقان يبغضهما الله تعالى: سوء الخلق والبخل. وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله في قضاء حوائج الناس»*.

قال الإمام أمير المؤمنين(ع): *«يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً. فلو كان لايرجو ثواباً ولايخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أنْ يسارع إلى مكارم الأخلاق. فإنها مما تدل على سبيل النجاة.*

فقال له رجل: أسمعته من رسول الله(ص)؟

فقال: نعم، وما هو خير منه ذلك لما أُتي بسبايا طيء، وقفت جارية في

---

(١) ارشاد الساري: ج٩ ص٤٥٦.

(٢) الكامل: ج٢ ص٢٥٢ ط١٣٨٥هـ.

السبي فقالت: يا محمد: إنْ رأيت أنْ تخلّي عني، ولا شمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيّد قومي. وإنَّ أبي كان يحمي الذّمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال رسول الله(ص): *«يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، ولو كان أبوك مؤمناً لترحّمنا عليه. خلُّوا عنها فإنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والذي نفسي بيده. لايدخل الجنة إلّا حسن الأخلاق»*.

ط ـ وثقة بالله لايُعرف لها مثيل، فأعتق عبيداً من يده، ولم يقل لسائل: لا، قط. تلك هي إنسانيته (ص) التي لاتجارى.

أجل. ما كادَ الوحي ينـزل عليه حتى أشرق قلبه بالايمان فصار يرى الله في كل شيء: يرى مظاهر جماله وجلاله، ودلائل قدرته وعظمته، وآثار حكمته ورحمته.

يرى ذلك كله في نفسه، وفي الطبيعة من حوله، في الأرض، وفي السماء، في الحياة، وفي الموت، فتنفعل نفسه بهذا كله فيهتف من أعماق قلبه:

«اللّهم لك الحمد، أنت قَيّم السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق.

اللّهم لك أسلمت، وبــك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبـك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت. أنت المقدم، وأنت المؤخر. لا إله إلّا أنت. ولاحول ولاقوة إلّا بالله».

وتبقى هذه الحقيقة ماثلة في ضميره، وشاخصة بين عينيه، فلا تفارقه في ليله أو نهاره. ولا تزايله في نومه أو انتباهه. ولاتزيد على الأيام إلّا تألقاً.

وإنها تتجلى في زهده. وورعه. وعزوفه عن متاع الدنيا وزهرتها كما تبدو في صلاته الخاشعة، وذكره الدائم ودعائه الحار، وصيامه المتواصل، ولجئه إلى الله في كل شيء، حتى لتكون آخر كلمة يلفظها: *«إلى الرفيق الأعلى، إلى الرفيق الأعلى»*.

وكما أضاء الوحي جوانب نفسه فعرف الحقيقة الكبرى، فقد حرك كوامن الخير وعواطف النبل فيه كذلك، فأصبح إنساناً بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان، أصبح يحمل بين جنبيه صدراً رحيباً. وقلباً رحيماً..

فممّا حفظ من صفاته أنه متواضع يخفض جناحه لغيره، ويجالس الفقراء، ويؤاكـل المساكين، ويقبل عذر من إعتذر إليه. ولايغلظ على أحد. ولا يواجهه بما يكرهه. يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة. ومن قادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف. وهو خضيب الوجه، بسط الكف، يكرم كل مَنْ دخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه. يبذل من ذات نفسه لا يستأثر بشيء. ولا يبيت عنده درهم ولا دينـار. يكرم أهل الفضل، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم. وهو أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وأرحم الناس بالناس وأنفع الناس للناس.

وصفه أمير المؤمنين الأمام علي(ع) فقال: *«كان أجود الناس كفّاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، مَنْ رآه بديهة هابه، وَمَنْ خالطه معرفة أحبه. يقول ناعته: «لم أر قبله ولا بعده مثله». وما سئل عن شيء قط إلّا أعطاه... وكان أزهد الأنبياء، ما رفعت له مائدة قط وعليهـا طعـام، وما أكل خبز برٍ قط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط. توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم وما ترك صفراء ولا بيضاء»*.

وقـال عنه سبطه الأمام الحسن بن علي(ع) عن خاله هند ابن أبي هالة التميمي قال: *«كان الرسول(ص) متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فصول فيه ولا تقصير، دمث ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم وإن دقت ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها... جل ضحكه التبسم... ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، فيحسن الحسن ويقويه ويُقبح القبيح ويوهنه... لا يقصر عن الحق ولا يجوزه،*

الـذي يلونه من الناس خيارهم. أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساةً ومؤازرةً.

لا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر الله... يعطي كلًا من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قادمه في حاجة صابـره حتى يكـون هو المنصرف عنه، وَمَنْ سأله عن حاجة لم يرده إلّا بها أو بميسور من القول.

قد وسع الناس منه بسطُه وخُلُقُه، فكان لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء. فمجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لاترفع فيه الأصوات، ولا يُوهن فيه الُحـرم. يوقـرون فيه الكبـير، ويرحمـون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب، وكان رسول الله(ص) دائم البِشر، سهلُ الُخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح» [١].

وقال فيه حفيده الأمام الصادق(ع): *«كان رسول الله(ص) يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية، ولم يبسط رسول الله رجليه بين أصحابه قط»* .

ولا يزال قوله المأثور عندما فتح مكة، معقل الشرك ورحى المؤامرات التي كانت تحاك ضده: *«اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»* .

أرأيت غير محمد(ص) جمع كل هذه الصفات التي تم التأليف بينها، وأحكم أمرها، وظهرت آثارها لتكون مثلاً أعلى، ونوراً يضيء للناس، ويبصرهم جوانب الخير، ونواحي الفضيلة إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها؟

وإذا كان فراره إلى الله تعالى وتبتله إليه تبتيلاً لم يسبقه فيه سابق ولم يلحقه فيه لاحق. وإذا كانت إنسانيته العليا قد ألقت عليه محبة من كل من عاشره. فإنْ

---

(١) مكارم الأخلاق: ١٤.

هذا لا يقاس بجانب ما قدمه للانسانية من دعوة هادية ردت إليها الحياة، وأنارت لها الطريق.

كانت هناك النصرانية واليهودية والوثنية، وما كانت هذه كلها بمستطيعة أنْ تنقذ العالم من الهوّة التي كان قد أشرف عليها. إنها ديانات قد أفسدتها الأوهام والخرافات، واستحالت إلى طقوس لا تهذب نفساً، ولا ترفع رأساً، ولا تفيد في دنيا، ولا تنفع في دين.

واجه الرسول(ص) الدنيا، وهي على ما هي عليه من الشقاء والفساد، فكان كالفجر المشرق في أعقاب ليل مظلم، وكان ذلك إيذاناً بميلاد جديد للبشرية، وإعلاماً بأنَّ روحاً أُخرى سرت في أوصال العالم المنهار ليعيد إليه القوة والصحة والكمال.

ليس على الذين أرعبتهم مفازات الحياة ووعوثتها، وهالتهم عقباتها ومعاطبها، إلاّ أنْ يتّبعُوا ذلك الطبيب النفساني الأول في العالم والمثال الكامل في سيره ويقتدوا بهديه في جميع أمره، فإنه جاء ليعلّم الأنسان كيف يسلك بنفسه الحياة بدون أنْ يدنسها، وكيف يطير بروحه إلى الغايات بدون أنْ يتعبها، وكيف يجري في باحات المطالب المختلفة بدون أنْ يلامسه الجور بذلة، ويركض في ساحات المجد غير خاش أنْ يصدمه الغلو في صدره.

فهل يصح، أنْ يعد المسلمون هذه السيرة من ضمن السير، ويجعلوها مجرد فكاهة في السهر، ورقائق يوشون بها أطراف السمر أم يجب أنْ يدرسوها من جهة فلسفية حيوية، ليتخذوها دستوراً للعمل، ونبراساً يجلون به عن حياتهم ظلمات الخطل، ويحتمون به التدهور في الزلل، وعلَماً يعشون إلى ضوئه في كل أمر جلل؟

كيف لا يجعل المسلمون هذه السيرة المثلى لهذه الروح العظمى كحلاً لأعينهم، وشغافاً لقلوبهم، ودخيلاً تحت ضلوعهم، وشعاراً على جسومهم، ودثاراً فوق لباسهم؟ وكيف لا يجعلونها مرجعاً لفخارهم، وأصلاً لمجدهم وسؤددهم، ودواء لأدوائهم،

ومرهماً شافياً لجراحهم، ومنشطاً لفتورهم، وسلمًا لأوليائهم، وحرباً لأعدائهم، وحجة على صحة دينهم، ودليلاً على وضوح طريقهم.

* * *

الموضوع الرابع

« الاضطراب النفسي »

﴿يا أيُّها النّاسُ اتَّقوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرى النّاسَ سُكارىٰ وَما هُمْ بِسُكارىٰ وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[١].

﴿يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ.وَصاحِبَتِهِ وَأخِيهِ.وَفَصِيلَتِهِ الّتِي تُؤْوِيهِ.وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[٢].

العلاقة الحميمة والحب المتبادل والعطف والحنان والرعاية التي توليها الأُم لرضيعها، لايمكن أنْ توصف إلاّ مِنْ قبل الأُم نفسها، ولا تقوم به إلاّ أُم لأبنها فقط، لكون ذلك مستحيلاً ضمن قاموس الحب والحنان الموجود على ظهر الأرض.

فالأُم وحدها تتحمل مشاكل الحمل وآلام الولادة وما يرافقها حتى ترى ثمرة ذلك، ألاّ وهو وجود طفلها بين أحضانها تقبله في عطف، وتغدق عليه حنان الأُمومة بلطف ومحبة وتسقيه الحليب بشوق ومتعة. تسهر لسهره، وتمرض لمرضه. وإذا ابتسم في وجهها أشرقت معانيها بابتسامة الرضى والأمل. لاتكل عن العناية به سواء في الليل أم في النهار، فإذا صرخ دق قلبها الحنون، وفزعت نحوه لتسكته، وتعرف سبب صراخه.

هذه الأُم المخلصة، والمستعدة لكل طارئ تجاه رضيعها، تراها في لحظات معينة من حياتها تنسى هذا الرضيع وتتركه، وتنشغل عنه بأُمور أو مشكلة أو مشهد أهم وأعمق وأوسع وأشمل من أهتمامها برضيعها المدلل.

وهنا ينتصب السؤال: كيف حَدَثَ هذا التغير المفاجيء في غريزة ومنهاج

---

(١) سورة الحج: الآيتان ١ـ٢.

(٢) سورة المعارج: الآيات ١١ـ١٤.

وحياة هذه الأم الوالهة، بحيث تتصرف مثل هذا التصرف المخالف لطبيعتها وأخلاقها وعرفها.

ففي هذه الآية الكريمة يصف الله سبحانه وتعالى قيام الساعة وما يرافقها من وقائع ملؤها العظمة والرهبة والخوف، بحيث أنَّ تلك الأُم المسكينة تنشغل عن رضيعها المحبوب بما هو أهم وأكثر تأثيراً منه، وذلك من هول الصدمة التي تتعرض لها عند رؤيتها لمنظر قيام الساعة، الأمر الذي يجعلها تتصرف خلاف غريزتها وطبيعتها التوّاقة لاحتضان وإرضاع وليدها.

هذه الحالة تعتبر من الناحية النفسية والطبية حالة انقلاب شديد وعنيف على الواقع الذي كانت تسلكه الأُم خلال حياتها العادية، وحالة اضطراب نفسي مفاجيء يجعلها تترك أعز ما لديها، وتنشغل بانشداد للواقع الجديد الذي حدث أمامها، وأدّى بها الى هذا التبدل المفاجيء والمخالف لغريزتها كأُم.

هذا الانقلاب النفسي الحاد الذي صوره الله لنا في هذه الآية، يمثل قمة التصوير الفني الذي يوضح لنا المعنى المراد من الآية من خلال طرح العلاقة المعروفة بين الأُم ورضيعها، وهذه الحالة تعرف طبياً بـ(Phobic Psycho Neurosis).

هذه الصورة الأُولى، أما الصورة الثانية، فحين تضع كل حمل حملها، لأنَّ شدة تأثير مشهد قيام الساعة لايشغل ـ فقط ـ الأُم المرضعة عمّا ترضع، وانما يترك أثراً شديداً وخوفاً عنيفاً وفزعاً عظيمًا على المرأة الحامل، فيؤدي ذلك إلى حدوث تقلصات في عضلات البطن والرحم. تؤدي في النهاية إلى اسقاط الجنين من بطنها بتأثير الخوف المفزع، علمًا بأنَّ هذا الخوف أو الرهبة من منظر قيام الساعة. ليس بالشيء الطبيعي الذي تتحمله المرأة الحامل، وإنما هو خوف عظيم يفوق طاقتها وتحملها النفسي والجسمي، وله تأثير عصبي مباشر على الجهاز العصبي، بحيث يؤدي إلى تقلص العضلات المذكورة بصورة عنيفة وسريعة، مما ينتج عنه حالة إجهاض مفاجئة.

وتسمى هذه الحالة في الطب الحديث بالهبوط العصبي المفاجىء، ويحدث هذا إمّا مِنْ رؤية بعض المناظر المرعبة ذات التأثير النفسي الحاد، أو نتيجة لضربة مفاجئة وشديدة على أحد مراكز الدماغ أو بعض الأعصاب كالعصب العاشر، فيؤدي ذلك إلى هبوط عصبي مفاجىء يجعل الأنسان يسقط على الأرض في حالة إغماء أو موت مفاجىء في بعض الأحيان.

وقد يرافق سقوط الأنسان على الأرض بعض الأعراض الطبية، مثل التقيء الشديد، واصفرار الوجه، وسرعة في النبض، مع تعرق شديد قد تنتهي في بعض الأحيان إلى السكتة القلبية.

أما في المرأة الحامل، فإنّ التأثير العصبي المفاجىء ينتج عنه الاجهاض، نتيجة العوامل النفسية والعصبية المارة الذكر.

والصورة الثالثة، حيث ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد. فمن المعروف أنّ شدة الصدمة العصبية تترك ردّ فعل عصبي بقدر تأثيرها على المشاهد، فهؤلاء الناس المصابون بالهلع الشديد نتيجة هول المنظر المخيف الذي يرونه أمامهم، يجعل منهم أُناساً غير عاديين، يتصرفون بشكل غير طبيعي أو إرادي أشبه ما يكون بالسكران الذي يتصرف بغير عقله.

هذا الإنسان الذي كان قبل فترة وجيزة كامل العقل، مدركاً، ذا إرادة وقوة وقدرة، يتحول في ساعة معينة إلى إنسان آخر، خائر القوى، عديم التوازن، يتصرف خلاف إرادته وآرائه، بسبب شدة الصدمة التي تعرض لها لدرجة جعلته مسلوب الفكر، غير قادر على مواجهة المنظر أو الكارثة التي حدثت أمامه. فيأخذ بالتصرف بشكل غير عقلائي وسليم كأنه شرب كأساً مسكراً.

وهذا التحول لا يحدث إلّا عندما يكون المؤثر الخارجي قوياً جداً على المؤثر عليه.

هذا التشبيه البديع لأنسان عادي المظهر يتصرف من منظر مخيف كما

يتصرف السكير هو خليط من الهلوسة (Hallucination) التي تصيب بعض الناس نتيجة تعرضهم لضغوط نفسية عديدة، وآلام وأفكار تجعل من حياتهم عرضة للخطر، فيتصرفون وفق آراء مغايرة للواقع الذي كان يعيشونه، مما يؤدي بهم في النهاية إلى سلوك طريق مغاير للمجتمع الذي انسلخوا عنه تدريجيا.

أو نتيجة تسلط فكري مشبع بآراء غير منطقية لا وجود لها في الواقع، وإنما في مخيلة المصاب فقط (Ellusion) وهذه الآراء المتسلطة تسبب له مشاكل مستقبلية، وتؤدي إلى انفصاله تدريجياً عن المجتمع نتيجة لانطوائه وتعلقه بتلك الآراء الخاطئة التي تصورها في نفسه فقط، لأنّ الآية الكريمة تقول في الختام: ﴿وَمَاهُمْ بِسُكَارىٰ وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾. لأنّ السكر لم يكن واقعاً بالفعل، وإنما شدة العذاب جعلتهم يتصرفون تصرف السكارى.

أما الصورة الرابعة التي يعرضها الله علينا خلال تلك اللحظات من عمر الأنسان، حيث يقول جلّ شأنه في سورة المعارج: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

بهذه اللوحة الدقيقة المعالم والتصوير، ذات التعبير الرائع، يعرض علينا القرآن هذه الصورة الفريدة من نوعها، التي تخالف العادات والقيم التي اعتاد عليها البشر ولازال يلتزم بها في علاقاته العائلية والاجتماعية والعشائرية، التي كانت تسيطر عليه وتسوده منذ نشأته الأولى وحتى الممات.

فالأب يحنو على طفله الصغير، ويصرف الوقت والمال لكي ينمو ويترعرع في كنفه وتحت رعايته، ويندفع نحو العمل ليلاً ونهاراً في سبيل إسعاد زوجته وإرضائها وتوفير العيش الكريم لها من مأكل وملبس ومشرب وكل ما تحتاجه، بفضل الرابطة الربانية والحب الالهي الذي أوجده الله فيما بينهما منذ أيام الاقتران الأولى.

والأخ يحنو على أخيه ويساعده في كل شيء، ويحمل الكثير من همومه وآلامه، حتى يصبح قادراً على تحمل مصاعب الحياة.

أما الرجال فكل واحد منهم يبذل الجهد والمال لكي تكون علاقاته وروابطه مع أقربائه وعشيرته جيدة وحسنة، يسودها الاحترام والمحبة والعون والمساعدة في أغلب الحالات والأحيان.

ولكننا نرى هذا الإنسان ذا الروابط الأجتماعية القوية، يتصرف تصرفاً مغايراً لما تعوّد عليه حينما يرى بأُم عينيه قيام الساعة ومنظرها المهول الذي يجعل العقل حائراً والصبر نافذاً، فينسى في لحظات كل شيء كان في عقله.

ويبدأ بالتصرف وفق قانون الغريزة وحب البقاء، ولم يعد يفكر إلاّ بنفسه وكيفية خلاصها ونجاتها من المرتقب المجهول، ولو كان ذلك على حساب أعز الناس إليه، كالأولاد والزوجة والإخوان والعشيرة، بل وحتى كل الناس.

سلوك مغاير، وتبدل عجيب طرأ على ذلك الانسان المدهوش من قوة الصدمة النفسية، حيث جعلت منه إنساناً ضيق الأُفق، أناني النزعة، يضحي بكل غالٍ وعزيز في سبيل الخلاص من تلك الساعة، متناسياً ما كان يحمله في الماضي من محبة وحنان وإخلاص، فأصبح الآن تسيطر عليه الأنانية وحب الذات، وتحولت عواطفه الروحية والانسانية إلى نزعة نرجسية لا مكان فيها للايمان ولاهمّ لها سوى النجاة والخلاص.

هكذا إنسان تغلبت عليه عقدة حب النفس أصبح من الخطورة والاستعداد لأنْ يفعل أيَّ شيء ويضحي بكل شيء في سبيل إنقاذ نفسه، والحفاظ عليها، ولتكن فديته أقرب وأحب الناس إلى قلبه وعقله.

يا له من تبدل وتحول وانقلاب نفسي حاد ومفاجيء يطرأ على واقع الأنسان ومفهومه الشخصي نتيجة رؤيته ذلك المنظر المخيف، وتلك الصورة المفزعة، فأصبح لا يفكر إلاّ بنجاة نفسه ولو على حساب جيمع أهل الأرض. وهذه هي قمة (الذات النرجسية) عند الأنسان، وتسمى طبياً بـ(Socioputhy)[1].

---

(١) Davidson's principles and practice of midicin.

الفصل الثاني
علم التغذية الصحيّة

الغذاء: هو المادة الأساسية لبناء جسم الأنسان وإدامة فعاليته، فهو يتكو ن من مركبـات مختلفـة: كالـبروتينـات والنشـويات والـدهنيات والأمـلاح والمعادن والفيتامينات والماء.

ومشكلة الغذاء قديمة قدم الدهر، ومنذ ظهور الإنسان على وجه الأرض، ولكنها أصبحت مشكلة اساسية في عالمنا المعاصر، نظراً لأزدياد الكثافة السكانية، ومحـدودية رقعة الأرض المزروعة، وزيادة الأراضي التي يشغلها الأنسان لأغراضه الخاصة والعامة، وزيادة الأراضي الغير صالحة للزراعة.

كل هذه الأُمور جعلت من الغذاء أحد المواضيع الرئيسية التي تشغل بال المفكرين والباحثين في العالم، لإيجاد البدائل الكفيلة التي تساعد على تلافي النقص الشديد في كمية الغذاء. وزيادة مساحات من الأرض قابلة للزراعة، والاهتمام بنوعية وكمية الغداء المنتج تجنباً لحدوث مجاعة عامة من جهة، وللحصول على غذاء مناسب وجيد يحفظ سلامة جسم الانسان من جهة أُخرى.

من أجـل هذا قامت المنـظمات الـدولية بإنشاء هيئات متخصصة للبحث والمراقبة، لغرض تطوير الانتاج الزراعي والغذائي، مما حدا ببعض الدول إلى أنْ تقوم بإنشاء الكليات والمعاهد الزراعية والغذائية ومراكز البحوث المختلفة، للحفاظ على البيئة الزراعية بغية الحصول على غذاء كافٍ يسد حاجات الملايين من البشر.

وبما أنّ الغذاء مادة أساسية، ولابدَّ من أنْ تتوفر فيه المستلزمات الضرورية للجسم لإدامـة فعـاليته والحفاظ عليها، فعليه يجب أنْ تكون كمية ونوعية الغذاء متناسبة لاتطغى الواحدة على الأُخرى.

لأن الاسـراف في كمية الغـذاء يؤدي إلى أمـراض عديدة منها: السمنة ومضاعفاتها، كما أنَّ قلته تؤدي أيضاً إلى الهزال والضعف، وما يترتب عليه من الاصابة بأمراض مختلفة، وضعف المقاومة.

ولهذا يجب أنْ يكون الغذاء متعدد النوعية ومناسباً ومتوازناً في كمية الطاقة المعطاة هذا إذا علمنا أنَّ جسم الانسان العادي بحاجة إلى (٣٠٠٠) سعرة حرارية في الرجل المتوسط الجسم والفعالية. كما أنَّ المرأة تحتاج إلى (٢٢٠٠) سعرة حرارية في المتوسط.

والقـرآن الكريم لفت نظر الانسان في العديد منْ آياته إلى أهمية الغذاء كشيء ضروري للانسان، مؤكداً على ضرورة ملاحظة الأضرار الناجمة عن تناول بعض المواد الغذائية الضارة، لاسيما فيما يتعلق بتناول الخمر الذي أصبح الآفة القاتلة لكثير من المجتمعات في الوقت الحاضر.

كما ركـز القـرآن في بعض آياته على بعض المواد الغذائية باعتبارها مادة ضرورية مهمة لما لها من فوائد كثيرة للانسان: كالعسل والتمر والعنب والرمان. وهنا تتجلى الألطاف الإلٰهية على هذا الانسان المخلوق.

وبهذه التعاليم تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية، وهو بهذا لا يساميه أو يقاربه كتاب آخر في تأثيره وهدايته، ولا في موضوعه وسمو أغراضه، ومن ثمَّ كان سيّد الكتب وأفضلها على الاطلاق. فإنه لا منجاة إلاّ به، لأنه الروح الذي به الحياة، وبفقـده الموت. ولايتم الأنتفاع به إلاّ إذا تعاهده المرء بالتلاوة والتدبر، وتأثرت به نفسه، وخشع له قلبه، وعاش في جَوّه واستظل بظله الظليل. ومن ثم يلفت الأنظار إلى تذكر نعمته بإنزال كتابه الجامع للحكمة، والموعظة الحسنة:

﴿وَٱذْكُـرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾[1].

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ﴾[2].

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكىٰ طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾[3].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ...﴾[4].

﴿وَأَوْحىٰ رَبُّكَ إِلىٰ النَّحْلِ... يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾[6].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[7].

* * *

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

(٥) سورة النحل: الآية ٦٨ـ٦٩.

(٦) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

الموضوع الأول

« الكحول »

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَداوَةَ وَالبَغْضاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[١].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ﴾[٢].

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ حَتّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾[٣].

الكحول: هو المادة المعروفة بالكحول الأثيلي، وشربه يؤدي إلى السكر وفقدان العقل. ويكون سريع الامتصاص عند تناوله، حيث يبدأ هذا الامتصاص عن طريق الفم والمعدة والأمعاء حتى يصل الدم، وعندها ينتشر في أنسجة الجسم المختلفة وخصوصاً الدماغ حيث يتركز فيه أكثر من غيره من سائر الأعضاء ويؤثر فيه بسرعة.

وتأثير الكحول على الانسان يتناسب طردياً مع الكمية المتناولة منه ومدتها، فكلما كانت الكمية كبيرة أصبح التأثير كبيراً وخطيراً، مما يؤدي إلى التسمم بأنواعه المختلفة.

يذهب العلم الحديث إلى أنَّ الادمان على الخمر يسبب تحول الخلايا الكبدية الحية إلى ألياف ميتة لا فائدة للجسم منها، وينتج عن ذلك استسقاء البطن، كما يؤدي إلى تصلب الشرايين، وما يتبعه من مضاعفات كأمراض القلب والكلى والنزيف المخي.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ـ٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٣.

يقول الدكتور (كيلبرج) في كتاب (الاستعمال الطبي للخمر): «من كان عنده أقل ريب أو ظل للشك في أنّ الخمر سم، فليعتبر بما يكون عند وصولها للمعدة، فإنّ الغشاء المخاطي يصير محتقناً ويخرج مقداراً من المخاط ليحمي نفسه، وترى غدد المعدة وقواها الدافعة تسرع في إخراج ما وصل إليها بأسرع ما يكون».

ويقول الدكتور (مـار) الاسكوتلاندي: «إنّ الخمر لاتشفي شيئاً».

ويقول الدكتور أمام الجمعية الطبية البريطانية: «لا أعلم مرضاً قط شفى بالخمر»[١].

كان الخمر شائعاً في العصر الجاهلي، ولما جاء الاسلام حرَّم شربه لمضاره الشخصية والاجتماعية والدينية التي تحدث جراء تناوله. فتخلّص المسلمون من أكبر آفة إجتماعية كانت تنخر في أوصالهم سابقاً، ثم المجتمعات الاسلامية بشكل عام في الـوقت الحـاضر، وغير الاسلامية ـ بشكل خاص ـ كالولايات المتحد الأمريكية والدول الأوروبية وغيرها، وما رافق ذلك من آثار مدمرة وسيئة حولت المجتمع إلى مجتمـع مريض تضرب على أطنابه الفوضى بسبب الادمان والاعتياد الذي أوجده شرب الخمر، حتى أخذ بنيان المجتمع يتداعى، وكيان الأُسرة ينهدم، وكمال الشخصية يتحـطم، مما أجـبر بعض الحكومات والدول على إيجاد حلول لتلك الآفة. إلاّ أنّ جهودهم باءت بالفشل الذريع لأنّ الحلول الوضعية لا تحل محل تعاليم الاسلام المجيد.

إنّ المسلم يزداد إيماناً بعظمة الشرع الاسلامي، ويقيناً بحكمة الله، وكمال منهجه الذي حرم الخمر وجعله رجساً من عمل الشيطان. وسمّى الخمر «أُم الخبائث».

إنّ هذا التحريم لم يكن عبثاً ـ تعالى الله عن ذلك ـ ولم يكن إنتقاماً من البشـر، ولا تضييقـاً عليهم، بل كان ضرورياً لتربية «الشخصية» المتـماسكة أمام الاغراء، وأمام الشهوات.. الشخصية التي تتصرف بإرادة العقل، لا باندفاع الغريزة..

---

(١) مجلة الدواجن: العدد(٣٩) آذار ١٩٧٠م.

الشخصية التي تراقب الله في كل تصرف. أو نية تصرف، بحيث تزن أقوالها وأفعالها ورغباتها كلها بميزان «التقوى» وتستحضر «الآخرة» في كل ما تفعله أو تريد أنْ تفعله، يستوي في ذلك الشؤون الشخصية والاجتماعية.

أما فيما يتعلق بعقوبة تعاطي الخمر، فليس في القرآن الكريم، أو في كلام رسول الله(ص) نص يذكرها. وحددها أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب(ع) بثمانين جلدة، معلّلاً إياها على النحو التالي:«*إنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هَذَى، وإذا هذى افترى، فأرى عليه حد المفترين*»[1].

فتحريم الخمر في الأسلام وجد له صدى روحياً عند المسلمين، لأنَّ التأثير النفسي والايمان الروحي في الأسلام جعلهم يلتزمون بالتعاليم الالهية بصدق وصراحة وإصرار، ويعزفون عن شرب الخمر لايمانهم بأن ذلك من مصلحتهم الخاصة والعامة. وهذا أكبر دليل عملي على أنَّ الرادع الديني أقوى من أي رادع آخر أو قانون وضعي في تحريم شرب الخمر.

لذا نرى أنَّ المجتمعات غير الأسلامية تتخبط في وضع الحلول اللازمة لمشكلة تناول المشروبات الكحولية والادمان عليها، وتقف عاجزة عن الحد من تلك الكارثة المؤلمة التي عصفت بالملايين رجالاً ونساءً وأطفالاً، وأدت إلى موت الآلاف منهم سنوياً بسبب الحوادث المختلفة والأمراض العديدة، وما رافق ذلك من تفسخ وانحلال للمجتمع، وانتشار مخيف للعادات السيئة وحوادث الجنس التي لا تحصى.

الحقيقة مرعبة، ولكنها أكثر إرعاباً لو أنها انتقلت إلى مجتمعاتنا الأسلامية، كما إنتقل غيرها من المظاهر الشاذة. فهذه صحيفة (آفتون بلادت) السويدية: تنشر بعض الأرقام وبعض القصص التي تكشف بعضاً من الحقيقة، وجزءاً من حالة الانهيار التي ينحدر نحوها المجتمع السويدي.

تقول هذه الصحيفة: «وتقع أغلب حالات الاعتداء على نحو مشابه لتلك

---

(١) موطأ مالك: كتاب الأشربة ـ باب١.

الحـالة التي قام فيها رجل في الأربعين من عمره بالاعتداء على زوجته، إذْ بدأت السهرة هادئة مع قليل من الخمر على شرفة المنزل بعد نوم ابنتهما البالغة من العمر (٦)سنوات. وبعد تناول كأسين، بدأ الرجل يشعر بالانزعاج وكذلك الزوجة. ثم راح الزوج يعاتب زوجته لمجيئها إلى البيت في ساعة متأخرة في بعض الليالي الماضية. وفجأة صاح بوجه زوجته قائلاً: «لقد ضاجعت غيري»، ولما حاولت الزوجة تهدئة خاطره، بدأ يضربها على وجهها، فهربت إلى الحديقة لتعود فيها بعد ظنّاً منها أنّ الوقت لعب دوره في تهدئة الزوج الغاضب، لكنها ما أنْ دخلت البيت حتى انهال عليها ضرباً، وحطم جهاز التسجيل الصوتي على رأسها، وراح يرفسها بكل قوته، ثم طرحها أرضاً، وراح يطرق رأسها في الأرض محاولاً القضاء عليها»[1] .

فهل نطمع بشواهد أكثر ونتائج أكبر؟! وقد علق على هذه الظاهرة أحد الكتاب المسلمين قائلاً: «الخمر أُمّ الخبائث، تمت إليها بشابكة النسب القريب جميع الكبائر من الزنا واللواط والسرقة والمقامرة والقتل، وإنّ لها النصيب الأكبر في تشويه أخلاق الأُمم وتخريب صحة أبدانها وافساد معاشها واجتماعها».

التأثير الفيزيولوجي للخمر على الإنسان:-

١ـ يوسع الأوعية الدموية.

٢ـ مسكّن ومنوّم.

٣ـ يزيد إفرازات المعدة.

٤ـ يؤدي إلى نقص كمية السكر في الدم.

٥ـ يقلل الرغبة الجنسية عند المدمنين.

٦ـ فقدان الشهية للطعام عند المدمنين.

٧ـ التسمم بالكحول ويكون حاداً أو مزمناً.

٨ـ يؤثر إما بزيادة فاعلية بعض الأدوية، أو بالتأثير المشترك معها، على

---

(١) صحيفة (آمنوَن بلادت) السويسرية بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٨١م.

قابلية الإنسان وقدرته العصبية.

التسمم الكحولي الحاد وأعراضه المرضية:ـ

١ـ يؤثر على الجهاز العصبي ويؤدي إلى ثبوطه باعتباره مادة مخدرة.

٢ـ في بداية السكر يؤدي إلى فقدان السيطرة على الإرادة والانعكاسات والملاحظة والانتباه.

٣ـ فقدان السيطرة على الأخلاق نظراً لتأثير الخمر على الجهاز العصبي العلوي، مما يؤدي إلى الاعتداء والمشاجرة وارتكاب الجرائم بأنواعها، ولاسيما الجنسية منها.

٤ـ ضعف القابلية البدنية للعضلات وقصور مقاومتها وثباتها على العمل.

٥ـ يؤدي إلى ضعف البصر.

٦ـ يؤدي إلى الحَوَل المؤقت والدوران.

٧ـ يعرقل قابلية الذوق.

٨ـ يعرقل قابلية الشم.

٩ـ يعرقل قابلية السمع.

١٠ـ ضيق بصر السكير مما يسبب له حوادث كثيرة أثناء قيادة السيارات والموتور سيكلات، وحتى في حالات السير العادي.

١١ـ التهاب حاد في البنكرياس.

١٢ـ التهاب حاد في الكبد.

١٣ـ وذمة الرئة الحادة.

١٤ـ الغيبوبة نتيجة التسمم الحاد، ومِنْ علائمها: التقيؤ، وهبوط درجة الحرارة مع نوبات من الصرع، وتقلص شديد في العضلات، وثبوط الجهاز العصبي.

التسمم الكحولي المزمن وأعراضه المرضية:ـ

يحدث نتيجة تناول الكحول بكميات كبيرة ومستمرة، كما يؤدي إلى حدوث مضاعفات متعددة على أجزاء الجسم المختلفة منها:ـ

١ـ مضاعفات على الجهاز العصبي: تحدث بالتدريج حين تُصاب أعصاب معينة في بادىء الأمر، ثم يعم التأثير ليشمل مختلف الأعصاب وخلايا الدماغ. ولعل تأثير الادمان على خلايا الدماغ أشد من غيرها، وتعقبه مضاعفات دماغية عديدة مثل: ضعف الذاكرة، وعدم ثبات العاطفة.

أمـا الأعراض النفسية التي تظهر على المرضى فهي: القلق، واضطراب الفكر، ورعشة في البدن، وهلوسة في النظر، والصرع بعض الأحيان، واضطرابات نفسية مختلفة تسـوقه أحياناً إلى الاعتداء على الآخرين، وتجعل حياته العائلية جحيماً لا يُطاق.

٢ـ مضاعفات على القلب: يؤثر الخمر على القلب، كما يؤدي إلى اعتلال العضلة القلبية، أما بالنسبة للمرأة الحامل فإنّ تناول الكحول بإدمان يؤثر على الجنين ويجعله عرضة للإصابة بتشوهات ولادية.

٣ـ مضاعفات على الدم: يُصاب الشخص المدمن على الكحول بفقر دم شديد متنوع الأسباب والأعراض. وقد يؤدي إلى نزف تحت الجلد، نتيجة للنقص الحاصل في عوامل تخثر الدم.

٤ـ مضاعفات جنسية:

أ ـ يزيد الـرغبة الجنسية في بادىء الأمر، ولكنه ينقص القدرة على أداء العمل الجنسي في نهاية المطاف.

ب ـ قد يسبب ضمور الخصيتين.

ج ـ اضطراب السلوك الجنسي عند المرأة.

د ـ يضعف النطفة مما يؤدي إلى احتمال حدوث تشوهات مستقبلية عند الحمل.

٥ـ مضاعفات عامة: يؤثر الكحول على مقاومة الجسم ويجعله ضعيفاً، وعرضة للاصابة بالميكروبات المختلفة، كما وأنه عامل مساعد للاصابة بأمراض السرطان،

ويؤثر على خلايا دماغ الطفل بواسطة الأُم الحامل عند تناولها في حالة حدوث تسمم بالكحول.

كما يعتبر الكحول من العوامل المساعدة في ظهور كثير من الأمراض النفسية: كالهذيان، والاعتلال الدماغي لفيرنك (Wernick's Encephalopathy)، والتأخر العقلي، وقد لوحظ زيادة في الإصابة بداء النقرس، والحصويات الكلوية عند تناوله.

٦ـ مضاعفات على الجهاز الهضمي: يعتبر الكحول من أكثر المسببات التي تؤثر على الجهاز الهضمي بشكل عام، ويؤدي إلى مضاعفات عديدة منها :ـ

أ ـ تخريش جدار الفم والبلعوم وضمور حليمات الذوق في اللسان.

ب ـ قد يؤدي إلى التهاب اللسان المزمن وحدوث (الليوكوبليكيا) التي هي مقدمة لإصابة اللسان بالسرطان.

ج ـ التهاب المريء مع احتمال حدوث نزف من جداره.

د ـ عامل مساعد على إصابة المريء بالسرطان.

هـ ـ التهاب المعدة الحاد والمزمن.

و ـ عامل مساعد على إصابة المعدة بالقرحة والسرطان.

ز ـ التهاب البنكرياس الحاد والمزمن.

ح ـ التهاب الكبد الحاد.

ط ـ التهاب الكبد المزمن أو تشمع الكبد.

وهو من الأمراض الشائعة، ويحدث نتيجة تأثير الكحول المباشر على خلايا الكبد مع نقص السكر داخله، وعدم تناول الأغذية الجيدة والمتنوعة بسبب اكتفاء المعتاد على تناول الكحول مع كميات قليلة من الغذاء.

وتشمع الكبد يعتبر من الأمراض المنتشرة في الكثير من مناطق العالم نتيجة الادمان على تناول الكحول لمدة (٥ ـ ١٥)سنة وبكميات (١٠٠) غم فما فوق.

المضاعفات والعلائم الطبية لمرض تشمع الكبد:ـ

١ـ كبر ثدي الرجل والغدد اللعابية.

٢ـ توسع الكبد أولاً ثم صغره.

٣ـ الشكوى من الضعف وعدم القابلية ونقص الوزن.

٤ـ أعراض في الجهاز الهضمي كعدم الشهية والتقيؤ مع ألم في الجزء الأعلى من البطن.

٥ـ ازدياد الضغط الدموي في الأوعية الدموية للجهاز الهضمي نتيجة تليّف الأوعية الدموية والأنسجة داخل الكبد.

٦ـ كبر حجم الطحال.

٧ـ نقص في كريات الدم البيضاء وحجيرات التخثر وفقر في الدم.

٨ـ توسع في بعض الأوعية الدموية في نهاية المريء، وأول المعدة، وفتحة الشرج، وأول المستقيم، وجدار البطن الأمامي، قد يسبب البواسير، ونزف داخل المريء والمعدة.

٩ـ الإصابة بالاستسقاء داخل البطن.

١٠ـ الاصابة بمرض اليرقان.

١١ـ تغيرات عديدة تطرأ على جهاز الدوران: كتوسع بعض الأوعية الدموية واحتقان في أوردة الجسم.

١٢ـ نقص الرغبة الجنسية عند كلا الجنسين، ممّا يؤدي إلى ضمور الخصيتين، واضمحلال القابلية الجنسية عند الرجل، وضمور الثديين، وتقطع الدورة الشهرية أو انقطاعها عند المرأة.

١٣ـ الميل نحو النزف الدموي نظراً لانعدام أو قصور انتاج العوامل التي تلعب دوراً رئيسياً في عملية التخثر.

١٤ـ تلون الجسم باللون الأسمر، وذلك بسبب زيادة ترسب مادة (الميلامين) في الجلد.

١٥ـ تشوهات في خلقة وشكل الجسم بعض الأحيان.

١٦ـ حرارة خفيفة في الجسم.

١٧ـ تسمم خلايا الدماغ نتيجة اضطراب عمل الكبد، وتراكم السموم في الدم والجسم.

المضاعفات والعوارض الطبية والأخلاقية والنفسية لمرض تشمع الكبد

١ـ العزوف عن العمل لاعتلال صحة المصاب.

٢ـ الامتناع عن المشاركة في القضايا العائلية والاجتماعية والانسانية.

٣ـ الميل للحصول على المال بأسهل الطرق كالسرقة والاختلاس.

٤ـ عدم احترام الجوانب الأخلاقية والنفسية للمجتمع.

٥ـ عدم احترام الشعائر الدينية والقضايا الاجتماعية.

٦ـ يكون المريض عصبي المزاج، كثير المشاجرة مع الناس ولأتفه الأسباب.

٧ـ حدوث مشاكل عائلية بسبب الادمان والتشمع: كالمشاجرة مع الزوجة والأولاد، تصل إلى حالة الطلاق أحياناً.

علاج التسمم الكحولي الحاد:ـ

١ـ غسل المعدة بشكل سريع بـ(الصوديوم بيكربونيت).

٢ـ تنظيم وتنظيف مجرى التنفس.

٣ـ تدفئة الجسم المتسمم.

٤ـ إعطاء الأوكسجين للشخص المتسمم وبكميات حسب الحاجة.

٥ـ إجراء الفحوصات المختبرية بشكل سريع لمعرفة نسبة الكحول في الدم، وكذلك معرفة نسبة سكر الدم.

٦ـ إعطاء الكلوكوز بالفم أو بالوريد في حالة نقص سكر الدم، أو زيادة حموضة الدم.

٧ـ في حالة الهيجان أو التجشؤ الشديد يعطى أمبول [فاليوم] بالوريد.

٨ـ غسل الدم وتبديله في حالة التسمم الشديد.

العلاج الطبي والروحي للمرضى المدمنين على الكحول:ـ

١ـ بعث روح التصميم والإرادة لدى المدمن، وحثه بأسلوب علمي على ترك الكحول.

٢ـ تزويد المدمن بالمواد الغذائية اللازمة، والمقويات الطبية التي تساعده على بناء الجسم واسترداد الشهية.

٣ـ إدخاله المصحات الطبية الخاصة في حالة كون ظروفه الصحية لا تسمح له الاستمرار داخل المجتمع، بسبب الضعف البدني والانهيار العصبي.

٤ـ فصل المدمن عن أصدقـاء السوء، وانتخاب الأصدقاء الصالحين المؤمنين، الذين يبعثون فيه روح الإيمان والعقيدة، كي يتمكن من الخلاص من مأساته ومرضه بسهولة.

٥ـ تشويق المصاب بارتياد الحفلات والمجالس الدينية.

٦ـ تشجيعه على حضور المساجد والصلاة فيها.

٧ـ تزويده بالكتب الاسلامية التي تنمي فيه روح العقيدة والعزيمة والارادة.

٨ـ يُهدى إليه نسخة من المصحف الشريف كي يتزود بالغذاء الروحي الكافي.

٩ـ إشراك المدمن وإفساح المجال له كأن يكون عضواً في إحدى الهيئات الدينية والحسينية، لينصرف تدريجياً ويتخلى عن تفكيره الماضي.

١٠ـ ضرورة إقامة مجالس العزاء الحسيني في دار الشخص المدمن، لما لهذه المجالس من تأثير بالغ باعتبارها مدارس التضحية والصمود والفداء.

المصادر:

1- clinical Pharmacolofy.
2- Davidson's Principles and Practice of Medicin.
3- Current Medical Dignosis and Treatment.

الموضوع الثاني

« الطعام الجيد »

﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ ﴾[١]

ظاهر الآية مفهوم وبسيط، وعند التأمل والتدبر نجد محتواها عميقاً ومركزاً وشاملاً لمعانٍ حياتية، وقوانين صحية وغذائية عديدة.

فالانسان قبل تناوله الغذاء المعتاد عليه أنْ يفحصه من كل الوجوه والنواحي الصحية للتأكد من سلامته، وخلوه من الأمراض والتلوث، إضافة إلى نوعيته التي تتلاءم والمتطلبات الضرورية لجسم الأنسان وحاجاته، وأنْ يكون مقبولاً من الناحية النفسية.

من هذا كله يُفهم أنَّ هناك شروطاً صحّية ونوعية ونفسية يجب توفرها في الغذاء قبل تناوله، لأنّه المادة الضرورية لنمو وبناء الجسم، وبدون تلك المواصفات والشروط لايتمكن الجسم من إدامة فعالياته المختلفة والوقاية من الأمراض.

والآية الكريمة تُلفت نظر الأنسان وتوجه فكره نحو تلك النقاط الضرورية التي يجب مراعاتها في الغذاء من جميع الجوانب، حيث أنَّ توفره بكميات كبيرة غير متناسبة نوعياً لا يفي بالأغراض المطلوبة، ولا يوفر للإنسان المستلزمات التي تحافظ على سلامته الجسمية والعقلية.

لذا وَجَبَ على الانسان الواعي والمدرك للآية الكريمة أن يختار غذاءه وفقاً للمعايير والمقاييس الطبية والغذائية الحديثة التي تمده بالطاقة اللازمة لادامة فعالياته اليومية.

والخطاب في الآية الكريمة موجه لكل الناس، ولم تحدد نوعاً معيناً أو جنساً من الناس، بل لكل الناس (فلينظر الأنسان) بدون استثناء، لأنَّ المشكلة عامة،

---

(١) سورة عبس: الآية ٢٤.

وليست محصورة ضمن مجموعة، أو مجتمع خاص.

وهذا ما حصل اليوم في الدول الفقيرة المتخلفة التي تستهلك مقادير كبيرة من الغذاء الغير متجانس كمًّا ونوعاً. وَلَمْ تُعِرْ القوانين والأُصول العلمية أيَّ إهتمام، ممّا أوقعها في العديد من المشاكل الغذائية والمرضية.

كما أنَّ بعض الدول والمجتمعات التي اعتادت على تناول نوع معين مِنَ الغذاء دون الأخذ بتنوعه ظهرت فيها أمراض عديدة: كفقر الدم، والهزال، وضعف الأعصاب، والاصابة بالطفيليات، مما جعلها تعيش حالة من الخمول والكسل والتخلف والركود البدني. فتحولت في نهاية المطاف إلى مجتمعات غير قادرة على الانتاج والرقي، بعيدة عن ركب الحضارة والتطور.

لذا أمرنا القرآن الكريم أنْ ننظر بإمعان وعلمية. ماذا نأكل اليوم وغداً؟ وكم نستهلك من الطعام؟ وما هو الضروري وغير الضروري؟ وماهي المكونات التي يجب أنْ تتوفر في الغذاء وتناسب حاجات الجسم المهمة، مع مراعاة حجم الانسان وعمره ومقدار ما يصرفه من الطاقة يومياً؟

وعلم التغذية الحديث زود العلماء والباحثين بفيض من المعلومات التي تخدم الإنسان، وتوفر له الطعام اللائق الجيد، ويشتمل هذا العلم على البحوث العلمية المختلفة التي تتحرى عن الأفضل والأحسن في سبيل تقديمه للانسان بغية الحفاظ على صحته.

والتغذية الصالحة لها أُسس:ـ

١ـ توفر الغذاء الصالح.

٢ـ عملية الهضم السليم.

٣ـ امتصاص طبيعي للغذاء.

٤ـ الاستفادة بما يمتص من الغذاء استفادة طبيعية وتامة.

٥ـ القدرة الكافية على الافرازات الطبيعية من الجسم بصورة صحيحة.

وعلم التغذية الحديث يستمد جذوره من علم الفسلجة والكيمياء والطب

والزراعة والاقتصاد، والعلوم الانسانية كعلم النفس والاجتماع والتعليم.

وظائف الغذاء :ـ

١ـ توليد الطاقة لادامة جسم الانسان.

٢ـ توليد الطاقة لادامة عمل الانسان.

٣ـ تقديم المواد الضرورية لبناء جسم الانسان وإصلاح الأنسجة التالفة.

٤ـ تقديم المواد الضرورية لادامة حيوية وفاعلية جسم الانسان: كالهرمونات والأنزيمات.

وكمية الغذاء ونوعيته تختلف بما يلي:ـ

١ـ العمر.

٢ـ الوزن.

٣ـ العمل.

٤ـ الاصابة بالمرض.

٥ـ الحمل.

٦ـ الجو.

٧ـ الجنس.

مكونات الغذاء:ـ

١ـ السكريات والنشويات.

٢ـ الزلاليات.

٣ـ الدهون.

٤ـ الأملاح.

٥ـ الماء.

٦ـ الفيتامينات.

ماذا يجب أنْ يتوفر في الغذاء:ـ

١ـ أنْ يحتوي على مواد ضرورية.

٢ـ أنْ يكون ذا طعم مستساغ.

٣ـ أنْ يكون قابلاً للهضم.

٤ـ أنْ يكون رخيصاً.

٥ـ أنْ يكون متوفراً.

٦ـ أنْ يكون خالياً من الأمراض.

٧ـ حاوياً على الفيتامينات.

٨ـ متوازناً بالمواد.

٩ـ وغيرَ سام.

١٠ـ أنْ يكون سهل التحضير.

العوامل التي تؤثر في العمليات الحيوية للأنسجة والحجيرات في الجسم:ـ

١ـ الوراثة.

٢ـ صحة الأبوين.

٣ـ حالة الأُم الصحية أثناء الحمل.

٤ـ أمراض الانسان في حياته.

٥ـ حالة التغذية.

٦ـ البيئة.

٧ـ الدين والعقيدة.

* * *

الموضوع الثالث

« العسل »

﴿وَأَوْحىٰ رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أنِ ٱتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعْرِشُونَ.ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِلنّاسِ إنَّ في ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

في هذه الآيات الكريمة المباركة يبيّن لنا الله سبحانه فوائد العسل، وكونه مادة غذائية لها أهمية كبيرة للناس، وأنّه شفاء لكثير من الأمراض، وكلمة الناس عامة وشاملة، لاتختص بعضو معين أو مرض معين، ممّا يدلل بأنّ للعسل استعمالات واستطبابات كثيرة تنفع الانسان وتساهم في شفائه من الأمراض المختلفة.

ولعل ما تم اكتشافه من فوائد العسل حتى الآن هو جزء قليل قياساً عمّا سيكشف عنه في المستقبل، لأنّ كلمة «شفاء» كما قلنا: كلمة عامة شاملة غير مقيدة بالنسبة لشفاء الانسان من الأمراض المعروفة والمكتشفة حالياً.

ولعل المستقبل يكشف لنا المزيد من هذه الفوائد والاستطبابات، وخصوصاً فيما يتعلق بتأثير العسل على الجهاز العصبي. وخير دليل على ذلك قول رسول الأنسانية (ص): «عليكم بالشفائين: العسل والقرآن» وقوله (ص): «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أُمتي عن الكي».

وقد قام العلماء والباحثون بمختلف قومياتهم وأجناسهم باجراء البحوث والدراسة على العسل، وتوصلوا إلى نتائج طبية تدعم ما ورد في الآية الكريمة ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِلنّاسِ﴾ وتؤيد معناها.

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٨ـ٦٩.

ولا تزال التجـارب على العسل مستمرة بجد، لكشف أسرار هذا الغذاء العجيب الذي وهبنا الله إياه من أصغر المخلوقات، ليكون عبرة لنا في التفكر بعظمة الله وقدرته.

فما هو العسل؟ وما هي مركباته؟ هذا ما أجاب عليه الكثير من العلماء، وقام الدكتور نزار الدقر بدراسة مستفيضة حول ذلك، وألف كتاباً خاصاً حول ذلك المركب الالهي الفريد سماه «العسل فيه شفاء للناس».

مكونات العسل:ـ

هو عبارة عن مخزن كامل لمجموعة من العقاقير العلاجية والوقائية الفعالة، والـذي يدخـل في تركيبه أكثر من سبعين مادة مختلفة، وذات أهمية حيوية كبرى للأعضـاء. ويكـون مصدراً للمواد السكرية وأكثر أهمية على مدى آلاف السنين. ويعادل الكيلو غرام الواحد من العسل (٣١٥٠ ـ ٣٣٥٠) سعرة حرارية.

ويختلف تركيب العسل اختلافاً يتناسب واختلاف الزهور والمناطق والأرض، وحتى باختلاف الأحوال الجوية.

فإذا أخذنا عينة من العسل، وأجرينا عليها فحصاً مختبرياً نجدها معقدة التركيب جداً، وتتألف من السكريات بالدرجة الأولى، وقد اكتشف لحد الآن ما يقرب من خمسة عشر نوعاً من السكريات في العسل وأهمها:ـ

١ـ سكر الفواكه بنسبة ٤٠٪

٢ـ سكر العنب بنسبة ٣٠٪

٣ـ سكر القصب بنسبة ٤٪

٤ـ سكر الشعير والميلسيتوز

٥ـ دكسترين

٦ـ الأرلوز وغيرها.

وهذه السكريات تنتج خلال عمليات التحضير والتخمير بفعل الأحماض والخمائر المختلفة.

ويحتوي العسل على أحماض عضوية كثيرة منها:

١ـ حامض النمل.

٢ـ حامض الليمون.

٣ـ حامض التفاح.

٤ـ حامض الأخير.

٥ـ حامض الحماض.

٦ـ حامض غلوكونيك.

٧ـ حامض بايرو غلوتاميك.

٨ـ النبيذ والزبرة.

والعسل ذو أهمية خاصة لاحتوائه العديد من الخمائر التي تلعب دوراً هاماً في حياة الكائن الحي، وخمائر العسل العديدة يأتي بعضها من رحيق الأزهار، والبعض الآخر من النحلة بالذات وأهمها:ـ

١ـ خميرة الشعير (الأميليز) التي تحول النشاء والدكسترين إلى سكر.

٢ـ خميرة (القلابين) التي تحول السكر العادي إلى سكر العنب والفواكه.

٣ـ خميرة (الكاتالاز) التي تحلل الماء الأوكسجيني.

٤ـ خميرة (الفوسفاتاز) التي تعمل على توليد الفوسفات.

٥ـ الخميرة التي تنتج الأحماض من سكر العنب.

٦ـ آثار من خميرة (البيروكسايد) و(الليباز) وبهذا يكون عاملاً مهماً من عوامل تغذية الانسان.

وقد أجرى البروفسور (ن ـ أيوريش) من معهد الفيتامينات للأبحاث العلمية السوفيتي بموسكو أبحاثاً مفادها أن العسل يحتوي على مجموعة من

الفيتامينات أهمها:ـ

١ـ فيتامين ب ١.

٢ـ فيتامين ب ٢.

٣ـ فيتامين ب ٣.

٤ـ فيتامين ب ٥.

٥ـ فيتامين ب ٦.

٦ـ فيتامين ث .

٧ـ فيتامين K .

٨ـ فيتامين E .

٩ـ الكاروتين .

واحتواء العسل على الفيتامينات يرتبط بما يحتويه من غبار الطلع (Pollen). ذلك أنَّ العسل الموجود في جوف النحلة أو في داخل فتحات القرص الشمعي يختلط بغبار الطلع الذي تجمعه النحلة كراتب غذائي بروتيني.

وهذا الغبار الطلعي هو بحد ذاته مادة شديدة التعقيد لم يكشف النقاب عن الكثير من خصائصها الكيمياوية.

ولهذا نجد العسل يحتوي على أنواع البروتينات، والأحماض الأمينية، ومشتقات الكلوروفيل، وأنواع الأصبغة، والمنشطات الحيوية، والروائح العطرية، والأغوال السكرية: كالمنيتول، والديلستول، وبعض الألدهيدات، والأسترات، والعفصيات.

وتؤكد الأبحاث بأن الفيتامينات أثناء وجودها داخل العسل لاتتأثر، أو تفقد أي جزء منها بعكس الفواكه والخضار.

كما أنَّ العسل يحتوي على بعض الهرمونات الجنسية بكميات ضئيلة، وكذلك مواد هرمونية شبيهة بالأنسولين. وأنَّ سُكَّره لا يؤثر على المرضى المصابين بمرض

(السكري) البسيط، خصوصاً العسل المسمى بـ(عسل السنط) وذلك لأحتوائه على نسبة عالية من (الفركتوز).

الأملاح المعدنية الموجودة في العسل:-

١- أملاح الكالسيوم.
٢- أملاح الصوديوم.
٣- أملاح البوتاسيوم.
٤- أملاح المنغنيز.
٥- أملاح الحديد.
٦- أملاح الكلور.
٧- أملاح الفسفور.
٨- أملاح الكبريت.
٩- أملاح اليود.
١٠- عناصر معدنية من أملاح:

المغنيزيوم، السيلسيوم، الألمنيوم، الكروم، النحاس، الليثيوم، النيكل، الرصاص، القصدير، التيتانيوم، الزنك، الأوسميوم.

والمعادن بصلاتها مع الخمائر والفيتامينات والهرمونات تؤثر على قابلية التهيج في الجهاز العصبي.

وإنَّ نقصها في غذاء الانسان يؤدي إلى فقدان نشاطه وحيويته مع فتور في التفكير والحركة. كما تلعب المعادن دوراً هاماً في تنفس الأنسجة، وفي مبادلاتها الغازية. وكذلك لها دور لاينكر في أعمال الدورة الدموية، وتكوين الدّم.

العسل مضاد للجراثيم:-

أجرى بعض الأطباء بحوثاً على العسل من قبيل زرع جراثيم متنوعة فيه،

فثبت لديهم موتها بعد ساعات من زرعها. كما أكد البعض الآخر من الأطباء بعد إجـرائهم تجارب عديدة بأنّ الجراثيم المرضية التي تصيب الانسان تموت بالعسل. ولوحظ عدم تعفن أنواعاً من العسل رغم مرور مدة طويلة على حفظها، ويرجع السبب برأي المختصين هو وجود تأثير مشترك للخمائر والسكريات كمواد مضادة للحيوية.

وقد أجمع العديد من الباحثين على أن في العسل مواداً مثبطة لنمو الجراثيم والعفنيات ضمن تركيبه والتي تمنع نمو الجراثيم، وأنّ هذه المضادات من صنع النحلة نفسها، وليس مقتصراً على التركيز السكري العالي للعسل. ويطالعنا رأي آخر هو وجود الماء الأوكسجيني القاتل للجراثيم، أو وجود كميات من البوتاسيوم الذي يقوم بسحب الرطوبة المائية للجراثيم نفسها.

استعمالات العسل في الأمراض المختلفة:ـ

١ـ استعـمال العسل في طب الأطفال: أكد الباحثون أنّ العسل يزيد في خضاب الدم، وعدد الكريات الحمراء في دماء الأطفال، ويعتبر غذاءً للأطفال ويساعد على نموهم لاسيما الأطفال الخدج، ويقيهم من الاصابة بأمراض مختلفة، وقد لوحظ بأنّ وجود العسل مع غذاء الأطفال ينظم جهاز الهضم ويقلل الغازات عندهم.

٢ـ استعمال العسـل في الشيخوخة: للعسل تأثير على التجعد في الجلد المسترخي، وله أيضاً تأثيره على شكاوى الطاعنين في السن في حالات الانحطاط، والوهن العـام، وآلام الـرأس، والوهن العصبي، والنفسي، وداء الثعلب، والتهاب المفاصل، وتصلب خلايا الدماغ، كما يساعد المرضى المصابين بداء الكحول المزمن.

٣ـ استعمال العسل في الأمراض الجلدية: للعسـل تأثيرات موضعية في معالجة الجـروح والقـروح والأمراض الجلدية المختلفة، وقد استعمل قديماً وحديثاً لأنّ وجوده يساعد في زيادة افرازات الجروح لمادة (الفلوتاتيون) التي لها دور كبير في عمليات الأكسدة، ويزيد في نمو البراعم الحبيبية، وإسراع التندب حتى الشفاء.

٤ـ استعمال العسل في أمراض العيون: أدى استعمال العسل في التهابات القرنية،وحـواف الأجفان الى نتائج طيبة، فقد أُستعمل في تحضير الكثير من مراهم العيون. كما أعطى نتائج ملموسة عند استعماله في حروق العيون.

٥ـ استعمال العسل في أمراض الجهاز الهضمي:ـ

أ ـ يكافح الإمساك وينظم الهضم.

ب ـ يشعـر المـرضى براحـة بعد إجراء العمليات الجراحية على الجهاز الهضمي، لما يقوم به من تحريك الأمعاء وذلك لوجود المواد العطرية الطيارة فيه.

ج ـ يكافح جراثيم الأمعاء والتخمر.

د ـ يعمل كمنظم لحموضة المعدة.

هـ ـ له تأثير جيد على غشاء المعدة، وتبرز فائدته في التئام القرحة المعدية.

و ـ له تأثير كبير في عملية تنشيط الكبد.

٦ـ استعمال العسل في أمراض الجهاز التنفسي:ـ

أ ـ يفيد في شفاء النزلات الشعبية.

ب ـ يستعمل كبخار مفيد في التهابات الأنف والفم والبلعوم والحنجرة.

ج ـ يريح صداع الجيوب الأنفية.

د ـ يزيد في شفاء المصابين بمرض (السل) عند استعماله مع الأدوية المضادة للسل.

٧ـ استعمال العسل في أمراض جهاز الدوران والقلب:ـ

أ ـ يقوي عضلة القلب لأحتوائه على السكريات والفيتامينات بنسبة كبيرة.

ب ـ يزيد في إرواء عضلة القلب بالـدم، ويقوم بتوسيع الأوعية الاكليلية لوجود عامل (الفليكوتيلين) الذي له أثر خاص على الكبد والدورة الدموية.

ج ـ ينظم الضغط الدموي وضربات القلب.

د ـ يخفف من تأثيرات الأدوية الجانبية على عضلة القلب.

هـ ـ يفيد بعد العمليات الجراحية على القلب.

٨ـ استعمال العسل في أمراض الجهاز العصبي:ـ
أ ـ قليله مهدىء وكثيره منبه ومنشط.
ب ـ يفيد في علاج «داء الرقص».
ج ـ يفيد في علاج ضعف الذاكرة والوهن والجمود الفكري.
د ـ يساعد في ضبط النفس ويقلل من نسبة الهيجان العصبي.
هـ ـ يخفف من وذمة الدماغ.
و ـ يفيد في علاج (اللمباجو)، والتهاب (العصب الوركي).
ز ـ يعتبر العسل أفضل غذاء، ومرمم للجهاز العصبي.

٩ـ استعمال العسل في الأمراض النسائية:ـ
أ ـ يفيد العسل في تقليل تأثير الوحام عند النساء الحوامل، خصوصاً إذا استعمل كمحلول يزرق بالوريد.
ب ـ يساعد الألياف الرحمية على التقلص فتحدث الولادة بشكل طبيعي وأمين.
ج ـ أعطى العسل نتائج طيبة عندما استعمل مع المخدر الموضعي في الحالات النسائية لأنه يطول مدة تأثير المخدر، وبدون أنْ يحدث هبوطاً في ضغط الدم، خصوصاً المرضى المصابين باضطرابات قلبية أو دورانية وسمي هذا المركب بـ(الميليستين).
د ـ يساعد في شفاء الجروح بشكل سريع، دون أن يصحبها ألم[١].

أنواع العسل: كل نوع من أنواع العسل يفيد في شفاء حالات مرضية معينة، وفيما يلي سنعّرض لبعض النماذج[٢].

---

(١) د.نزار الدقر: العسل فيه شفاء للناس.
(٢) مجلة (نور الاسلام) العدد الثاني ـ السنة الأولى ص٩٢ (شهر رمضان ـ١٤٠٨هـ).

١ـ عسل السّنط

اللون: عنبري.

الرائحة: نفاذة.

المذاق: شديد الحلاوة.

الكثافة: سائل.

استطباباته: إنّه ـ بفضل حلاوته ـ عسل المائدة المميّز والمفضل، وهو أيضاً الأثير لدى الأطفال. ويمكن استخدامه لتحلية الرضاعة للأطفال. ويُنصح به أكثر من سواه للمرضى المصابين إصابة بسيطة بمرض السّكر، وذلك لأحتوائه على نسبة عالية من سكر (الفركتوز) ولكن دون إفراط.

٢ـ عسل الزعرور

اللون: عنبري فاتح.

الرائحة: معطر.

المذاق: حلو سائغ.

الكثافة: محبب ناعم (أي ذو حبيبات ناعمة).

استطباباته: ينصح بتناوله في حالات الإصابة بإرتفاع الضغط، وتصلب الشرايين. إنّه عسل مرضى القلب. ويستخدم في حالات التشنج والخفقان والذبحة الصدرية. وبما أنّه مضاد للتقلصات العضلية فإنه مفيد وجيد لعصبيي المزاج وللمصابين بالقلق كما يستعمل في حالات (الدوخة) وطنين الأذن، وهو يخفف الأرق.

٣ـ عسل البرتقال

اللون: عنبري.

الرائحة: خفيفة.

المذاق: محبب.

الكثافة: عجيني.

استطباباته: مضاد للتشنج ومسكّن. يفيد أصحاب المزاج العصبي والقلق وفي حالات الشقيقة (الصداع النصفي) والأرق وخفقان القلب.

٤ـ عسل الحنطة السوداء

اللون: بني غامق.

الرائحة: متميزة.

المذاق: غريب، غير اعتيادي.

الكثافة: غليظ القوام.

استطباباته: يُنصح باستخدامه للأطفال في طور النمو، وفي حالات خَسْف المعدنيات، وبعد الولادة وأثناء الرضاعة، وبعد الإصابة بكسور في العظام.

٥ـ عسل الزيزفون

اللون: أصفر فاقع.

الرائحة: شديد العطرية.

المذاق: لذيذ.

الكثافة: عجيني.

استطباباته: يفيد ضد التقلصات، وكمهدئ لمجمل الجهاز العصبي، ويستعمل ضد الأرق. ويمكن استخدامه لتحلية نقيع الماء [١].

* * *

(١) النقيع: هو ماء مغلي يوضع فيه نبات طبي ثم يُصفّى ويُشرب.

الموضوع الرابع
« الإسراف في الطعام »

﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاتُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[١].

ما جاء في الآية الكريمة يعتبر من أعظم وأروع القوانين الالهية التي لها علاقة بصحة الانسان، كما يعتبر حجر الزاوية في العلاقة بين الانسان والغذاء، ذلك أنّ الرغبة في تناول الشراب والطعام وجدت مع الانسان منذ اليوم الأول لوجوده في هذا الكون.

والغذاء بأنواعه المختلفة يعطي الانسان الطاقة اللازمة لادامة الفعاليات الحيوية، وتناوله يخضع لميزان صحّي وعلمي يخدم الانسان خلال حياته، ويجعله ينعم براحة وسلامة بعيداً عن الأمراض. فإنّ كمية الغذاء المتناول إذا كانت أكثر من حاجة الجسم ولدّت له مضاعفات وسببت المشاكل الغذائية والصحية، في حين أن تناول كمية من الغذاء أقل من حاجة الجسم أدت إلى هبوط فعالياته المختلفة.

ومن خلال التجارب العلمية وجد أنّ جسم الانسان العادي المتوسط القامة والوزن يحتاج بمعدل (٢٥)غم من البروتينات و(١٠٠)غم من السكر وكمية من الدهنيات والأملاح والفيتامينات. وتجاوز هذه النسب بمعدلات عالية يولد للجسم مضاعفات وأعراض مرضية قد تؤدي به إلى الموت في بعض الأحيان.

ولعل الرغبة في امتلاك الغذاء وتناوله شغلت بال الأنسان كما شغله المال والبنون، وللحد من هذه الرغبة الجامحة جاءت الآية الكريمة لتحذر الانسان من

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

الأنجرار وراء تناول الطعام بإسراف، الذي ينتج عنه أضرار بدنية ليس لها ما يبررها من النواحي الصحّية والعلمية.

والرسول الأكرم(ص) لم يترك هذه المشكلة، وإنّما نبّه عليها في الكثير من أحاديثه وأقواله، أليس القائل (ص): ***«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ولانشبع إذا أكلنا»***[١].

و ***«المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عود»***[٢].
و ***«ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً من بطنه»***[٣].

كما تطرق أمير المؤمنين الإمام علي(ع) الى هذا الموضوع الهام حيث قال: ***«كثرة الطعام تميت القلب كما يميت كثرة الماء الزرع»***[٤].

وعن الإمام الصادق(ع): ***«الأكل على الشبع يورث البرص»***[٥].
وعنه أيضاً: ***«إياك والإكثار من شرب الماء، فإنّه مادة كل داء»***.

وقال (ع): ***«لو أنهم أقلّوا من شرب الماء لاستقامت ابدانهم»*** قال: وكان النبي(ص) إذا أكل دسمًا أقلّ من شرب الماء، فقيل له: يا رسول الله! إنك لتقلّ من شرب الماء؟ فقال: ***«إنّه أمرأ للطعام»***[٦].

والإسراف: إمّا أنْ يكون بتناول كميات كبيرة من الطعام، أو التركيز على نوع معين من الغذاء دون غيره، أو الانسياق الشديد وراء رغبات النفس الغذائية دون النظر إلى الأضرار وعواقب الأُمور.

---

(١) بحار الانوار ج٦٣ ص٣٣٠.
(٢) مكارم الأخلاق ص١٥٠.
(٣) مكارم الأخلاق: ص١٤٧.
(٤) نفس المصدر: ص١٥٧.

الأمراض التي يسببها الإسراف في الطعام:ـ

١ـ التخمة وعسر الهضم وما يرافق ذلك من توسع المعدة، وألم في الجزء العلوي من البطن، وزيادة الغازات، وقد يصحب ذلك إسهال أو تقيؤ مع نحول ودوران وانبعاث روائح كريهة من الفم، نتيجة تناول كميات كبيرة من الغذاء.

٢ـ التهاب البنكرياس الحاد أو المزمن.

٣ـ وذمة قلبية خصوصاً عند الطاعنين في السن إذا كان الغذاء يحتوي كميات كبيرة من الدهنيات.

٤ـ تصلب الشرايين نتيجة تناول الدهنيات بكثرة.

٥ـ التهاب المعدة الحاد أو المزمن أو القرحة.

٦ـ داء النقرس الناتج عن تناول اللحوم والخضروات بكثرة.

٧ـ ارتفاع ضغط الدم خصوصاً عند الاكثار من تناول الأملاح.

٨ـ الاسهال أو القبض نتيجة تناول بعض الفواكه.

٩ـ داء السكر: ويحدث عن تناول السكريات بكثرة خصوصاً عند الأشخاص المصابين بالسمنة.

١٠ـ حساسية في البدن: وتحدث من جراء تناول الفلافل والبهارات والأطعمة الحارة بكميات كبيرة.

١١ـ تسوس الأسنان: ويحدث بسبب الاكثار من تناول السكريات الصناعية التي تساعد على التخمر في جوف الفم وبين الأسنان.

١٢ـ الحصيات الكلوية: تحدث لدى البعض نتيجة تناول اللحوم والحليب والجبن وبعض المياه الثقيلة أكثر من اللازم.

١٣ـ السمنة: وهي زيادة في كمية الدهنيات الموجودة في الجسم تحدث جراء الاكثار من الطعام وخاصة السكريات والدهون لا سيما عند الأفراد الذين لديهم استعداد وراثي للسمنة.

أسباب السمنة:ـ

١ـ زيادة تناول الغذاء خصوصاً الدهنيات والسكريات.

٢ـ عدم قيام الجسم بفعاليات لصرف الطاقة.

٣ـ الاستعداد الوراثي.

أعراض السمنة:ـ

١ـ كآبة وقلق نفسي.

٢ـ تسطح القدمين والتهابات أنواع المفاصل في الجسم.

٣ـ ضيق النفس.

٤ـ قصور في فعاليات الجسم المختلفة.

٥ـ إحتمال حدوث فتوق في الجسم خصوصاً الفتق المغبني والمعدي.

٦ـ زيادة كميات (الكولسيترول) بالدم.

٧ـ زيادة حجم القلب.

٨ـ زيادة نسبة ضغط الدم.

٩ـ زيادة الاصابة بالذبحة الصدرية.

١٠ـ تصلب الشرايين.

١١ـ قصر عمر المصاب بالسمنة.

أسباب نفسية ترفض الإسراف في الطعام:

١ـ مرفوض اجتماعياً ونفسياً، وقد يعرض صاحبه للطعن، ويجعله عرضة للنقد.

٢ـ يخالف آداب الطعام المتعارف عليها دينياً وإجتماعياً وعائلياً.

قال (ص): ***«نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله الشبع، والقربة إلى الله حب المساكين والدنو منهم»*** [١].

وقال الإمام الصادق(ع): ***«كثرة الأكل مكروهة»*** [٢].

وعنه (ع): ***«من أكل طعاماً لم يدع إليه فكأنما أكل قطعة من النار»*** [٣].

٣ـ يؤدي إلى حدوث مشاكل اقتصادية ومالية ونفسية.

قال النبي(ص): ***«ليس بمؤمن مَنْ بات شبعاناً وجاره طاوياً»*** [٤].

٤ـ يؤثر على تربية الأطفال وسلوكهم.

فعن الإمام الصادق(ع): ***«إذا دعي أحدكم إلى الطعام فلا يستتبعن ولده، فإنه إن فعل أكل حراماً ودخل عاصياً»*** [٥].

٥ـ يجعل الأنسان عرضة للحسد.

٦ـ يؤدي إلى التساهل في العبادة:

فعن رسول الله(ص): ***«لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنَّ القلوب تموت كالزروع إذا كثر عليه الماء»*** [٦].

و***«لاتشبعوا فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم، ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور العين حوله»*** [٧].

وسئل رسول الله(ص): ***«ما أكثر ما يدخل النار؟! قال (ص): الأجوفان: البطن والفرج»*** [٨].

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٤٩.

(٢) نفس المصدر: ص١٤٧.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) أيضاً ص١٣٧.

(٥) مكارم الأخلاق ص ١٤٧.

(٦)(٧)(٨) مكارم الأخلاق ص ١٥٠.

وقال أمير المؤمنين الإمام علي(ع): ***«إياكم والبطنة فأنها مقساة للقلوب، مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد»***[١].

وقال الإمام الصادق(ع): ***«إنّ البطن إذا شبع طغى»***[٢]

* * *

---

(١) بحار الانوار ج٦٣ ص٣٣٨.

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٤٣.

الموضوع الخامس
« المحرّمات »

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاّ ما ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ (١) .

الميتـة: هي الحيوان الميت الذي كان أكله حلالاً عندما كان حيّاً سليماً. والحيوان الميت حرَّم الشارع أكله، وهو مكروه من الناحية النفسية، كما أنَّ الطب الحديث وقف معه موقف المعارض لأسباب صحّية كثيرة حفاظاً لسلامة جسم الانسان مِنْ أنْ يُصاب بأمراض عند تناوله لذلك اللحم الميت.

وهذه المعارضة الطبية جاءت بعد دراسات ومتابعات أثبتت أنْ هلاك الحيوان ناتج عن مرض حاد أو مزمن، مما جعل لحمه غير صالح للاستهلاك البشري.

وتبدأ في الحيوان الميت عمليات التفسخ بعد ساعات من موته، كما يخضع لتغيّرات كيمياوية وفيزيولوجية مختلفة، تبدأ أولاً بترسب الدم في أجزاء معينة من جسم الحيوان، فينتج عنها ما يسمى بـ(الزرقة الرمية) ثم يحدث بعد ذلك (التيبس الرمي) الذي يؤدي إلى تصلب عضلات جسم الحيوان الميت وتوترها، بسبب تكوّن الأحماض كحامض (اللبن) و(الفسفور) و(الفورميك).

وبعد فترة تعود الحالة القلوية للعضلات ويبدأ (التيبس الرمي) بالزوال، وعندها تغزو الجراثيم جثة الحيوان وبشكل كثيف وسريع، وتأخذ الجراثيم (الهوائية) و(اللاهوائية) بالتكاثر داخل جسم الحيوان الميت، مما يؤدي إلى تعفن الجثة وانتفاخها وتفسخها مع انبعاث الروائح الكريهة منها، حيث يلعب الدم المتجمد في عروق الجسم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

دور العامل المساعد في سرعة عملية التفسخ.

والأمراض الحيوانية التي تؤدي إلى الموت كثيرة، منها ما يختص بالحيوانات فقط ولا تصيب الانسان، ومنها ما تصيب الانسان والحيوان معاً. وفي هذه الحالة يكون تناول اللحوم أكثر خطورة على الإنسان من السابق.

أما الأمراض المشتركة التي تصيب الحيوان والانسان فهي:ـ

١ـ مرض السل.

٢ـ الجمرة الخبيثة.

٣ـ مرض التيفوئيد.

٤ـ مرض الدزنتري.

٥ـ الأكياس المائية.

٦ـ أمراض طفيليات الكبد.

٧ـ مرض حمى مالطا.

٨ـ الديدان المعوية والشريطية.

٩ـ الاصابة بأمراض الميكروبات المسبحية والعنقودية.

١٠ـ الاصابة ببعض الأمراض الفيروسية.

لقد أصبح واضحاً في الوقت الحاضر أنّ عملية الذبح على الطريقة الأسلامية هي عملية صحيحة وعلمية، لما لها من فوائد كثيرة تضمن سلامة اللحم المذبوح، حيث ثَبُتَ أنّ عملية ذبح الحيوان التي تتم بقطع الأوردة الرئيسية في الرقبة فقط مع المحافظة على بعض الأوردة والشرايين تضمن خروج أكبر كمية من الدم في جسم الحيوان، لأنّ العلاقة بين المخ والقلب لا تزال سليمة، وهذا يعطي الفرصة لكميات كبيرة من الدم للخروج من جسم الحيوان المذبوح.

أما إذا كانت عملية الذبح خلاف هذه الطريقة الإسلامية، فإنها تؤدي إلى صدمة عنيفة للحيوان يتبعها تجمد الدم في العروق والجسم مع ترسب حامض

(البوليك) في لحم الحيوان المصـدوم.

الدّم: هو عبارة عن مركب معقد يوجد في عروق الانسان والحيوان، ذو منظر مفـزع، والحـديث عنـه مرعب ومخيف، لأن لفـظه يترادف مع الأحداث والمشاكل والمآسي، والتحدث به كغذاء ذي فائدة لا يقبله الذوق ولا ترنو إليه النفس، وقد ثبت في الوقت الحاضر أنَّ الدّم لا يصلح لأنْ يكون غذاءً للانسان لأسباب صحّية كثيرة لا تقبل الجدل والنقاش، ومن أهمها:ـ

١ـ يعتبر الدّم أفضل غذاء للميكروبات ووسطاً صالحاً لنموها بشكل سريع وفعال، حيث تتكاثر فيه بسرعة هائلة لا يوازيه فيها إلّا الحليب، فهو إذن سريع التلوث، حتى في حالة جواز تناوله كغذاء، ويتعفن خلال مدة قصيرة جداً.

٢ـ ذو رائحة كريهة.

٣ـ منـظره وشـربه يولّد القسوة في نفس الانسان العادي، ويجعله عرضة لارتكاب الجرائم، فهو مكروه من الناحيتين (النفسية والتربوية).

٤ـ يحتوي على نسبة كبيرة من حامض (اليوريك) والفضلات الأُخرى التي تضر الجسم.

٥ـ ثقيل التناول، وذلك لاحتواء كريات الدم الحمراء على نسبة عالية من الحـديد، ممّا يسبب آلامـاً في المعدة والأمعاء والبطن، ويتبع ذلك التقيؤ والاسهال. وبالتالي يحرم الجسم من امتصاص المواد الغذائية الضرورية الموجودة في الجهاز الهضمي.

٦ـ يؤدي تناوله إلى اضرار تصيب الكبد والمعدة والأمعاء، وترسب في الكلى ممّا يؤدي إلى أعراض خطيرة، لأنَّ الدم المتجمع في المعدة والأمعاء يخدش جدارها ويلحق بها الأذى. وهـذا ما نلمسـه عنـد انفجار دوالي المرىء أو قرحة المعدة أو القولون، حيث تحدث حالات التقيؤ الشديد والإسهال، ممّا يُعطي دليلًا قاطعاً بأنَّ الجسم لايقبل كميات من الدم وإنْ كانت قليلة داخل تجاويفه وَمنْ نفس جسم

الإنسان.

٧ـ لا يُمكن اعتباره غذاءً متكاملاً من الناحية الغذائية والعلمية، فنسبة البروتينات فيه ضئيلة جداً، كما أنّه عسر الهضم بسبب (الفايبرين) الذي يؤدي تأثيره إلى تليّف الدم.

لحم الخنزير: الخنزير حيوان قذر، كريه المنظر، يعيش في البيئات الوسخة التي تنعدم فيها الظروف الصحّية، وقد حرّم القرآن الكريم أكل لحمه قبل مئات السنين، ولم تكن حينذاك مختبرات طبية حديثة أو دراسات علمية كالتي نراها اليوم حول أضرار لحم الخنزير.

ولعل ما اكتشفه لنا العلم الحديث، وما سيكتشفه مستقبلاً لهو خير دليل على كون المحرمات التي جاء بها القرآن هي لصالح الانسان وسلامة جسده ونفسه.

الأمراض التي تصيب الانسان نتيجة التلوث بفضلات الخنزير:ـ

١ـ الدزنتريا الخنزيرية: وتسببه الطفيليات المعروفة باسم (البلانتريازس) والتي تكثر في البيئات التي تعيش فيها الخنازير، حيث تقوم بنقل الميكروبات إلى المأكولات، فتحدث حالات الاسهال المصحوبة بالمخاط والدم مع التقيؤ، وارتفاع درجة الحرارة، والضعف العام.

٢ـ مرض (داء وايل): وينتقل إلى الانسان عن طريق المياه الملوثة ببول الخنزير.

٣ـ شريطية السمك العريضة: وهي تصيب الانسان ويبلغ طولها (٣ـ١٠)م، ويلعب الخنزير دور العائل الخازن في دورة حياتها.

٤ـ الأميبا النسيجية: وتسبب للانسان (الزحار الأميبي)، ويلعب الخنزير فيها دور العائل العادي.

٥ـ حصبة الخنزير: وهو مرض يُصاب به الخنزير وغيره من الحيوانات، وينتقل منه إلى الانسان.

الأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة أكل لحم الخنزير:-

١- الديدان الشريطية: تصيب الانسان عند تناوله لحم الخنزير غير المطبوخ جيداً، حيث تسبب له اضطرابات مختلفة في الجهاز الهضمي مع ضعف عام ونحول واصفرار الوجه.

٢- يحتوي لحم الخنزير على (٢٨/١٪) من الدهون، في حين أنَّ لحم البقر يحتوي على (٤/٥٪) من الدهون وغني بالبروتينات، لذلك يكون لحم الخنزير أعسر هضمًا ويؤثر على الأمعاء.

٣- يؤدي تناول لحم الخنزير ومشتقاته إلى إصابة الانسان بديدان (الترخينة) التي لا يزيد طولها عن (٤)ملم عند تكامل نموها، وهذه الديدان تعيش في عضلات الخنزير بشكل يرقات صغيرة متحوصلة، فإذا لم يُطْهَ لحم الخنزير جيداً، فإنَّ الانسان يصبح عرضة للاصابة بهذه الديدان التي توّلد له الضعف والهزال والحمى وشدة الآلام. ويحتمل أنْ يكون المرض وبائياً مما يؤدي إلى موت الكثير من الأشخاص.

٤- تناول المواد الغذائية الملوثة ببيوض الديدان الشريطية للخنزير ينتج عنه أمراض عديدة، حيث يؤدي ابتلاع هذه البيوض التي تحتوي اليرقات ذات القابلية على اختراق جدار الأمعاء والوصول إلى الدم، ومنه تستقر في عضلات الجسم المختلفة، أو تحت الجلد على شكل كيس متليّف، ويحدث خطرها في حالة استقرارها في العضلات المسؤولة عن التنفس (عضلات الحجاب الحاجز وما بين الأضلاع)، وقد تستقر في عضلات العين والقلب والعظام، وتزداد خطورتها عندما تستقر في أنسجة المخ حيث تنتج عنها أمراض عديدة كالصرع وغيره.

٥- يحتوي لحم الخنزير على كمية كبيرة من حامض (البوليك) خلافاً لسائر الحيوانات على وجه المعمورة، فكل الحيوانات تستطيع أنْ تفرز (٩٠٪) من هذه المادة بمساعدة الكليتين، إلّا أنَّ الخنزير لا يتمكن من إفراز أكثر من (٢٪) في حين تصبح الكمية الباقية جزءاً من لحمه، ولهذا السبب فإنَّ الخنزير يشكو آلاماً في المفاصل،

وكذلك الذين يأكلون لحمه فإنهم أيضاً يشكون من آلام المفاصل والروماتيزم.

٦ـ يسبب لحم الخنزير التهاب (السحايا) و(المخ) نتيجة الاصابة بـ(الميكروب السبحي) الكثير الشيوع في لحم الخنزير[١].

الأسباب النفسية لكراهة لحم الخنزير:ـ

١ـ الخنزير حيوان قذر يأكل النجاسات بأنواعها، ومعروف عن حبه الشديد لأكل القاذورات والجيف، ولا يستطيع الاقلاع عن ذلك حتى لو أُطعم أفضل المأكولات، واستقر في أنظف الحّضائر.

٢ـ ليس للخنزير أي ارتباط عائلي كبقية الحيوانات، فهو ذو قلب ميت وعديم الغيرة على أُنثاه وبناته، ولهذا فأكل لحمه يصيب الانسان ببرود القلب والنخوة والغيرة والإحساس العائلي[٢].

المنخنقة: التي ماتت بالخنق.

المتردية: التي تردت من علو إلى أسفل فماتت.

الموقوذة: التي تضرب حتى الموت.

النطيحة: التي نطحت من قبل حيوان آخر فماتت.

وما أكل السبع منه: فمات (إلا ما ذكيتم) أي أدركتم ذكاته من المذكورات، سوى الخنزير.

وما ذبح على النصب: أي على حجر أو صنم.

وأنْ تستقسموا بالأزلام: بالأقداح، وهو قمار كان في الجاهلية، فحرمه الله وفسر بالميسر[٣].

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم: للدكتور عبدالحميد ذياب والدكتور احمد قرقوز.

(٢) الإسلام يتحدى: نوحيد الدين خان.

(٣) تفسير شبر: للعلامة السيد عبدالله شبر.

الفصل الثالث
علم الأمراض النسائية والتوليد

القرآن الكريم، على خلاف جميع الآراء الفلسفية والمذهبية والعادات التي كانت سائدة، وعلى خلاف الكثير من الآراء والعادات المتأخرة. فهو يجلّ المرأة ويعتبرها كالرجل في الحقيقة وفي الذات ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾(١).

وقد حمل القرآن ـ في أكثر ما حمل ـ الخير للمرأة المسلمة التي كانت من قبل ضائعة بين أنياب الجاهلية؛ والعادات القبلية في الشرق؛ والقوانين الزمانية في الغرب؟

ولقد حارب القرآن فكرة أنَّ المرأة يحسن التخلص منها وهي وليدة؛ فحارب عادة الوأد التي كانت معروفة في حياة بعض القبائل حرباً لا هوادة فيها؛ وعالج هذه العادة بنفس الروح التكريمية الخالصة التي ينظر بها إلى البشر، وهو يقول عن يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٢)..

فجعل هذا موضوع سؤال استنكاري بارز ظاهر في ذلك اليوم الرهيب.

وحين منح المرأة حقوقها الروحية والمادية، كان ينظر إلى صفتها الأنسانية، ويسير مع نظرته إلى وحدة الانسان: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾(٣)..

وكان يريد رفعها إلى حيث يجب أنْ يكون شطر (النفس) الواحدة.

ومن هنا نجد أنَّ القرآن الكريم قد وضع هذه القضية على أساس الوحدة..

---

(١) سورة الروم : الآية ١٢٤.

(٢) سورة التكوير: الآية ٨ و ٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١.

فالمرأة والرجل من أصل واحد. ومن معدن واحد.. ﴿بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ﴾[1] فالأساس في هذه القضية هو التسوية. وبهذه الأسس النظرية نجد أنّ القرآن الكريم قد قضى على أوهام الأمم السابقة من أنّ المرأة ليست من طينة الرجل، وأنها ليست من جنسه، قضى القرآن على هذه الأوهام ونسفها نسفاً تاماً..

وقد جعل الله سبحانه النبي محمداً(ص) ـ بالذات ـ شاهد صدق على هذا الموقف، حيث جعل نسله من فاطمة الزهراء(ع) وردّ على مَنْ سماه ـ أبتر ـ بعد موت ابراهيم ابنه من مارية القبطية في السنة الثانية من الهجرة ﴿إنّا أعطَيْناكَ الكَوْثَر. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[2].

وحسب القرآن ما كفل للمرأة من مساواة دينية وروحية، فمن رحمته تعالى أنّه لم يجعل الأجر عنده وقفاً على نوع معين من العمل يتاح لأحد الجنسين ولا يتاح للآخر. إنما الأجر على الوفاء بالتكليف أياً كان التكليف، ومن ناحية الأهلية للملك والتصرف الإقتصادي يتساويان، ومن مساواة في التملك والكسب.

وأعطاها القرآن مكانة عالية في المخاطبة التشريعية قرنت بالذكر، وفي التكليف تتساوى مع الرجل.. إلاّ فيما يتعلق بفطرتها الأساسية ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾.. كما أعطاها الإمكانيات التي تخولها بحفظ جميع حقوقها الأجتماعية في جميع الميادين التي تتفق وكيانها الخاص!

وها هو التاريخ يشهد كيف كان نبي الأسلام (ص) يحترم المرأة، ليبين للناس المكانة العظيمة للمرأة في المجتمع الأنساني، وليؤكد أنها إنْ لم تكن أفضل من الرجل فهي ليست بأقل منه، فقد بذل (ص) جهداً متناهياً في رفع مستوى المرأة التي تعيش في عصره، والتي كانت تحمل تبعات اضطهاد الماضي وعقده، وفي تحسين نظرة الناس إليها، فقد اعتبر أنّ «خير الأولاد البنات» وأنّ «المرأة محبّبة عنده مع الصلاة»

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) سورة الكوثر: الآيات ٣،٢،١.

وأنَّ «النساء أمانة في أُمته» وأنَّ «مَنْ كانت له ابنة فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله بها الجنة».

فغَيَّر القرآن مفهوم الجاهلية نحو البنت من النظرة الحقيرة إلى النظرة الخيرة الطيبة لها، واعتبر تبكير الأُم بالبنت يمناً وبركة.

وما حقق لها من ضمانات في الزواج بإذنها ورضاها، دون إكراه أو اهمال، ولا نجد في جميع الآيات القرآنية ما يسمح بفرض الزواج عليها دون رضاها، أو يمنع المرأة من التصرف في أموالها حتى بعد الزواج.

ومن هنا تتأكد بجلاء حرية المرأة الأجتماعية في الأسلام.. إنها حرّة في العمل والكسب، ولها استقلالها الأقتصادي وحقوقها المالية كاملة. وهي حرة في التعلم، لأنَّ طلب العلم في دين التوحيد فريضة على كل مسلم ومسلمة. وللمرأة أنْ تنشط إجتماعياً في نشر الثقافة أو إسداء الخير أو المشاركة في الخدمات العامة. ومنحها حرية تزويج نفسها ممن تشاء بلا ضغط ولا إرغام، ومنحها حق الخروج والدخول في ثياب محتشمة، لا تثير الشهوات ولا تجعلها نهباً للنزوات.

وهكذا تسجل الشريعة الاسلامية للمرأة ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ من الحقوق والواجبات ما يرشحها للخلود والشمول. وهذا فضلاً عما تخلل ذلك من رعاية وعناية خاصتين لها.

فالمرأة خلال حياتها الطويلة معرضة لمشاكل عديدة تمر بها يومياً خلال تلك المسيرة. وهذه المشاكل تتطلب حلولاً شافية بشكل علمي وعملي ثابت، يكون بمثابة دستور دائم تسير عليه حياة نصف مجموع الناس القاطنين على وجه المعمورة.

ولعل أكثر الأُمور حساسية في حياة المرأة هو ما تتعرض له من مضاعفات أثناء حياتها اليومية من جراء نمو جسمها، ومتجددات حقوقها عندما تبلغ الحلم، أو أثناء زواجها حينما تبدأ ممارسة فعالياتها الجسدية والجنسية حيث تتعرض لأمراض عديدة أو مضاعفات طبية مختلفة، تجعل حياتها عرضة للموت، وتؤدي في بعض الحالات إلى كارثة تحل بالعائلة وتحطم مستقبلها.

ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم نقرأ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

﴿وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ ذَٰلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٢].

وقد تصاب المرأة ببعض الأمراض العصبية من جراء التحولات الجسدية والجنسية أو أثناء الزواج، ثم تأتي فترة الحمل وفيه تكون المرأة عرضة لتغيّرات جسدية وهرمونية كثيرة، تصاحبها تغيّرات فسيولوجية ونفسية وعصبية في بعض الأحيان، وعندها تبدأ الهموم ويبدأ التفكير من قبل المرأة بالوضع الجديد، وتحسب له ألف حساب خوفاً من المضاعفات التي تنشأ من جراء الحمل.

وقد أولى القرآن هذه الفترة من حياة المرأة عناية فائقة، ووردت فيه آيات كثيرة توضح بعض العلامات والمشاكل التي تحدث خلال تلك المرحلة من حياة المرأة، حيث يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣].

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنا فَنِعْمَ القادِرُونَ﴾[٤].

﴿وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦.

(٤) سورة المرسلات: الآيات ٢٠-٢٣.

(٥) سورة الاحقاف: الاية ١٥.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾[١].

وينتهي الحمل وتأتي فترة الرضاعة، وهذه تعتبر من الفترات الحساسة في نمو العلاقة بين الأم والرضيع، ولها أثر صحي كبير على مستقبل الطفل النفسي والصحي والعاطفي.

وقد خصّ القرآن هذه الفترة المهمة من حياة المرأة بآيات كثيرة لتكون دستوراً أساسياً دائماً، تسير عليه وتأخذ به الأمهات والآباء والمجتمعات.

﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾[٢].

وتكبر المرأة، والقرآن الكريم لاينفك يتابعها بأسلوبه الرائع والأنساني، ويوصي بها عند بلوغها الكبر أو عندما لم تكن بقادرة على القيام بعمل، وماذا ينبغي علينا كي نوفر لها من حقوق عائلية واجتماعية وفاءً لجميلها علينا؟ وكيف نتعامل معها خلال تلك المرحلة من عمرها الطويل بعد أنْ أعياها التعب وأفنت العمر الجميل، وقدمت الغالي والنفيس في سبيل المجتمع والأولاد، حيث سهرت الليالي وأرضعت الحليب، وقدمت حياتها رخيصة في سبيل غيرها، لتنشيء جيلاً صالحاً ينفع الأسرة والمجتمع؟

وعزّ من قال: ﴿وَوَصَّيْنا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصيرُ﴾[٣].

﴿وَقَضىٰ رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلاتَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَريماً. وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً﴾[٤].

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٤) سورة الاسراء: الآيات ٢٣-٢٤.

الموضوع الأوّل
« المحيض »

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ في المَحِيضِ وَلاتَقْرَبُوهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

يعرف المحيض طبّياً بأنّه: عبارة عن نزف وطرد فيزيولوجي للغشاء الداخلي للرحم، ويحدث شهرياً بشكل منتظم في أغلب الأحيان منذ البلوغ إلى سن اليأس، وهو عملية هدم تقع ضمن سيطرة هرمونات (الغدة النخامية) و(المبيض).

عن هذا المحيض سُئِلَ الرسول الأكرم(ص) قبل أربعة عشر قرناً، وهل يجوز المقاربة فيه أم لا؟ فنزلت الآية الشريفة لتوضح للمسلمين مضار وأخطار المحيض، وطلبت منهم الابتعاد عن النساء، وتجنب مقاربتهن أثناء فترة المحيض حتى يطهرن، واصفةً إياه بأنه أذى.

وكلمة (أذى): مصطلح عام وجامع، سواء كان الأذى جسمياً أو نفسياً. وذات مفهوم شمولي عام يتلاءم وقدرة الفرد المسلم على تفسيرها حسب تفكيره وعلمه واستيعابه للمضار التي تنجم نتيجة المقاربة الزوجية أثناء فترة المحيض.

والآية الكريمة لم تحدد نوع الأذى الذي سيحدث للجسد أو للنفس، وإنّما تركت ذلك تبعاً للمضاعفات والعوارض التي تحدث جراء تلك المقاربة، فقد تكون الأضرار الناتجة، عضوية أو روحية، موضعية أو عامة، مؤقتة أو دائمية، آنية أو مستقبلية

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

الحدوث.

وتمر السنون ويتقدم العلم وتتنوّر بصيرة الانسان، وتستمر الأبحاث العلمية بشكل متواصل لتؤكد مكانة وجلالة وعظمة العلوم والارشادات التي جاء بها القرآن الكريم.

وبغية التعرف على الأضرار والأذى الذي يحدثه المحيض، يتحتم علينا دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية حديثة، ليتسنى من خلالها معرفة ظاهر الآية الكريمة. وهنا تنتصب الأسئلة:ـ

١ـ متى يحدث المحيض؟

٢ـ ماهي مراحل تكوينه ونهايته؟

٣ـ ماهي التغيّرات التي تطرأ على المرأة أثناء المحيض؟

٤ـ ما نوع الأمراض والعوارض التي لها علاقة بالمحيض؟

٥ـ ماهي المضار ونوع الأذى الذي يصيب المرأة جراء المقاربة فترة المحيض؟

٦ـ ماهو المطلوب منّا أثناء مدّة المحيض؟

١ـ متى يحدث المحيض؟

يبدأ المحيض ما بين سن (١١ـ١٤)، وينتهي ما بين سن (٤٥ـ٥٥)، وبعبارة أوضح أي منذ فترة نضوج المرأة جسدياً وجنسياً الى إبتداء سن اليأس.

٢ـ مراحل تكوين المحيض وانتهائه:

أ ـ مرحلة النمو: وفيها يبدأ الغشاء الداخلي للرحم ومنذ اليوم الخامس بالنمو من جديد، ليعيد تكوين نفسه، ويأخذ الغشاء المذكور بالتضخم تدريجياً حتى يصل أعلى مراحل نموه في اليوم (١٤ـ١٥) استعداداً لاستقبال البيضة.

ب ـ مرحلة نزول البيضة: وتبدأ في اليوم (١٤ـ١٥) من أيام الدورة الشهرية للمحيض، وفيها تنزل البيضة من المبيض استعداداً للقاء الحيمن، وإكمال عملية التلقيح.

ج ـ مرحلة الافراز: حيث تفرز فيها كميات كبيرة من (الاوستروجين) و(البروجستيرون) لجعل الرحم على استعداد لاستقبال البيضة واحتضانها، وتبدأ هذه المرحلة فعلاً منذ نزول البيضة وتستغرق (١٤) يوماً. فإذا حدث التلقيح للبيضة بدأت عملية الحمل واستمرت بشكل طبيعي، وإذا لم يحدث التلقيح تبدأ كميات (الاوستروجين) و(البروجستيرون) المفرزة بالنقصان، فيترتب على ذلك حدوث تغيّرات على الغشاء الداخلي للرحم تنتهي بنزول المحيض في اليوم (٢٨) من الدورة الشهرية، وفيها تطرد الخلايا التي نمت خلال الدورة مع الافرازات التي كانت تملأ الفدد، إضافة إلى كميات قليلة من الدم. وتستغرق هذه العملية عادة بين (٤ـ٧) أيام.

٣ـ التغيّرات التي تطرأ على المرأة أثناء المحيض:

أ ـ تغيّرات في درجة حرارة الجسم: تبدأ درجة حرارة الجسم بالانخفاض في بداية المحيض حتى تصل إلى درجة (٣٦) بالفم، وذلك بتأثير هرمون (الاوستروجين) على (هايبوثالمص) الدماغ، المسؤول عن تنظيم حرارة الجسم حتى منتصف الدورة الشهرية، وبعد ذلك تبدأ درجة حرارة الجسم بالارتفاع وبمعدل (نصف إلى واحد) درجة، حتى بداية المحيض القادم، ويحصل ذلك بتأثير هرمون (البروجستيرون) على (الهايبوثالمص)، وعند بدء المحيض تبدأ درجة حرارة الجسم بالانخفاض ثانية بسبب ضآلة افراز هرمون (البروجستيرون).

ب ـ تغيّرات دموية:

١ـ انخفاض في تركيز (هيموغولبين) الدم.

٢ـ انخفاض في عدد كريات الدم الحمراء.

٣- انخفاض تركيز الحديد في (بلازما) الدم.

٤- انخفاض في عدد كريات الدم البيضاء.

ج - نقصان مقاومة الجسم للأمراض خلال المحيض:

وذلك بسبب انخفاض عدد كريات الدم البيضاء المقاومة للأمراض، وزيادة ترسب الدم، ولذا تحدث الاصابة بالأمراض وتزداد التفاعلات والحساسية نتيجة ذلك.

د - اشتداد حساسية العضلات البدنية:

وذلك من خلال زيادة ذبذباتها الداخلية، الأمر الذي يؤدي إلى التهيج وردود فعل عصبية.

هـ - حدوث تغيّرات في الأوعية الدموية خلال المحيض:

تؤدي إلى زيادة احتقان الحوض، وسرعة تكسر الأنابيب الدموية الشعرية، فينجم عن ذلك (زرقة) في الجسم تشبه الرضوض أحياناً.

و - ازدياد الضغط النفسي للمرأة أثناء المحيض:

وهذه الحالة عامة تتعرض لها النساء غالباً.

ز - صداع في الرأس:

وهذا المرض أكثر شيوعاً خلال فترة المحيض، وغالباً ما يحدث نتيجة التغيّرات التي تطرأ على الأوعية الدموية.

ح - تعرض المهبل والرحم للاصابة بالأمراض:

يقوم المهبل في الحالات الاعتيادية بإفرازات حامضية بواسطة العصيات (المهبلية) لتليينه ووقايته من الاصابة بالميكروبات والأمراض، وعند المحيض يتبدل الوسط الحامضي إلى وسط يميل نحو القاعدية ممّا يساعد الأمراض والميكروبات أنْ تصيب المهبل أو الرحم المفتوح.

٤- أمراض وعوارض لها علاقة بالمحيض:

أ - مرض الضغط النفسي السابق للحيض: ويلاحظ فيه تغيّرات تطرأ على

سلوك المرأة ونفسيتها بسبب الأعراض العصبية والنفسية والتنفسية والمعوية والقلبية والدموية، وربما تصل الحالة ببعض النساء إلى مضاعفات خطيرة تقرب من درجة الموت.

ب ـ صداع نصفي: يصيب المرأة أحياناً، ويحدث إمّا قبل المحيض أو أثنائه، ويكون شديداً عند بعض النساء ممّا يؤدي إلى تقيؤ ودوران وضعف في البصر.

ج ـ ألم في الثديين: وهذا الألم شائع عند النساء أثناء المحيض، ويحصل على الأعم قبل بدء الحيض. فتشعر المرأة بألم في ثدييها لاسيما عند الملامسة أو المداعبة.

د ـ نزف مناطق أُخرى من الجسم: وغالباً ما يحدث نزف من الأنف مع حساسية ترافق النزف الحاصل خلال المحيض، ويكون ذلك نتيجة التغيّرات الهرمونية التي تصاحب الدورة الشهرية والمحيض.

هـ ـ الألم المصاحب للمحيض: ويحدث هذا الألم في أسفل البطن، أو في منطقة الحوض، ويصيب الكثير من النساء، فينجم عنه عطل المرأة وعجزها عن القيام بعمل أو دراسة مضافاً إلى ركود فعالياتها الأُخرى.

٥ـ المضار ونوع الأذى الذي يصيب المرأة جراء المقاربة الجنسية فترة المحيض:

أ ـ التهاب الأعضاء التناسلية للمرأة، كالمهبل والرحم، وما يصحب ذلك من ارتفاع في درجات الحرارة، وترشحات مرضية ذات رائحة كريهة في بعض الأحيان.

ب ـ تخرش المهبل والإصابة بالرضوض والسحجات.

ج ـ وصول الالتهاب في بعض الحالات إلى ملحقات الرحم كقناة البيض، يؤدي بالنتيجة إلى العقم الدائم.

د ـ آلام في منطقة الثديين، وعدم حصول الانسجام عند المداعبة.

هـ ـ ردود فعل عصبية تؤدي إلى انقطاع شديد للمحيض مع آلام شديدة.

و ـ اضطراب حالة المرأة النفسية يؤدي بها إلى تصرفات غير طبيعية في البيت والمجتمع.

ز ـ زيادة كمية النزف الدموي المرافق للمحيض يصحبه ضعف عام لدى المرأة.

ح ـ التهاب الأعضاء التناسلية في الرجل، يشمل لشدته المثانة والمجاري البولية والبروستات.

٦ـ ماهو المطلوب منّا أثناء مدّة الحيض؟

أ ـ الانتظار حتى انقطاع الحيض.

ب ـ غسل المرأة من المحيض حتى تستعيد صحتها وتكون طاهرة وذات زينة كاملة.

ج ـ بعد زوال المؤثرات والأعراض، وبعد الغسل، تكون المرأة في وضع جسدي ونفسي قابل لارضاء الزوج.

د ـ يؤدي الصبر خلال فترة المحيض إلى عدم الافراط في التقارب الجنسي، ويكبح شهوة الرجل، ويجعل من العملية الجنسية عملية إنسانية ترضي الطرفين، وذات رغبة متبادلة[1].

بعد هذا الاستعراض الموجز للأضرار والأذى الذي يترتب جراء المقاربة أثناء فترة المحيض، تتضح لنا عظمة كلام الله، وأنّ المحيض هو بالفعل أذى ويؤدي إلى ما ذكرناه من الأمراض والعوارض، والأفضل للرجل الانتظار حتى تتطهر المرأة لأن في ذلك صلاح للطرفين بما يضمن سلامتهما.

* * *

(١) Current obstetric and gy necologic diagnosis and treament.

الموضوع الثاني
« العش الإلهي »

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ.فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[١].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ.ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٢].

العش الإلهي القويم الذي أُعد لاحتضان الجنين هو عش متقن ومتكامل وعجيب الصنع والخلقة، ويختلف كثيراً عن عش الزوجية أو أعشاش الطيور والولادة.

هذا العش الأمين الهادىء له خطوط دفاعية قوية ومنسقة تقوى على تحمل الصدمات حين تقف عظام الحوض في الخط الأول، بينما تقف عضلات البطن وجدار الرحم المطاطي في الخط الثاني، وفي الداخل يقف السائل (الأمينوسي) شامخاً بقوة فيمنع الضغوط والصدمات الخارجية ويجعلها أقل تأثيراً.

أما الاشراف على هذا العش العجيب، فتقوم به الهرمونات المختلفة التي تعتبر العقل المدبر له، فهي المسؤولة عن المراقبة والتدقيق والاشراف العام.

وفيما يتعلق بتهيئة الغذاء ـ كمّاً ونوعاً ـ فتقع مسؤوليته على عاتق مؤسسة مختصة بالنقل والتوزيع والانتاج تسمى المشيمة والحبل السري.

وهنا تتجلى عظمة الخالق المصور الذي جعل من هذا العش مستقراً منيعاً يتمتع بكافة الامكانيات والقدرات التي تفوق تصورات البشر العقلية، بحيث استحق أنْ يطلق عليه اسم (القرار المكين).

ولنبدأ الآن بكشف عناصر الاشراف والمراقبة (الهرمونات) ومحاولة سبر أغوار وأسرار هذا ـ القرار المكين ـ منذ أنْ استقرت فيه البيضة الملقحة.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٠ـ٢١.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٢ـ١٣.

أولاً ـ الهرمونات: بعد استقرار البيضة في وسط الرحم، تقوم الهرمونات الخاصة بعملها بكل دقة وانتظام على حفظ الحمل وإدامته وتتكون من:

أ ـ المنميات التناسلية النخامية[١]: وتتكون من هرمونين: هرمون (اللوتئين)[٢] وهرمون (الفولكيولين)[٣]. يساعدان على تنمية البيضة داخل المبيض وخروجها منه، حيث يحل محلها ما يسمى بـ(الجسم الأصفر) الذي يقوم بدوره بإفراز هرموني (الأُوستروجين) و(البروجستيرون).

ب ـ هرمون (البروجستيرون) Progestron

ج ـ هرمون (الأُوستروجين) Ostrogen

ويقوم هذان الهرمونان بأعمال عديدة خلال فترة الحمل، إذْ يؤدي هرمون (البروجستيرون) إلى منع قيام الرحم بتقلصات عضلية شديدة تؤدي إلى الإسقاط، إضافة إلى إدامة الحمل.

فخلال الأشهر الثلاثة الأُولى من الحمل يقوم الجسم الأصغر بإفراز هذين الهرمونين اللذين لها التأثير المباشر على الرحم، الذي يقوم بتأمين متطلبات الحمل ونمـو الجنـين عبر وساطة الهرمونات المنمية التناسلية. وحيث يبدأ الجسم الأصغر بالضمور بعد الشهر الثالث لتحل محله (المشيمة) التي تقوم بدورها بإفراز هرمونات خاصة تديم الحمل وتحافظ عليه.

ثانياً ـ المشيمة: بعد تكامل الحمل يكون شكل المشيمة أزرق اللون، مائلاً للأحمـرار، مدوراً، مـسطحاً، لحمي اللمس. وقطرها (١٥ـ٢٠)سم وسمكها (٢ـ٤)سم ووزنها (٤٠٠ـ٦٠٠)غم أو ما يعادل السدس من وزن الطفل المولود، ويخرج الحبل

---

(١) Antenor pituitary gonadotropic hormon.

(٢) Lutein i3ing hormon.

(٣) Follicle stimul ating hormon

السري من وسطها غالباً، أو من أي نقطة أُخرى في بعض الحالات، وهي مكونة نسيجياً من جزئين: جزء من الأُم، وآخر من الجنين، وهو عبارة عن زغابات كثيرة ملتصقة بجدار الرحم، وتبلغ مساحة هذه الزغابات ما يعادل (١٢)م٢، كما أنّ طول الأوعية الدموية الموجودة فيها تساوي (٥٠)كم.

والمشيمة أنواع فقد تكون: جزءاً واحداً، أو جزئين، أو ثلاثة أجزاء. كما أنّ وظائفها كثيرة ومعقدة فمنها:

أ ـ إفرازات داخلية تتكون من الهرمونات والأنزيمات إلى دم الأُم.

ب ـ نقل المواد الغذائية المختلفة إلى الجنين.

ج ـ نقل الفضلات الناتجة عن عمليات الهدم والبناء من الجنين إلى دم الأُم.

د ـ تبادل الغازات،كالأُوكسجين وثاني أوكسيد الكاربون، بين دم الأُم والجنين.

الهرمونات التي تفرزها المشيمة:

١ـ هرمون المنميات التناسلية الكوريونية[1]: ويقوم مقام الجسم الأصفر بعد ضموره، حيث يساعد على إفراز (البروجستيرون) و(الأُوستروجين) لادامة الحمل.

٢ـ هرمون (اللاكتوجين) المشيمي[2]: يساعد على تنظيم الحمل في الأشهر الأخيرة، وله تأثير على عملية تمثيل الأحماض الأمينية والكاربوهيدرات.

٣ـ هرمون المنميات الدرقية الكوريونية[3]: ويلعب هذا الهرمون دوراً مهمّاً في عملية تحفيز فعالية الغدة الدرقية في بداية الحمل.

ثالثاً ـ الحبل السري: ولونه يميل إلى الرمادي، ويكون ناعم الملمس، ملتوياً، يسهل الضغط عليه، رابطاً بين المشيمة والجنين. يبلغ طوله (٥٠)سم، وقطره (١ـ٢،٥)سم، ويحتوي وسطه على وريد وشريانين.

---

(١) Human chorionic gonado trophin (HCG).

(٢) Human placental lactogen (H.P.L).

(٣) Human chorionic thyrotropin (H.C.T).

رابعاً ـ السائل الأمينوسي: يتكون نصفه الأول عند الحمل من بلازما الأُم، ويكون نصفه الثاني خليطاً من بلازما الأُم، والإدرار الناتج عن الجنين.

وحجمه في الأسبوع (الثامن والثلاثين) يصل إلى لتر واحد، ثم يأخذ بالنقصان حتى يصل إلى (٥٠٠)سم^{3}عند نهاية الحمل.

وظائف السائل الأمينوسي:

١ـ حماية الطفل من الصدمات الخارجية.

٢ـ يساعد على حفظ حرارة الجنين.

٣ـ يسمح للجنين بحرية الحركة.

٤ـ يمنع تلاصق الجنين بالغشاء الأمينوسي.

٥ـ يبتلع الجنين بما يقرب من (٥٠٠)سم^{3}من السائل الأمينوسي يومياً، ويطرح نفس الكمية عن طريق البول يومياً. ويتم تبادل الماء بين السائل الأمينوسي وبلازما الجنين مع بلازما الأُم بمعدل (٣٥٠)سم^{3}في الساعة الواحدة.

الفوائد العلمية عند فحص السائل الأمينوسي:

١ـ معرفة نمو الجنين وتكامله.

٢ـ معرفة درجة (مرض اليرقان) الذي يتسبب عن تحلل كريات الدم الحمراء.

٣ـ التأكد من مستقبل الجنين بعد الولادة، وعدم تعرضه لشدة كضيق النفس.

٤ـ التأكد من عدم تعرض الجنين لمضاعفات وأمراض مزمنة بعد الولادة، كضعف الدماغ وعدم نموه أو أمراض الجهاز الهضمي.

٥ـ معرفة جنس الجنين.

٦ـ التعرف على الأعراض الناجمة من تغيّرات الجينات أو الكروموسومات قبل الولادة.

خامساً ـ الرحم: تشبه الكمثرى طولها (٧ـ٨)سم، وعرضها (٤ـ٥)سم في المرأة التي لم تنجب بعد.

وتنقسم الرحم إلى قسمين يوصل بينهما (المضيق):

الأول: ويسمى جسم الرحم ويقع في أعلاه.

الثاني: ويسمى عنق الرحم ويقع في أسفله.

والرحم كالأم الحنون تقوم برعاية الوليد والمحافظة عليه منذ النشأة الأولى، حيث يزداد سمكها عدة مرات ليصبح العش الأمثل لاحتضان البيضة الملقحة التي تكون جنين المستقبل، كما تقوم طول فترة الحمل بتغذية الجنين، وتصريف فضلاته، وتأخذ بالتوسع والنمو آلاف المرات ـ حجماً ووزناً ـ تبعاً لنمو الجنين حتى تصل (٥٣٠٠)غم بعد أنْ كانت لا تتجاوز (٥٠)غم.

وهذا النمو في الحجم والوزن لاترافقه آلام قد تسبب للأم أو الجنين إزعاجاً، على العكس من بقية أعضاء الجسم التي يؤدي توسعها أو كبر حجمها أو نفخها إلى آلام شديدة ومزعجة، وذلك لخلو جسم الرحم من الأعصاب الحسية الخاصة بالألم أو الضغط.

سادساً ـ أربطة الرحم: تمتد الأربطة من أجزاء الرحم المختلفة، وتربطها بعظام الحوض، أو جدار البطن، ولها عدة وظائف:

أ ـ تقوم بحمل الرحم.

ب ـ تحافظ على وضعية الرحم الخاصة الملائمة للحمل والوضع.

ج ـ تمنع الرحم من الانقلاب إلى الخلف أو الأمام، أو الهبوط إلى الأسفل عندما يزداد وزنها آلاف المرات.

وهذه الأربطة هي:

١ـ الرباطان المدوران.

٢ـ الرباطان العريضان.

٣ـ أربطة العنق الأمامية والخلفية.

سابعاً ـ عظام الحوض: تُحاط الرحم بجدار عظمي منتظم بشكل دقيق يسمح بنمو الجنين في بداية الحمل، وخروجه بسهولة عند نموه وتكامله، ويقوم هذا الجدار العظمي أيضاً بحماية الرحم والجنين من الأخطار الخارجية، والصدمات الطارئة. ويتألف هذا الجدار من:

١ـ عظم العجز والعصعص من الخلف.

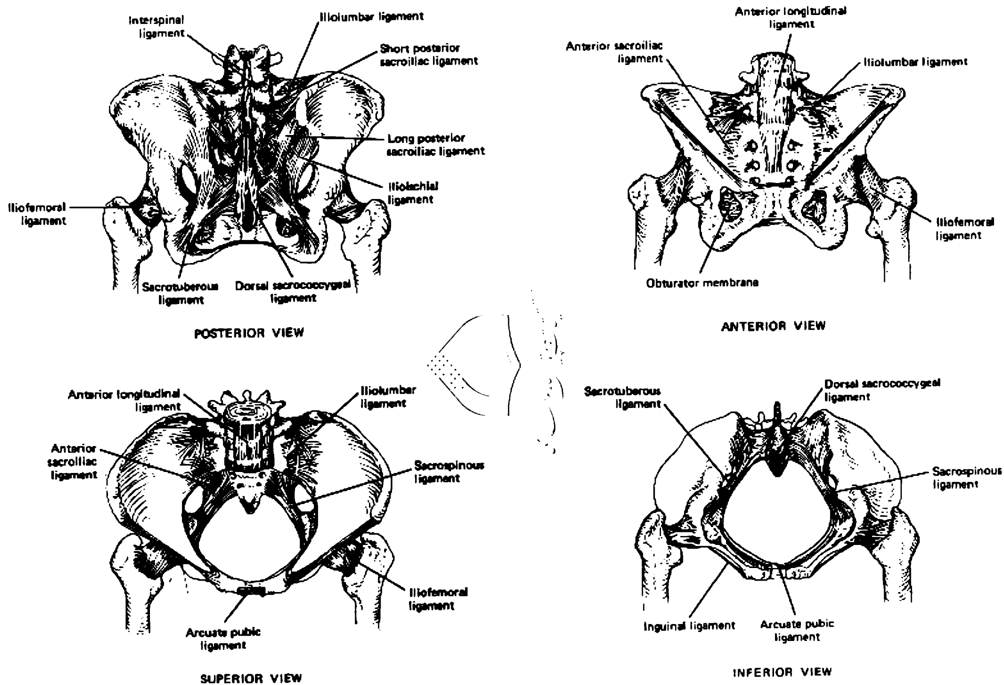
٢ـ العظمين الحرقفيين من الجانبين.

٣ـ عظم العانة من الأمام[١].

* * *

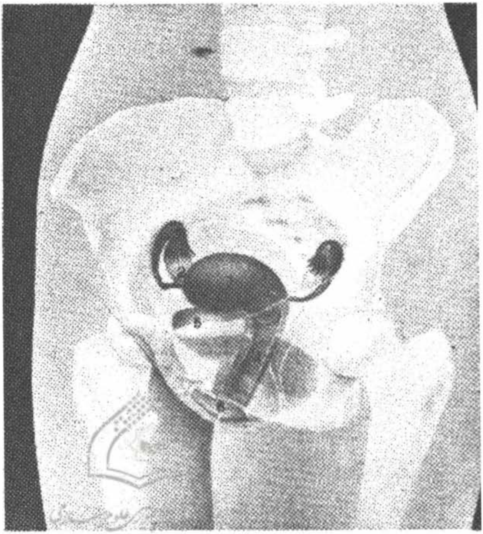
---

(١) Currint obstetric and gynecologic diagnosis and treatment.

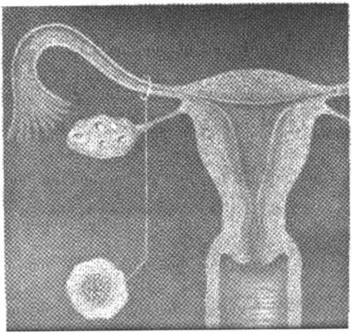


The bony pelvis. (Reproduced, with permission, from Benson RC: *Handbook of Obstetrics & Gynecology*, 7th ed. Lange, 1980.)

مناظر مختلفة لعظام الحوض



١ـ الرحم ٢ـ المبيض ٣ـ قناة البيض ٤ـ المهبل
٥ـ المثانة ٦ـ الثغران الكبيران والصغيران



الفصل الرابع
« علم الجراحة »

علم الجراحة: من العلوم الحديثة نسبياً، وذو أهمية بالغة في حياة الانسان بعد أنْ أصبح كثير التنقل، وما يتعرض له من حوادث يومية مختلفة من جراء كثرة المعامل، واستخدام الآلة، وزيادة الحركة والسفر بين المدن.

وأخذ علم الجراحة في عصرنا هذا يتقدم تقدماً مطرداً مع تقدم العلوم الأُخرى، حيث الأجهزة الحديثة والمعقدة، وأنواع الأدوات الجراحية ـ من المقص إلى جهاز القلب ـ وصالات العمليات المجهزة بأحدث الوسائل، كل ذلك لأنقاذ حياة الانسان من خطر الموت عند تعرضه لحوادث مختلفة، نتيجة ممارساته العادية وعمله اليومي.

وتحدثت آيات قرآنية عديدة عن العلوم الجراحية سواء في ضرب الأمثال، أو في سرد الحوادث والقصص التي حدثت في الماضي. فكانت موضع استفادة الانسان قديماً وحديثاً من هذا الضياء العلمي، وذلك من خلال حياته الطبية والجراحية.

ولا تزال تلك الآيات شامخة وسط العلوم الطبية الحديثة، لتقيم شاهداً على عظمة القرآن الكريم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[2].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٦.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2].

* * *

(١) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠_٢١.
(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

الموضوع الأول

« الحروق »

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٢].

في الآيتين الكريمتين وردت لفظة (عذاب الحريق) جزاءً لمن عصى الله، واستكبر عن آياته.

هؤلاء الهالكون يبدأون مع الخفقة الأخيرة من حياتهم في مواجهة الواقع المرير: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٣].

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٤].

هل نريد الآن صورة كاملة بقدر الامكان عن مقام الهالكين، وما سوف يسامون من عذاب؟ فلنتترك القرآن يتحدث، فذلك أولى بنا وأجدر.

- ليذوقوا عذاباً لا نظير له يومئذ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾.
- يتعرضون فيه لعقاب الإحراق: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٦.

(٢) سورة البروج: الآية ١٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٥٠.

● فهم غذاء جهنم: ﴿فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾.

● وكلما أحس العصاة بالعذاب والألم حاولوا الهروب منه، فتدفعهم الزبانية في النار، يضربونهم بهراوات من الحديد: ﴿وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾.

● ويحيط بهم النكال من كل صوب: ﴿إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾.

● وسيضرب اللهيب وجوههم: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ﴾.

● وسيسلخ جلدهم: ﴿نَزّاعَةً لِلشَّوىٰ﴾.

● وسيحرق لحمهم: ﴿لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾.

● ويصل إلى قلوبهم: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾.

● أما الذهب الذي يجمعه البخلاء فسوف يُحمى في النار، ثم تكوى به الجباه، والجنوب، والظهور: ﴿يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

● هنالك ستكون صرخات ألم وتوسلات: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ﴾.

● وستكون لهم فيها زفرات وشهقات: ﴿لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

● وكلما ذابت جلودهم كان لهم غيرها، حتى يذيقهم الله العذاب مضاعفاً، وهكذا إلى الأبد، ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾.

● ولن يقتصر أمرهم على عذاب الحريق، بل سيكونون كذلك في عذاب الحميم، يغمسون في هذا الماء المغلي، ثم يقذفون في النار، وهكذا دواليك: ﴿يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

● ويصب هذا الماء الحميم على رؤوسهم، فيذيب جلودهم، وأحشاءهم:

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمُ الحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

● فإذا شربوا منه انشوت وجوههم، وتمزقت أمعاؤهم: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

● ولسوف يسقون شراباً آخراً أكثر تقيحاً، لا يطيقون إساغته: ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَآءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ﴾.

● وهنالك أيضاً طعام الزقوم،يغلي في بطونهم كرصاص يذاب:﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ. طَعامُ الأَثِيمِ. كَالْمُهْلِ يَغْلِي في البُطُونِ.كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾.

● وأطعمة أُخرى ذات غصة، وعذاب كله ألم: ﴿وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعذاباً أَلِيمًا﴾.

● من صنوفه الريح المحرقة: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾.

●وظلّ من دخان خادع: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لا بارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾.

● وكذلك حين تتوالى على المعذبين أقصى حالات البرودة، وأقصى حالات الحرارة ـ على ما قاله بعض المفسرين في كلمة (غساق)ـ ﴿هٰذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

● وموجز القول: أنهم سوف يلقون عقوبات، وآلاماً دائمة لا انقطاع لها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ. عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾.

والآيات المذكورة أشارت بوضوح إلى أنَّ النَّار سوف تصلي الكافر، وكلما احترق جلده أبدله الله جلداً آخراً حتى يلاقي العذاب الشديد جزاء كفره وضلاله.

واختص التبديل بالجلد دون سائر الأعضاء الأُخرى لشدة الألم الذي ينتج عنه عند تعرضه للحرق.

وقبل تبيان الاعجاز الالهي الذي حوته تلك الآيات، لابدَّ لنا من التعرف على التركيب النسيجي والعمل الفسيولوجي، والوظائف التي يضطلع بها الجلد، وكيفية تأثير الحروق عليه ودرجات الحروق ومضاعفاتها.

تكوين الجلد وطبقاته:ـ

١ـ يعتبر الجلد أكبر عضو في الجسم.

٢ـ يكوّن (١٫٨٠)م٢ من جسم الانسان البالغ.

٣ـ يتكون من ثلاث طبقات هي:

أ ـ البشرة

ب ـ الأدمة

ج ـ النسيج تحت الأدمة

٤ـ نهايات الأعصاب الحسية توجد ـ فقط ـ في منطقة الأدمة مع الأوعية الدموية.

٥ـ احتواء الجلد على الغدد العرقية التي تنظم حرارة الجسم بواسطة السيطرة على تبخر الماء من الجلد وإفرازها لكميات قليلة من ملح الصوديوم ـ كلورايد ـ والكولسيترول، وأيضاً لافرازها كميات ضئيلة من (الألبومين) و(اليوريا).

٦ـ تُقسّم نهايات الأعصاب الحسية الموجودة في منطقة الأدمة إلى ما يلي:

أ ـ نهايات أعصاب اللمس والحس.

ب ـ نهايات أعصاب الضغط.

ج ـ نهايات أعصاب الحرارة.

د ـ نهايات أعصاب الألم.

هـ ـ نهايات أعصاب البرودة.

٧ـ يقوم الجلد بصنع فيتامين D بتأثير أشعة الشمس على الكولسيترول الموجود في الجلد.

٨ـ يكون الجلد ناعم اللمس وذا طراوة خاصة، وذلك لاحتوائه على الغدد الدهنية وبكميات كبيرة.

درجات الحروق

١ـ حروق الدرجة الأولى: تشمل منطقة البشرة وحدها، ويحمر لون جلدها مع أضرار جلدية ضئيلة، وتمتاز بألم شديد بسبب سلامة نهايات الأعصاب الحسية. وتلتئم هذه الحروق غالباً بعد مضي يومين أو ثلاثة أيام.

٢ـ حروق الدرجة الثانية: تشمل منطقة البشرة وقسماً من الأدمة وتكون ذات إحمرار شديد ويصاحبها تكوّن فقاعات مختلفة الأحجام مملوءة بالبلازما، تزداد مع عمق الحرق وتكبر بعد مدة من حدوثه. ويلتئم هذا النوع من الحروق بعد مرور (١٠ـ١٤) يوماً إن لم تتعرض لمضاعفات والتهابات بكتريولوجية، ويصاحب هذه الحروق آلاماً حسية متنوعة.

٣ـ حروق الدرجة الثالثة: ويكون لون سطوحها في بعض الحالات قهوائياً أو أسود أو أحمر أو أبيض، غير مصحوبة بآلام،وذلك لاحتراق طبقة الجلد بالكامل مع نهايات الأعصاب الحسية الموجودة فيه، ولا يتأثر الجلد نتيجة الضغط عليه بسبب تدمير الأوعية الدموية وموت الأنسجة.

تعتمد خطورة الحروق على:ـ

١ـ مساحة الجسم المحروق.

٢ـ عمق الحرق.

٣ـ العمر.

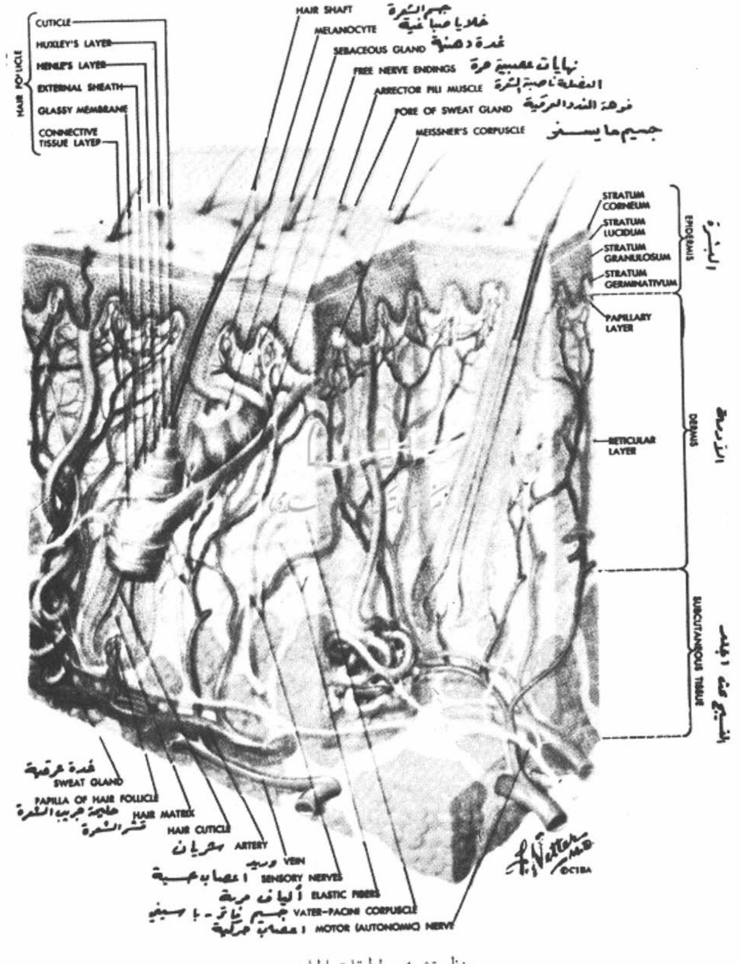
٤ـ سلامة الجسم قبل الحرق.

٥ـ منطقة الحرق.

٦ـ وجود أعضاء مصابة بأضرار نتيجة الحرق.

مضاعفات الحروق:ـ

١ـ التأثير على الجهاز التنفسي نتيجة استنشاق الحرارة، والتهاب الرئة، وحدوث تخثرات فيه.



منظر تشريحي لطبقات الجلد

٢ـ التأثير على المعدة والاثنى عشري، حيث يؤدي الحرق في بعض الحالات إلى حدوث قرحة تسمى (Curlingulcer).

٣ـ التأثير على الكلى بسبب ترسب بعض المواد الممتصة داخلها نتيجة الحرق.

٤ـ التهاب الحروق وارتفاع درجة الحرارة.

٥ـ الصرع عند الأطفال.

٦ـ الاختناق في حالة حروق الرقبة.

٧ـ تقلص حجم الدم.

٨ـ توسع شديد في المعدة.

٩ـ التسمم بأول أوكسيد الكاربون .

بعد هذا العرض الموجز لتركيب الجلد ودرجات الحروق ومضاعفاتها، نعود إلى الآيات المباركة لنرى ما فيها من إعجازات علمية حواها القرآن الكريم منذ مئات السنين، وقبل أنْ يُشرَّحَ الجلد، وتعرف وظائفه ومكوناته النسيجية بصورة دقيقة.

فالآية الكريمة أشارت إلى أنَّ الكافرين سيصلون ناراً كلما نضجت جلودهم أبدلهم الله جلوداً غيرها. باعتبار أنَّ الجلد هو أكبر الأعضاء في جسم الانسان كما يغطي مساحة كبيرة منه، ويحتوي على أكثر النهايات العصبية الدقيقة والحساسة جداً للحرارة والألم.

ولهذا فعند احتراقه يصبح الانسان في قمة الهيجان ويبلغ الألم منتهاه عند إحتراق كامل منطقة الجلد. ولا يخف الألم إلّا بتلف واحتراق نهايات الأعصاب الحسية التي لايبق منها شيء يذكر وحينها يقل الاحساس بآلام الحرق ويبدأ الانسان بالشعور بالراحة.

وهذا ما يلمسه الانسان العادي في بعض المستشفيات، حين يرى صورتين

---

(١) Current surgical diagnosis and treatment

متقابلتين، يرى في الأولى مريضاً يصرخ ويتلوى من الألم مع أنَّ حروقه بسيطة وخفيفة المظهر، ويعزى سبب ذلك إلى سلامة النهايات الحسية العصبية الموجودة في الجلد وعدم تلفها، الأمر الذي يجعله في قمة الألم والانزعاج.

وفي الثانية يرى مريضاً وقد أُصيب بحروق شديدة ومسودة، لكنه هادىءٌ ساكتٌ لايبدو منه ما يثير الهيجان أو الانفعال بعكس الأول، وما ذلك إلّا نتيجة تلف النهايات العصبية الحسية جراء الحرق الحاصل، مما جعل الحرق عديم الألم لا يصحبه صراخ أو استغاثة المريض بالرغم من حالته السيئة.

وهنا تتجلى المعجزة الربانية من تبديل الجلد بعد نضوجه واحتراقه، لكون الجلد المحترق عديم الألم والاحساس، بينما الجلد الجديد السليم أكثر ألماً وأشد مرارة قياساً بسائر أعضاء الجسم الأُخرى عندما يعرض على النار مرة ثانية.

* * *

الموضوع الثاني
« قرحة النوم » أو « قرحة الفراش »

Bed Sore

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آياتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً.وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾[1]

بيّن القرآن الكريم في هذه الآية دستوراً طبياً وجراحياً عاماً، يتضمن تقليب الانسان النائم على الفراش مرات عديدة يومياً، كي لا يصاب بعرض أو (قرحة النوم) حسب ما يصطلح عليه طبياً.

فمن الثابت طبياً أنَّ النائــم على جهة واحدة فترة طويلة، يكون عرضة للاصابة بقرحة النوم، خصوصاً إذا لم يكن الفراش صحيّاً بسبب الضغط الحاصل على بعض اجـزاء الجسم، وهـذه القـرحة مضاعفات عديدة قد تسبب موت الشخص المـريض، كما يعتـبر تقليب المريض النائم ضرورة طبية أساسية في علم الجراحة الحديث، ويتطلب الملاحظة والدقة والاستمرارية.

وفعل ذلك الباريء عز وجل مع أصحاب الكهف ليكونوا لنا مثلاً نستفيده، لأنهم كانوا في حالة نوم طويل ممّا يعرضهم للخطر، لذلك أوعز الله سبحانه بتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا يصابوا بقرحة النوم القاتلة نتيجة نومهم الطويل.

وتبين حديثاً أنَّ قرحة النوم تحصل نتيجة ضغط متصل ودائم على الجلد، خصوصاً في المناطق البارزة، ممّا يسبب نقص التروية الدموية عن بعض مناطق الجلد، نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان النوم، وتحصل غالباً في منطقة

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ١٧ـ١٨.

«العجـز» و«الإليتين»، وعند لوحي الكتف وكعبي القدمين ورؤوس العظام الكبيرة، وتحصل القرحة عند المرضى النيام في الحالات التالية:ـ

١ـ في المريض النائم على الفراش مدة طويلة.

٢ـ في المريض الضعيف البنية.

٣ـ في المريض الطاعن في السنّ.

٤ـ في المريض ذي التغذية الغير جيدة والغير ملائمة.

٥ـ في المريض المشلول.

٦ـ في المريض الذي لايحظى بعناية جيدة.

٧ـ نتيجة رطوبة الفراش أو تلوثه بالبول المتقطع أو الغائط، ممّا يؤدي إلى تخدش الجلد وحدوث القرحة بعد عدة ساعات.

علائم قرحة النوم: ظهور منطقة حمراء مؤلمة تؤدي بعد ساعات إلى حدوث قرحـة في الجلد، وهذه القرحة تكبر وتزداد عمقاً تبعاً لقوة الضغط الموجود ومدته، والتلوث الحاصل، والمضاعفات المرافقة للجرح، وقدرة المريض البدنية، كما تؤدي إلى التهاب العظم القريب من الجرح في بعض الأحيان.

العلاج:ـ

١ـ رفع الضغط عن المنطقة وذلك بتغيير موضع نوم المريض عدة مرات في اليوم الواحد.

٢ـ حماية الجرح بوضع وسادة أو وسائد خاصة.

٣ـ أنْ تكون ملابس المريض وفراشه نظيفين وجافين دائمًا.

٤ـ توفير العناية الطبية الجيدة مع التمريض اللائق.

٥ـ توفير الشروط الصحية لنوعية الغذاء مع مراعاة فقر الدم الموجود عند المريض.

٦ـ القضاء على الالتهابات ومنع حدوث مضاعفات مرضيّة .

٧ـ تنظيف منطقة التقرح يومياً وبشكل منظم، مع مراعاة جعل الجرح جافاً ونظيفاً.

٨ـ إجراء عملية جراحية في الحالات الضرورية التي تستوجب ذلك[١].

* * *

(١) Hand book of surgery.

الفصل الخامس
علم البيئة الصحية

ماهي البيئة؟: هي كل ما يحيط الانسان من هواء وماء ونبات وحيوان وحتى الانسان نفسه.

وتعتبر البيئة في الوقت الحاضر إحدى مشاكل الانسان الرئيسية التي يحسب لها الحساب بشكل علمي دقيق، بعد مشكلة الأنفجار السكاني والغذاء.

لذا يتوجب علينا أنْ ندرس العوامل التي تؤثر على سلامة البيئة وتلوثها، دراسة علمية جادة، بغية إيجاد حلول ملائمة للبيئة تقلل من كمية التلوث، وتجعل من بيئتنا بيئة صحية سليمة مناسبة لحياة الانسان، وخالية من العوامل المؤثرة التي تعكر صفو الحياة وتهدد المستقبل.

وتأسيساً على ذلك قامت الدول المتقدمة بوضع البرامج الجدية لحماية بيئتها من خطر التلوث، وقررت الدراسات اللازمة والبحوث الجادة للمستقبل، فأنشأت المدارس والكليات القادرة على خلق كادر بيئي متدرب، لمراقبة ودراسة بيئة الانسان بكل جوانبها، وتوجيه أنظار المجتمع وحثهم على ضرورة العناية بالبيئة والحد من زيادة عوامل التلوث واستمراريتها، والتي أصبحت اليوم كبيرة ومؤثرة نتيجة الصراع والتطور الحضاري الذي شمل أنحاء العالم.

العوامل المؤثرة على البيئة:ـ

١ـ زيادة الكثافة السكانية في الأماكن والمجتمعات الفقيرة.

٢ـ سرعـة الحركة والانتقال داخل المدن وخارجها، وكذلك زيادة السفر والتجارة بين مختلف دول العالم.

٣ـ كثرة المصانع بشكل ملفت للنظر.

٤ـ سرعة الانفجار السكاني.

٥ـ الزيادة الحاصلة في نسبة الفضلات الناتجة عن الانسان والمعامل المختلفة.

٦ـ كثرة استعمال المركبات كالسيارات والآليات المتنوعة والطائرات وغيرها.

٧ـ استمرار الحروب الداخلية والخارجية وما يرافقها من مشاكل بيئية.

٨ـ استمرار التجارب النووية على سطح الأرض والبحار والفضاء.

مقومات البيئة الصحّية:ـ

١ـ توفير المياه الصالحة للشرب.

٢ـ التخلص من الأوساخ والفضلات الناتجة عن الانسان والحيوان.

٣ـ توفير الحليب الصحي والغذاء الكافي.

٤ـ القضاء على الحشرات والهوام.

٥ـ حماية البيئة من التلوث الهوائي الناجم من استعمال المنتجات الكيمياوية المختلفة.

٦ـ السكن وتخطيط المدن.

٧ـ التعليم الصحي والبيئي.

وقد أولى القرآن الكريم البيئة عنايةً لازمةً، حيث وردت آيات كثيرة حول بيئة الانسان وخلق الأرض والجبال والأشجار والأنهار، وكيف وزعت المياه على سطح الأرض؟ وتأثير الجاذبية على حياة الكرة الأرضية، وعلاقة الأرض بالكواكب السيارة الأُخرى.

والآيات التي وردت في سور عديدة ومكررة بعض الأحيان، جاءت لتوجه فكر الانسان ونظره نحو الاعجاز الإلهي اللامحدود، في كيفية خلق هذه البيئة وتنظيمها وتركيبها وموازنتها وتخطيطها بصورة إلهية وعلمية، تمكن البشر من الاستفادة منها قدر المستطاع، لينعم بالعيش الصحي المُرضي في ظلال تلك البيئة النظيفة الصالحة المتوازنة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان.

فلنستمع إلى القرآن الكريم وهو يحدثنا أحسن الحديث:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَأَنْهاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

﴿وَالأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾[2].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ. وَالأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ﴾[4].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٥.

(٣) سورة ق: الآيتان ٦ـ٧.

(٤) سورة يونس: الآية ٥.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾[٤].

* * *

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٤) سورة النحل: الآيتان ٨٠ـ٨١.

الموضوع الأول

« الإسكان الصّحي »

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

في هذه الآية الشريفة يوصي الله سبحانه نبيّه موسى وأخاه بأنْ يتخذ قومهما بيوتاً تكون قبلة، يدخلها الهواء بشكل تيار لطيف دائم، أي ذات تهوية صحّية جيدة، لا تؤثر فيها حرارة الشمس العالية والمؤذية، ممّا يجعلها في وضع مناخي وبيئي لطيف، وبذلك تؤمن سكناً صحّياً للانسان يقيه تأثيرات الحر والبرد وتقلبات الجو.

وَمَنْ تأمل هذه الآية يُلاحظ أنها لفتت نظر الانسان إلى كُبريات المشاكل البيئية التي يواجهها الانسان المعاصر، ألا وهي مشكلة السكن وتخطيط المدن، وهي بلا شك مشكلة قائمة بذاتها.

والقرآن الكريم جعل من الآية الشريفة حجر الزاوية في مسألة التخطيط للمستقبل من خلال طرحه لمضمونها، فوجه أنظار الخبراء والمخططين نحو مشكلة بيئية مهمة، خصوصاً في المناطق القريبة من البحار.

وموضوع السكن قديمه أو حديثه يتطلب منّا توفير الشروط البيئية الأساسية عند الشروع ببناء المدن والدور السكنية، وهذه الشروط ما وضعت إلّا مِنْ أجل الإنسان كي يعيش وسط بيئة صحّية مريحة وملائمة لمتطلبات حياته الأساسية.

الشروط التي يجب توفرها في المساكن:-

١- المتطلبات الفسيولوجية الأساسية:

أ - صيانة الحرارة التي تجنب فقدان حرارة جسم الانسان.

---

(١) سورة يونس: الآية ٨٧.

ب ـ صيانة الحرارة التي تساعد على فقدان الحرارة المناسبة من جسم الانسان.

ج ـ توفر الهواء النقي الذي يخلو من الشوائب الكيمياوية.

د ـ توفر الانارة الكافية مع ضوء النهار الطبيعي.

هـ ـ الحماية من الأصوات المرتفعة والمزعجة.

و ـ إيجاد مساحات تتناسب وَلَعِبْ الأطفال.

٢ـ المتطلبات النفسية الأساسية:ـ

أ ـ توفر الستر اللازم وخصوصيات حياة الأفراد.

ب ـ توفر الفرص اللازمة للحياة العائلية كما ينبغي.

ج ـ توفر التسهيلات اللازمة لانجاز الأعمال البيتية دون التعرض للمتاعب الجسمية والفكرية.

د ـ توفر الفرص اللازمة للحياة الأجتماعية في المناسبات.

هـ ـ توفر الامكانيات اللازمة لصيانة نظافة المسكن وساكنيه.

٣ـ الحماية من التلوث:ـ

أ ـ توفر مياه الشرب الصالحة لساكني البيت.

ب ـ وقاية مياه الشرب من تلوث الجراثيم.

ج ـ تجنب الشروط غير الصحية جوار المسكن.

د ـ توفير المرافق الصحية النظيفة.

هـ ـ الحماية من تلوث القاذورات مع توفر النظافة اللازمة في المسكن وخارجه.

و ـ إبادة الحشرات وإبعاد الحيوانات عن البيت.

ز ـ توفر الامكانيات لحفظ الأطعمة وسلامتها.

ح ـ توفر المساحة الكافية لغرف النوم منعاً لأخطار العدوى المباشرة.

٤ـ الحماية من الحوادث:ـ

أ ـ يكـون تشييد المسكن علمياً ومن مواد إنشائية واقية.

ب ـ السيطرة على العوامل التي تسبب الحريق وانتشاره.

ج ـ توفر التسهيلات اللازمة التي تُمكنْ الخروج عند الحريق.

د ـ الحماية من خطر التيارات الكهربائية والحروق.

هـ ـ الحماية من خطر السقوط والأضرار.

و ـ الحماية من مخاطر حوادث الطرق المجاورة للبيت[1].

* * *

(١) أُسس الصحة والحياة: للدكتور عبدالرزاق الشهرستاني.

الموضوع الثاني
« الضوضاء وأثرها على البيئة »

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ....إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[2].

«كان النبي (ص) يعجبه أن يكون الرجل خفيف الصوت، ويكره أن يكون الرجل جهير الصوت»[3].

الضوضاء: عبارة عن الأصوات غير الاعتيادية التي تحدث نتيجة عمل الانسان وحركته، أو الآلة.

وظاهرة الضوضاء ظاهرة غير طبيعية بالنسبة للانسان، لأنها تؤثر على جوانب حياته فتجعلها ذات طابع قلق ومضطرب، وتعد شذوذاً لما اعتاد عليه من هدوء وراحة تتلاءم مع التركيب الفسيولوجي لحواس الانسان.

فالأُذن مصممة بحيث لا تسمع الموجات الصوتية التي هي أقل من (١٦) موجه صوتية واكثر من (١٦٠٠٠) موجة صوتية، وعكس ذلك تصبح حياة الانسان من الصعوبة والانزعاج بحيث يستحيل عليه العيش بسهولة، كما وأن مدة التعرض للصوت والضوضاء يجب أنْ تكون قصيرة ومعقولة غير مرهقة لأعصاب الأُذن ومركز

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٩.

(١) سورة الحجرات: الآيات ٢و٤.

(٣) مُسند الإمام موسى بن جعفر(ع).

السمع في الدماغ.

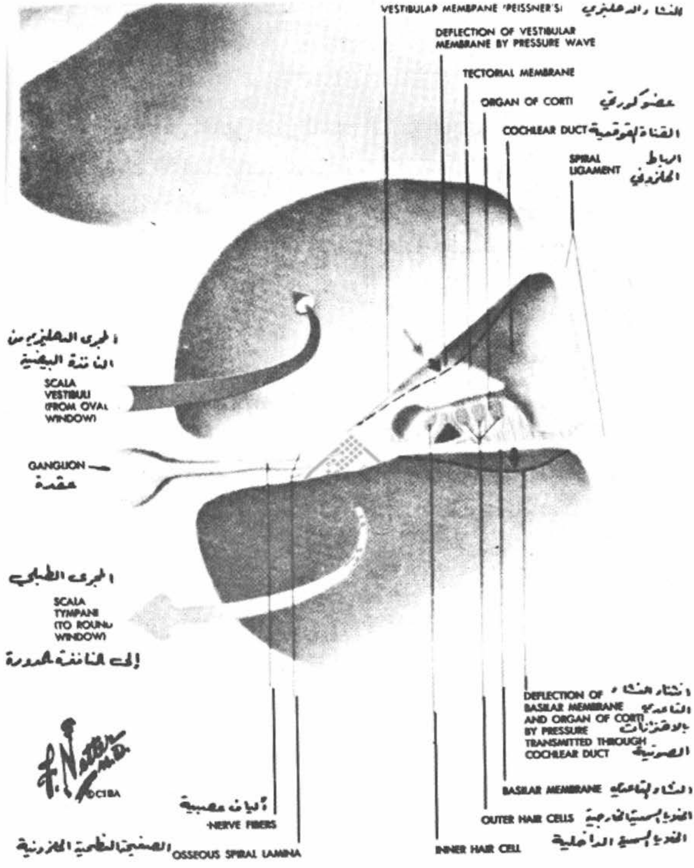
ففي بعض الحالات تؤدي الموجات الصوتية العالية والسريعة إلى تمزق طبلة الأُذن. وأثبتت الدراسات والاحصاءات الحديثة التي أجراها علماء الطب والبيئة أن الأصوات العالية والضوضاء لها تأثير مباشر على أعصاب الانسان وسلوكه النفسي، وهي السبب الرئيسي في زيادة الأمراض النفسية والعصبية في الأماكن المكتظة بالسكان وذات المصانع الكثيرة

ولهذا وضعت الهيئات العالمية والمحلية المسؤولة عن شؤون البيئة والصحة الكثير من التعليمات والشروط التي تحد من ظاهرة الصوت والضوضاء، لضمان بعض المستلزمات البيئية التي تهم راحة الانسان، من قبيل استعمال المواد العازلة في السقوف عند بناء العمارات السكنية لامتصاص الصوت، وتوزيع الأجهزة الواقية للأُذن في المعامل ومراكز التجارب التي تحدث فيها أصوات عالية، وقيامها بطبع الكثير من الكتب والمجلات والنشرات التي تعالج هذه الظاهرة وتوزيعها على الدول والجمعيات، وخصوصاً الدول النامية للاستفادة منها حاضراً ومستقبلاً.

وهذا الاشعاع القرآني الذي جاءت به الآية الكريمة أنار الطريق لعلماء المسلمين وأطبائهم حاضراً ومستقبلاً، فما عليهم إلاّ أن يأخذوا خطاب لقمان الحكيم لأبنه بعين الاعتبار، لأنه في الواقع خطاب عام موجه لكل المسلمين حتىٰ يدركوا تأثير الصوت على صحة الانسان وبيئته.

وهنا يتجلى الاعجاز القرآني باعتباره السبّاق في وضع هذا القانون البيئي، حين لفت أنظار المسلمين خاصة وسائر الناس عامة، ونبهنا إلى علم الله تعالى بهذه المشكلة، وما سيحدث عنها مستقبلاً، إذا تركت دون تخطيط أو حلول، وهو ما حدث فعلاً في الوقت الحاضر.

فيجدر بعلماء المسلمين ومفكريهم أنْ يولوا هذا الخطاب الرباني كل اهتمامهم، وأنْ يشكروا الله ولقمان الحكيم على هذا الأرشاد البيئي والانساني العظيم.



جهاز الإستقبال السمعي في الأذن الباطنة : عضو كورتي

عضو كورتي في الاذن : ان هذا الجهاز هو المستقبل لكافة انواع الاصوات • ومنه ينتقل السمع بسيالة عصبية عبر العصب السمعي الى الفص الصدغي مركز الادراك السمعي العام •

ان هذا الجهاز يحوي قرابة ثلاثين الف خلية سمعية تعتبر كل خلية محطة متكاملة لاستقبال كافة انواع الاهتزازات الصوتية •

مصادر الضوضاء:

١ـ المطارات والطائرات.

٢ـ السيارات بأنواعها.

٣ـ معامل الحدادة والنجارة.

٤ـ معامل الحجر والجص.

٥ـ الموتور سيكلات.

٦ـ المعامل الصناعية المختلفة.

٧ـ الأصوات المنبعثة من سيارات الاسعاف والحريق والاطفاء والشرطة.

٨ـ أصوات الراديو والتلفزيون المنبعثة من المحلات والمقاهي.

٩ـ أصوات الناس في المناسبات المختلفة كالسباق بأنواعه والأعراس والاحتفالات والمظاهرات المختلفة الأسباب، وما يرافقها من عنف بعض الأحيان.

١٠ـ معامل تصليح السيارات وإدامتها.

١١ـ معامل الخياطة.

١٢ـ الأسواق الشعبية المزدحمة والمزادات.

١٣ـ الملاعب الكبيرة والصغيرة التي تستخدم للسباق، كالمسابقات الرياضية، وسباق السيارات والموتور سيكلات والخيل.

١٤ـ محطات القطارات.

١٥ـ مدارس رياض الأطفال والمدارس الابتدائية.

١٦ـ الأصوات المنبعثة نتيجة الاعمار والبناء داخل المدن، كشق الطرق وبناء المساكن والعمارات والمعامل.

١٧ـ وسائل الدعاية المختلفة الصادرة عن المؤسسات والناس، خصوصاً تلك التي تستخدم فيها مكبرات الصوت.

١٨ـ الأصوات الصادرة عن الملاهي والسينمات ونوادي الرياضة.

١٩ـ الضوضاء الناجمة عن الأماكن المزدحمة بالسكان.

٢٠ـ أصوات الانفجارات والقنابل أثناء الحروب.

٢١ـ أصوات الكوارث الطبيعية كالعواصف والرعد والبراكين.

الحلول التي تقلل من ظاهرة الضوضاء:

١ـ إنشاء المطارات في مناطق بعيدة عن المدن.

٢ـ تخطيط المدن وفق الأُسس العصرية، بحيث تكون طرق مرور السيارات خارج المناطق السكنية وبعيدة عن مراكز المدن.

٣ـ الايعاز إلى سائقي السيارات بعدم استعمال البوق أو المنبهات، وتخصيص ساحات وأماكن لوقوفها.

٤ـ إنشاء الأحياء الصناعية في أماكن بعيدة عن المدن، ونقل المعامل الموجودة في الداخل إليها.

٥ـ عدم السماح بإنشاء المعامل والمراكز الباعثة للصوت داخل المدن.

٦ـ إبعاد الملاعب الرياضية ومدارس رياض الأطفال والمدارس الأبتدائية عن المناطق المكتظة بالسكان.

٧ـ الارشاد البيئي والصحي المستمر ليتجنب الناس إثارة الضوضاء، ويلتزموا بالتعليمات الصادرة عن مجالس البيئة.

٨ـ تنظيم المناطق والأسواق الشعبية بحيث تكون الأصوات الصادرة عنها قليلة وغير مؤثرة.

٩ـ عدم السماح للسيارات القديمة بالعمل داخل المدن وفي المناطق المزدحمة بالسكان.

١٠ـ بناء محطات السكك الحديدية خارج المدن.

١١ـ تنظيم وسائل الدعاية بشكل عصري غير مزعج للناس.

١٢ـ يجب أنْ تكون أماكن الملاهي والسينمات بعيدة عن المناطق السكنية المزدحمة.

١٣ـ استعمال واقيات الصوت الخاصة في المعامل التي يصدر عنها أصوات عاليةٍ أو ضوضاء

١٤ـ التقليل من كثافة السكان في بعض الأحياء، وخصوصاً الشعبية منها، للحد من تأثير الضوضاء وفاعليتها.

الأمراض التي تسببها الضوضاء:

١ـ اضطرابات عصبية ونفسية.

٢ـ قلق نفسي خفيف.

٣ـ الأرق أو النوم القليل.

٤ـ كثرة المشاكل العائلية.

٥ـ الاعياء وضعف السيطرة على الأفعال.

٦ـ تمزق الطبلة في بعض الأحيان.

٧ـ الصدمات النفسية التي تحصل للكبار والصغار، وخصوصاً أثناء فترة النوم

٨ـ اضطرابات هضمية مختلفة بسبب الارهاق الفكري والعصبي.

٩ـ ازدياد الاصابة بأمراض السكر وضغط الدم والسكتة القلبية.

١٠ـ ارتباك الأعمال الحساسة ـ الفكرية والحسابية ـ.

١١ـ التأثير الملموس على الانتاج الصناعي.

١٢ـ ازدياد حوادث الاصطدام والتشوهات، والموت بسبب الجهد الفكري والجسمي المضاعف الذي يحصل نتيجة الضوضاء.

١٣ـ هجر العوائل والأُمهات للمساكن ومايتنتج عنه من تأثير سيء على تربية الأطفال.

١٤ـ تعتبر الضوضاء العامل المساعد في ظهور الأمراض النفسية الكامنة عند بعض الأشخاص.

١٥ـ للضوضاء تأثير نفسي على المرضى الراقدين في البيوت والمستشفيات.

١٦ـ تؤثر الضوضاء بشكل مباشر أو غير مباشر على سلامة ساكني الدور القريبة من مركزها، وما يرافق ذلك من حوادث، بسبب الأمواج الصوتية العالية المنبعثة منها.

١٧ـ وجود رابطة قوية بين الضوضاء ومرض السرطان عند الانسان، كما أكدته أبحاث العلماء الفرنسيين ونشرتها مجلة (PARYMACH) الفرنسية، والتي نقلتها عنها وكالة الخليج للأنباء في باريس، ومفادها أنّ الضوضاء والأصوات الشديدة المستمرة تُسبّب ضعفاً عاماً في مناعة جسم الانسان، ممّا يؤدي بالنتيجة إلى عدم مقاومته للأمراض الخطيرة والمزمنة. وأشارت تلك الدراسات إلى تأثير الضوضاء على تكوين هرمونات الجسم، والاخلال بعملها مّما يجعل الإنسان عرضة للاصابة بالسرطان.

كما أكـدت تلك الأبحاث على أن الضوضاء تقلل من ميزان المغنسيوم في جسم الانسان، مما يؤدي إلى الاصابة بالسرطان، ويترك أثراً سلبياً على قوة الجسم في البناء وطول العمر.

* * *

الفصل السادس
علم الإرشاد الصحي

أُسس الصحة العامة: تقوم الصحة العامة على ثلاثة أُسس هي:ـ

١ـ الوقاية الصحّية.

٢ـ الارشاد الصحّي.

٣ـ العلاج.

والارشـاد الصحي يعتـبر الـرابـطة القوية بين الوقاية الصحية والعلاج، وبواسطته يتم الحصول على أفضل النتائج الصحية وأنجحها، والتي تضمن سلامة المجتمع وتكفل صحته.

وعـلى هذا الأساس حظي الارشاد الصحي بمكانة خاصة، وأصبح دوره متميزاً في رفـع المستـوى الصحي للفـرد والمجتمع. وبدونه فلا وقاية صحية مثمرة وناجحة، ولا علاج طبي إيجابي يستفيد منه الناس استفادة كاملة.

وهذا ما نادى به الاسلام كما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ولا يزال الحديث الشريف (الوقاية خير من العلاج) يدوّي في المجتمع الطبي ويضع أمامه الأساس السليم والتوجيه الصحيح، من أجل خلق مجتمع إسلامي حديث تنعدم فيه الأمراض.

وشهد العصر الحديث تطوراً كبيراً في مجال الارشاد الصحي، فأصبحت له أُصوله وأُسسه ومدارسه ورواده، فأخذ يخاطب الفرد بصورة مباشرة تارة، كما يخاطب المجتمـع تارة أُخرى، وحسب المستوى العقلي والثقافي وبأساليب مختلفة، وتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تكفل له الصحة بكل أبعادها، والرفاه الأجتماعي بكل معانيه.

قنوات الأساليب الارشادية:

١ـ الأذاعة والتلفزيون.

٢ـ الصحف والمجلات.

٣ـ الكتب والنشرات والبوسترات.

٤ـ الاجتماعات والندوات الصحية العامة.

٥ـ الاجتماعات الفردية من خلال مراجعة المرضى للعيادات والمستشفيات.

٦ـ المدارس بمراحلها المختلفة.

٧ـ المساجد والمناسبات الدينية.

شروط الإرشاد الصحي:

١ـ يجب أنْ تكون عملية الارشاد الصحي وفق تخطيط مدروس الجوانب، تخاطب الناس حسب مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والمالية، بحيث تجذبهم نحو الهدف المطلوب طواعية ودون إكراه وجبر، حتى يظهر نجاحها ويبرز أثرها من خلال إقبال الناس عليها بكل رغبة وشوق، والتزامهم العادات الصحية السليمة، وابتعادهم عن مصادر الأمراض، فعند ذلك تكون قد أدت عملها المطلوب.

٢ـ مراعاة الوقت المناسب لعملية الارشاد الصحي واستغلاله: إذْ من غير المعقول الحديث عن أمراض الشتاء في الصيف وبالعكس.

٣ـ بما أنَّ عملية الارشاد الصحي هي توجيه ونصح لا مواجهة وتقريع، فيجب اتباع أساليب جيدة عند مخاطبة الفرد والمجتمع لا تتعارض مع التقاليد والعادات التي ورثوها، ولا تؤذي معتقداتهم أو تجرح كراماتهم.

٤ـ يجب أنْ يكون الارشاد ملائمًا يتناسب وعمر المخاطب وجنسه.

٥ـ يجب أنْ يكون الارشاد ذا علاقة مباشرة مع عمل الانسان.

والقرآن الكريم هداية وإرشاد، وقد حوت الكثير من آياته الارشادات

الدينية والتربوية والصحية.

﴿هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وهدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

وقد أقر علماء الطب والنفس والارشاد بفضل القرآن الكريم وأنه من أحسن الوسائل التثقيفية والإرشادية وأنجحها للأسباب التالية:ـ

١ـ إنّ كتاب الله الكريم هو النور الالهي، والهدى الرباني، والقانون السماوي، والمعجزة الكبرى، والحجة الدامغة، والحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والرحمة المهداة، والنعمة المسداة.

وإنّه الكتاب الجامع لأسمى المبادىء وأقوم المناهج وخير النظم، والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر، فهو يشرح للناس العقيدة الحقة، ويبين ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرده بالخلق والابداع.

ويعرض الطبيعة أمام العقل والفكر والنظر، ليهتدي الانسان بالتأمل فيها إلى الله، خالق الكون ومبدعه.

وإذا كان العقل والقلب هما الوسيلتان للمعرفة بالمصدر الذي صدر عنه الكون، فهما كذلك الوسيلتان لمعرفة المصير الذي ينتهي إليه الانسان، وأنه لم يُخلق عبثاً، ولن يترك سدى. وكل ما يجري في الطبيعة، بل مراحل تطور الانسان في الخلق، يهدي إلى هذه الحقيقة.

وكما يوضح كتاب الله العقيدة ويبسطها بهذه السهولة وبهذا المنطق الذي تأبى العقول إلاّ أنْ تخضع له وتنزل على حكمه، فهو يرسم للناس طريق العبادة: من

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذّكر، والفكر، والدعاء، والجهاد، والاخلاص، والتوكل، والرجاء، والخشية، والحب، والتوبة، والانابة، ليربطهم بالله فتتهذب نفوسهم وتقوى إرادتهم وتسمو أرواحهم إلى مدارج العز والكرامة. ولتتجرد من ماديات هذه الحياة وتتجه إلى خالقها وبارئها لتستمد منه النور والهدى، وتستعين به على الاضطلاع بأمانة الحياة.

وأفاض القرآن في النواحي الأخلاقية والآداب العامة والخاصة، والفضائل التي تنهض بالفرد وترقى بالجماعة.

وألح في الدعوة إليها والحث عليها، ليكتمل المجتمع الانساني، ويصل إلى المنزلة التي يكون بها أهلاً لخلافة الله في الأرض.

وبالاضافة إلى هذا يضع النظام الذي يربط الانسان بأخيه الانسان، ويحدد الصلات بين الأفراد بعضهم ببعض في التعاون وسائر المعاملات، لدرء الخصومة ورفع النزاع.

ويشرع الشرائع الاجتماعية التي تنظم التشريع الأُسري: كالزواج، والطلاق، والوصية، والمواريث.

والتشريع المدني المتعلق بمعاملات الناس كالبيع والشراء والرهن والاجارة.

والتشريع الجنائي المتعلق بالحدود والقصاص كالسرقة والقتل.

والتشريع الحربي المتعلق بالقتال وعهود الحرب والسلم وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها.

والتشريع السياسي المتعلق بنظام الحكم والسياسة العادلة.

ويبين الآداب الاجتماعية من الاستئذان والتحية والاحتشام.

وغاية القرآن من ذلك كله أنْ يخلق المؤمن الكامل والأُسرة المسلمة والمجتمع الفاضل والحكومة الصالحة، ليتألف من هؤلاء جميعاً كيان إسلامي قوي يقيم الحق والعدل، ويرفع الظلم، ويدفع العدوان، لتكون لهم وراثة الأرض. وهذه هي غاية الأديان والرسالات جميعاً.

هذه هي التعاليم التي زخر بها القرآن الكريم، وهي المنهج الصحيح الذي رسمه الله لحياة إنسانية رفيعة، لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فمثلها كمثل الشمس والهواء والغذاء لا غنى لأحد عنها، ولا حياة لأحد بدونها.

فنجـد المسلم الذي يقرأ القرآن أو يستمع إليه ينجذب اليه تلقائياً، لأنّ اسلوبه يدخل إلى أعماق قلبه، وهو مطمئن تماماً بأنه جاء لأرشاده ومصلحته.

٢ـ والله سبحانه يريد لكلمته أنْ تذاع وتصل إلى العقول والأسماع، وتتحول إلى واقع عملي، ولايتم ذلك إلّا إذا كانت ميسّرة للذكر والحفظ والفهم، ولهذا جاء القرآن سهلاً ليس فيه ما يشق على الناس فهمه، أو يصعب عليهم العمل به.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء، وردّدوه في البيوت والمساجد، ولا تزال أصوات القراء تدوي في كل ناحية، ولا نعلم أنّ كتاباً من الكتب غير القرآن نال من هذه الميزة بعض ما اختص به القرآن الكريم.

جعلوه غذاء أرواحهم، وقوت قلوبهم، وقرة أعينهم.

نفّذوا أحكامه، وأقاموا حدوده، وطبقوا شرائعه.

طهرت به نفوسهم، وصلحت به سرائرهم، فإذا هم يسبقون كل من عداهم في مضمار الترقي والتقدم، بلغ هؤلاء ما بلغوا بما أصلح القرآن من نفوسهم، والنفس إذا صلحت أصلحت كل شيء وأوصلته إلى غاية كماله. وبذلك اعتبر القرآن المساهم الأكبر في عملية التوعية الصحية الحديثة.

٣ـ ما ثبت ثبـوتاً قاطعاً شهدته الحياة، وشهد به اعداء هذا الكتاب من إعجازه اعجازاً مطلقاً، لأصحاب اللسان الذي نزل به القرآن.. وهم أرباب الفصاحة والبيان، وأقدر الناس وأقواهم في هذا الميدان، ميدان التحدي، فلم يجرؤ أحد منهم، من شاعر أو خطيب أنْ يقوم لهذا التحدي، وأنْ ينازع القرآن سلطانه القاهر، الذي

---

(١) سورة القمر: الآية ١٧.

أذل كبرياءهم، ومرغ أُنوفهم في الرغام، وهم أصحاب الأنفة والحمية، وإيثار الموت على إعطاء الدنية، والفرار من المعركة مهما تكن قوة الخصم وكثرة رجاله، وقوة سلاحه. إنّ ذلك حكم سماوي قاهر، وقدر إلهي غالب محيط بالناس جميعاً..

لقد كانت آيات التحدي تقرع أسماع العرب، وهم يشغبون على القرآن، ويتصدون لدعوته، فيولون بين يديه مدبرين مذعورين، يصيحون صيحات المجانين، ويهذون هذيان المحمومين..

فإذا جاءهم القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[1].. لم يكن لهم من عزاء إزاء خزيهم المفضوح، إلّا ترداد مثل هذه المقولات التي أخذها القرآن من أفواههم: ﴿إِنْ هٰذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[2].

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنا مِثْلَ هٰذا إِنْ هٰذا إِلَّا أَساطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3].

﴿إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[4].

﴿أَساطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[5].

ولقد وقف الرسول الكريم أكثر من عشر سنين بمكة ينتظر من المشركين أنْ يقوم منهم مدع يدعي أنه أتى بالسورة التي يتحدى بها دعوى القرآن، فلم يقم منهم أحد، حتى ولو كان على سبيل المكابرة والمداراة لهذه الكبرياء الجريحة.. فلما أوشكت الدعوة أنْ تتحول برسولها من مكة إلى المدينة، نزل هذا الاعلان العام، يحمل التحدي المطلق، لا للناس وحدهم بل ولعالم الجن معهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة المدثر: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣١.

(٤) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٥.

اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وهنا يقوم مع إعجاز القرآن شاهد منه على صدقه، وأنه من عند الله، إذْ ما زال هذا التحـدي قائماً على الناس جميعاً، مع ما لبسوا في الحياة من ألوان العلوم والمعارف، ومع ما حصلوا من علم ومعرفة، ومع ما دخل على اللغة العربية من مختلف الثقافات. وما أثمرت العقول العربية من ثمرات، في الأدب والفن والعلم، والفلسفة، ومـا أخرج العلماء من موسوعات الكتب في مختلف العلوم والفنون.. فإن كل هذا الحصاد الذي تحويه المكتبة العربية، قديماً وحديثاً، مخطوطاً ومطبوعاً، ليقف بين يدي القرآن الكريم، موقف الحصا الملقى تحت سفح جبل شامخ يطاول السماء!

فخاطب القرآن ببلاغته الانسان المسلم بأسلوب موجه مراعياً بذلك الجانب النفسي والروحي، وملفتاً نظره إلى أثر الارشاد الكبير على حياته الخاصة والعامة حاضراً ومستقبلاً.

٤ـ مع إيماننا بأن القرآن الكريم، لم يكن كتاباً علمياً يحمل بين يديه مقررات في قضايا العلم، يكشف بها عن أسرار الطبيعة للناس، ويضع بين أيديهم حلول كل مشكلة في هذا الصراع القائم بينهم وبين ما خبأت الطبيعة في صدرها من كنوز،فذلـك أمر لم يكن من تدبير هذا الدين ولا من شرعه الحكيم أنْ يفعله..

إذْ أنه لو فعله لكان مما يترتب عليه، أنْ تعطل وظيفة العقل، وأنْ تقتل فيه نوازع حب الاستطلاع، والكشف عن المجهول، والبحث الدائب بمجهوده الذاتي وراء أسـرار الطبيعة، وقهرها، والتسلط عليها، ولفقد الانسان بهذا وجوده الكريم الذي استحق به أن يكون أهلاً لخلافة الله على هذا الكوكب الأرضي، ولأصبح شيئاً من أشياء هذه الأرض، الساكنة أو المتحركة فيها..

ثم من جهـة أُخرى يصبح هذا الكتاب مجمداً، لا يستطيع التحرك وراء

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٨٨.

الحقائق العلمية التي ضم عليها، شأنه في هذا شأن كل كتاب علمي، يمتص الناس الذين يستقبلونه لأول مرة كل عصارة فيه، ثم يطرحونه وراءهم، لا يكادون يلتفتون إليه، ولايكاد من بعدهم ينظر فيه، وهو مشغول بالعلم الجديد الذي ولد بعد هذا العلم..

وليس هذا شأن كتاب أراده الله تعالى ليكون مبعث هدى ونور، ومائدة غذاء دائم للعقول والقلوب، على امتداد الحياة الانسانية..

ولهذا كانت آيات هذا الكتاب محملة بهذا الاشعاع الرباني الذي لايخبو أبداً، والذي كلما ورد عليه الانسان وجد خيراً جديداً، وزاداً عتيداً لمدركاته ومشاعره.

نقول مع إيماننا بأن القرآن الكريم لم يكن كتاباً علمياً، فإنه قد تحدث كثيراً عن الطبيعة، ومظاهر الكون، في الأرض وفي السماء لتوجيه الأنظار إليها، ولفت العقول نحوها، ليشهد الانسان في هذا الوجود عظمة خالقه وقدرته، وليرى في عوالم الكون آيات من علم الله وقدرته.

وذلك لا يكون إلّا إذا وقف الانسان إزاء هذا الكون وقفة الباحث الدارس المتأمل، حيث تؤدي به هذه الوقفة إلى كشف أسرار تغريه بمتابعة السير في هذا الطريق المليء بالعجائب والغرائب، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1].

وهذا القرآن الذي أراد الله له الخلود، لا يتصور أنْ يأتي يوم يصل فيه العلم إلى حقيقة تتعارض مع أي حقيقة من حقائقه. فالقرآن كلام الله، والكون عمل الله، وكلام الله وعمله لايتناقضان أبداً، بل يُصدّقُ أحدهما الآخر، ولهذا جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب تحقيقاً لقول الله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٥.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

وقد أثبتت التجارب الخاصة والعامة ـ إضافة للعقل ـ بأنَّ الارشاد القرآني القويم كان الأفضل، وأنَّ جميع الآراء والنظريات التي وضعها بعض العلماء والمفكرين لم تكن بمستوى ما جاء به القرآن من حيث الصحة والصواب ولهذا تعرضت للخطأ والنقد دائمًا.

* * *

الموضوع الاول
«التربية العائلية»

﴿يا أَيُّهـا ٱلَّـذِينَ آمَنُـوا لِيَسْتَـأْذِنكُمُ ٱلَّـذِينَ مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ ٱلعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ ٱلآياتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَإِذا بَلَغَ ٱلأَطْفالُ مِنْكُمُ ٱلحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَما ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.(١)

كل ما شرعه الأسلام من ضوابط في مجتمعه يدور حول غاية جوهرية: هي أنْ يحول بين الغريزة وإفساد المجتمع وإشاعة الفتنة فيه، وهذه مسألة يختلف الأسلام مع المجتمعات الأُخرى حولها.

فيرى الاسلام أنَّ غريزة النوع من القوة والأصالة بحيث يجب ألا تثار، وهي من الخطر بحيث تقضي على أمن المجتمع وتعصف بأخلاقه ومثله، حين تطغىٰ وتتجاوز حدودها، ولهذا يرى أنْ يقضي على الأسباب التي تغري الناس بالتدنّي وتدفعهم الى الهبوط إزاء تلك الغريزة. ومن هنا كان اهتمامه بسد المنافذ التي تطل منها فتنة المرأة وتهب منها رياح الفساد حتى يضمن لمجتمعه قِيَمهُ ومُثلهُ.

والذي ينظر إلى حصاد الاختلاط الشائع في المجتمع المعاصر بلا قيد ولا شرط، يرى من شروره ومآثمه ما يحزن ويخجل.. حتى ساحات العلم لم تنج من تلك المآثم والشرور، فهذه الجامعات في الدول المتقدمة تعترف بما يقترفه الطلبة والطالبات،

---

(١) سورة النور: الآيتان ٥٨ـ٥٩.

ثم تقره! وتلك نتيجة طبيعية لاثارة الغريزة بالأزياء الفاضحة والمواقف المريضة التي تفضح فيها الشهوات وتستعلن الحيوانية..

لكنهم لايقرون ولا يتراجعون، ولا عليهم! فلتتغير الأخلاق والقيم بدلاً من أنْ تتغير الأوضاع! وليصبح الفسوق تقدماً والرذيلة فضيلة، بدلاً من الاعتراف بفساد العادات وخطأ التجارب..

لهذا نلاحظ أنّ المجتمعات الغربية بصورة خاصة راحت تعاني من انهيار كيان الاسرة، وكثرة الأطفال غير الشرعيين وزيادة حالات الطلاق، وشيوع الأمراض الناتجة عن الشذوذ الجنسي. وحالات قتل الزوج للزوجة، وبالعكس.. ومشاكل أُخرى كثيرة خلقها الواقع الاجتماعي الذي لم يحترم المرأة والذي لم ينظر إليها بمنظار يتناسب والفطرة التي فطرها الله عليها..

والقرآن الكريم أرشدنا في آياته الحكيمة إلى كيفية مواجهة مشاكلنا الاجتماعية التي نمر بها يومياً طيلة عمر الانسان، من خلال وضعه لحلول صحيحة وقويمة كفيلة للتغلب على تلك المشكلات، بعد أنْ أثبت الواقع بأنّ عدم مراعاتها وإهمالها يؤدي بالنتيجة إلى حدوث كوارث عائلية لا حصر لها، وتنعكس آثارها على المجتمع أخيراً. كما نراه اليوم في المجتمعات الغربية التي تشجع ظاهرة الاختلاط الجنسي والعائلي، من بروز الانحرافات النفسية والجنسية والاجتماعية.

فالازدحام السكاني، واختلاط السكن، والعمارات السكنية الكبيرة لها الدور الكبير والمؤثر في استفحال هذه الظاهرة الخطيرة التي تهدد كيان الاسرة والمجتمع.

فوجود الخدم والعمال في البيوت، خلافاً للشرع الاسلامي، والذي سبب حوادث كثيرة انتهت إلى تحطيم العديد من الأُسر وتهديم كيانها، لمن أكبر الشواهد وأصدق الأدلة على ما نطقت به آيات القرآن الكريم.

كما أنّ الانحراف الجنسي عند صغار الأطفال، لدليل آخر على أنّ للعامل

التربوي والاسكان العلمي والالتزام الديني أهمية كبيرة في حفظ الملايين منهم من الضياع، والانزلاق في مزالق الشذوذ والانحراف الجنسي المدمر.

ولتجنب حدوث هذه المخاطر التي تستقبل أطفالنا وأُسرنا لابدَّ من دراسة هذه الظاهرة وفق الأُسس التي حددها القرآن الكريم، دفعاً لما لا يُحمد عقباه.

من ذلك توجيه وإرشاد الأطفال ـ ذكوراً وأُناثاً ـ الذين بدأوا يتحسسون القضايا الجنسية، كيفية التصرف داخل الأُسرة خلال ممارسة حياتهم اليومية.

والأوقات الثلاثة التي حددها القرآن هي أوقات حساسة ذات مساس بالجانب النفسي والتربوي للأُسرة والمجتمع.

الوقت الأول: قبل صلاة الفجر عندما يكون الانسان في حالة نوم عميق، وهو يرتدي ملابس النوم الخاصة. أو لا يستر بعض أجزاء جسمه وعورته غطاء، وربما يكون الغطاء والملابس شفافة تكفي للكشف عن أجزاء محرمة من جسم النائم.

الوقت الثاني: حين يقوم الانسان بتبديل ثيابه عند الظهيرة ليسترخي وينام، يكون قد أصبح عرضة للتفرج والنظر اليه من قبل أحد محارمه الذي يدخل عليه دون استئذان بدافع الفضول أو الغريزة، مما يؤدي إلى حالات ارتباك وخجل عند الناظر والمنظور إليه، تنتهي تدريجياً إلى الشذوذ الجنسي.

الوقت الثالث: بعد صلاة العشاء، حين ينوي الانسان تغيير ملابسه وتبديلها بملابس النوم الخاصة، ويكون حراً في تصرفاته بعيداً عن أنظار المحرَّمين شرعاً، سواء كانوا من المماليك أو أطفال الأُسرة نفسها.

وتعتبر هذه الفترة من الفترات الحساسة التي تتوجب على الانسان أخذ الحيطة والحذر فيها منعاً لوقوع وارتكاب أخطاء تربوية يلحق ضررها بالأُسرة والمجتمع.

وما نشاهده اليوم من ظواهر سلبية ومؤلمة حرفت المجتمع عن طريقه

السوي، وقذفته في متاهات الشذوذ والانحراف الجنسي، إلا نتيجة الاهمال المتعمد وغير المتعمد للقوانين الإلهية، التي جاءت بأفضل الارشادات التربوية ووضعت حلولاً شافية لتلك المأساة الاجتماعية وأخطارها، التي عصفت بأمن واستقرار الجو العائلي والاجتماعي للأُسر والمجتمعات الاسلامية، التي لم تلتزم بالاسلام فكراً وتطبيقاً، وغير الاسلامية التي لم تطلع على عظمة القرآن والاسلام:

الاختلاط وأمراضه النفسية والاجتماعية:

١ـ انتشار ظاهرة الزنا والخيانة الزوجية.

٢ـ تفشي الشذوذ الجنسي بين النساء.

٣ـ انحراف الأطفال واللواط بين الذكور.

٤ـ كثرة الفضائح الأخلاقية والمشاكل النفسية.

٥ـ كثرة حالات الحمل غير الشرعي، وما يرافق ذلك من مضاعفات وعواقب غير محمودة.

٦ـ انتشار الأمراض الجنسية المختلفة.

٧ـ زيادة المشاحنات والمشادات العائلية.

٨ـ انعدام الثقة بين أفراد العائلة والمجتمع وزيادة حالة الشك.

٩ـ تعرض الأطفال لأنواع الصدمات النفسية ينجم عنها ظاهرة الفضول والشذوذ.

١٠ـ تسرب الأسرار العائلية إلى الخارج، وما يتبعه من صدمات ومشاكل.

١١ـ تفشي العادة السرية بين المراهقين.

١٢ـ ازدياد حالات الطلاق والتسيب وهروب الأطفال من البيت.

١٣ـ توتر العلاقات الاجتماعية مع الأقارب والجيران.

١٤ـ التأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والاخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة.

١٥ـ يؤدي الاختلاط إلى تزاحم في الأعمال مما يضعف الانتاج.

الموضوع الثاني
« الفواحش »

﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَٱلإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

﴿وَلا تَقْرَبُوا ٱلزِّنىٰ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[2].

﴿وَ لاتَقْرَبُوا ٱلْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾[3].

﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلىٰ ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ ٱلدُّنْيا﴾[4].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ ٱلْفاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرَةِ﴾[5].

وروي عن الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: *«إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته، وحجز بينه وبين قلبه، وأذا أراد به شرّاً وكّله إلى نفسه»*.

وفي (نهج البـلاغة): *«من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعه، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، لاينزجر إلى الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ»*.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٤) سورة النور: الآية ٣٣.

(٥) سورة النور: الآية ١٩.

وقال بعض الحكماء: «إذا انقادت النفس للعقل بما قد أشعرت من عواقب الهوى، لم يلبث الهوى أن يصير بالعقل مدحوراً، وبالنفس مقهوراً».

وقال بعض العلماء: «الهوى ملك غشوم، ومتسلط ظلوم».

وقال بعض الأُدباء: «أعز العز الامتناع من ملك الهوى».

وقال بعض البلغاء: «أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه، وخير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه».

وقال بعض الأكابر: «أفضل الجهاد، جهاد الهوى».

وقال بعض الأعاظم: «لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها فإن لها خدائع، وإن سكنت إليها كنت مخدوعاً».

وقال أحد الشعراء:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الاثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

خلق الله الانسان وهو يحمل معه العقل والشهوة، فإذا سيطر العقل على الشهوة عاش الأنسان سعيداً، بعيداً عن الفواحش والمفاسد، متجهاً بروحه وقلبه إلى عش الزوجية السعيد، فالزواج يعتبر من سلسلة العلاقات الكونية ومن مقتضيات الفطرة، ومن مقتضيات قدرة الله تعالى في خلقه ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾.

﴿سُبْحانَ الّذِي خَلَقَ الأَزْواجَ كُلَّها مِمّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمّا لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ويعتبر الزواج اتجاهاً في تركيب الانسان، وهو اتجاه تكويني بالدرجة الأُولى قبل أنْ يكون اتجاهاً تشريعياً، أي أن إقامة علاقة بين الذكر والأُنثى في مجتمع الانسان ضمن إطار الزواج يعتبر سنّة وقانوناً تكوينياً، نابعاً من تكوين وخلقة

---

(١) سورة يس: الآية ٣٦.

الانسـان ومن طبيعـة الانسـان. ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١).

في نفس الـوقت يعتـبر الـزواج من السنن التشـريعية فيقـول الرسول الأكرم(ص): «*الزواج سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي*»(٢).

وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾(٣).

وقال (ص): «*مَنْ جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوّجوه الّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير*»(٤). وهو بذلك يضع لنا مقومات الحياة الزوجية السعيدة، ويوضحها لنا حتى نسير عليها.

والزواج مبادلة روح بروح: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾(٥).

حدّد الله سبحانه عقد الزواج بألفاظ ذكرها في كتابه العزيز، أوجب الوقوف عندها، والتعهد بها تماماً كألفاظ العبادة، وأضفى على عقد الزواج من القداسة ما أبعده عن كل العقود، كعقد البيع والاجارة، وما إليها، لأن البيع مبادلة مال بمال، أما الزواج فمبادلة روح بروح، وعقده عقد رحمة ومودة، لاعَقْد تمليك للجسم بدلاً عن المال.

وقال الفقهاء: «إنّ عقد الزواج أقرب إلى العبادات منه إلى عقود المعاملات والمعاوضات، ومن أجل هذا يجرونه على اسم الله، وكتاب الله، وسنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)...».

وإذا تنبهنا إلى أن كلمة ميثاق لم ترد في القرآن الكريم إلّا تعبيراً عما بَيْنَ الله وعباده من موجبات التوحيد، والتزام الأحكام، وعما بين الدولة من الشؤون العامة

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) الطبرسي (مجمع البيان) ج٧ ص٢٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآيه ١٨٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٥١.

(٥) سورة النساء: الآية ٢١.

الخطيرة، علمنا مقدار المكانة التي سما القرآن بعقد الزواج إليها.

وإذا تنبهنا مرة أُخرى إلى أن وصف الميثاق «بالغليظ» لم يرد في موضوع من مواضعه إلاّ في عقد الزواج، تضاعف لدينا سمو هذه المكانة التي رفع القرآن إليها هذه الرابطة السامية عن كل ما أُطلق عليه كلمة ميثاق.

... فالقرآن الكريم حدد الهدف من عقد الزواج، وهو السكنى. والسكنى بمعنى أن الاستقرار والاطمئنان في الحياة لاتتم إلاّ بمشاركة المرأة بطبيعتها والرجل بطبيعته، وهما إذن طرفا عقد الزواج.

... إنّ العلاقة الجنسية المحظة في تفكير بعض الشارحين للحياة اليومية والاجتماعية.. هو اقتران مادي، لاينهض أنْ يكون آية من آيات الله ونعمة من نعمه سبحانه، التي يسوقها دليلاً على خالقيته واستحقاقه الربوبة والعبادة في الانسان.

أما إذا تغلبت الشهوة على العقل فقد أصبح الانسان مطية لها تسيره كيف تشاء، حتى تنتهي به إلى الهوى في طريق الضلال والفساد والفحشاء.

فجريمة (الزنا) ينكرها الناس جميعاً، وتنكرها كذلك المدنية الغربية جهراً، وترضى عنها سراً!!

وقد أنكرها الاسلام سراً وجهراً. وجعل سرها عنده كالجهر بها، في اعتبارها عدواناً على حدود الله، واستباحة لحرماته.. ولكنه جعل الحد الذي أوجب إقامته على الزناة عقوبة دنيوية، وذلك للتشنيع على هذا الفاحشة، ونكالاً بالذين يخرجون على المجتمع هذا الخروج السافر بلا حياء، واستحياء حيائه..

أما العقاب لمن يأتي هذه الجريمة سراً، فهو إلى الله تعالى يوم القيامة.. إن شاء عفا رحمة وفضلاً، وإنْ شاء عاقب حقاً وعدلاً..

ومن جهة أُخرى فإنّ إباحة الزنا في مجتمع أو تفشيه بين أفراده، دون أنْ ينكره ضمير المجتمع أو يتأذى به شعوره، فإن معنى ذلك ضياع الأنساب، وانقطاع صلة الأبناء بآبائهم، وحل روابط الأُسرة التي يقوم بناؤها على صلة الدم بين أفرادها.

وإنّ من نتائج ذلك تصدع المجتمع، وانهيار بنيانه، حيث تموت فيه دواعي العمل للحاضر والمستقبل من خلال تلك العاطفة الأبوية، التي تلح على الكائن الحي أنْ يعمل من أجل صغاره، الذين يرى فيهم وجوده.. فكيف بالانسان وما خلق الله تعالى فيه من عقل وإرادة؟

من أجل هذا كان ذلك التشريع الاسلامي، الذي يحمي به مجتمع المسلمين من الانهيار، والانحدار إلى عالم دون عالم الحيوان، حيث أنَّ كثيراً من الحيوانات يقوم اتصال الذكر فيها بالأنثى على حماية أُنثاه من أنْ يتصل بها غيره من جنسه.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طَآئِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وهذه الآية خاصة بغير المحصنين، أما المحصنون فقد جاء الحكم برجمهم بقول الرسول الكريم(ص)، وبعمله.. إذْ أنَّ غير المحصن أكثر تعرضاً للوقوع في هذه الفاحشة، وأكثر جرأة عليها، وإتيانها على هذا الأُسلوب العلني الذي يراه الناس فيه رأي العين!!.

أمـا المحصن، وهـو المتـزوج، فإنه لاتتحكم فيه الشهوة تحكمها في غير المحصن، كما أنه يجد من الحياء مايرده عن المعالنة بهذا المنكر على رؤوس الأشهاد..

وقد اتخذ المفترون على الاسلام ما قررته شريعته من الجلد، والرجم، مع الفضـح والتشهير لمرتكبي هذه الجريمة.. اتخذوا من ذلك باباً واسعاً يدخلون منه للطعن على الاسلام، وعلى فقدان الجانب الانساني فيه.. إذْ كيف يبلغ به أنْ يجلد الانسان كما يجلد الحيوان، ثم لايكتفي بهذا بل يمثل به هذا التمثيل، فيدعو الناس إلى مشاهدته وهو يتلوى تحت سياط العذاب؟

أما عملية الرجم، فهي عملية أشد بشاعة، وأنكر نكراً من كل ألوان العقاب

---

(١) سورة النور: الآية ٢.

والعذاب.. فهذا رجل، وتلك امرأة يرمى بهما أحياء في حفرة، ثم تأخذهما الأيدي من كل جانب، رجماً بالحجارة، حتى الموت!!

هكذا يقول المفترون على الاسلام، دون أنْ ينظروا إلى ذلك الانسان الذي وقع تحت هذه العقوبة، وإلى أي مستوى حيواني - لا إنساني - نزل إليه.

حقاً إن العقوبة قاسية، فيها إهدار لآدمية الانسان، واستخفاف بإنسانيته..

ولكن أي إنساناً هذا الذي أهدر الاسلام آدميته، واستخف بإنسانيته؟

إنه لم يعد إنساساً بإقدامه على هذا الفعل على تلك الصورة، التي يأبى كثير من الحيوان أنْ يفعلها علناً، بل كثير من الحيوانات إذا اتصلت بانثاها حرصت على أنْ تذهب بعيداً بحيث لاتراها عين، من إنسان أو حيوان!

أما هذا الحيوان الآدمي، فقد تعرى من كل معاني الانسانية، فلا حياء، ولا عفة،ولا مروءة، بل فجور، وتجرد من الحياء. واستخفاف بالجماعة التي يعيش بينها، فلا يكتفي بالعدوان على حرمة أحد أفرادها، في ستر وخفاء، بل يأتي جريمته علناً على أعين الناس، وكأنه في حجرة مغلقة عليه، وعلى زوجه!

إنَّ الناس حين يرون كلباً علق بكلبة في الطريق العام يرجمونهما بكل ما يقع بأيديهم من حجارة، أو نحوها. هكذا بدون حساب أو تقدير.. وهكذا ينبغي أنْ يفعل بالرجل والمرأة إذا رآهما الناس على تلك الحال، وغاية ما هناك هو أنْ يقادا إلى ولي الأمر، وتقام عليهما الشهادة من أربعة شهود عدول، ثم يقضي ولي الأمر بالحد الذي قضت به الشريعة فيهما، ولا نحسب أنَّ مجتمعاً من المجتمعات يقبل أنْ يرى هذا الفعل المنكر، ثم لا ينكره بالعمل، ويعجل بإنفاذ العقوبة في مرتكبيه قبل أنْ يسوقهما إلى ساحة القضاء!

ولو استعرضنا العصر الجاهلي وما انتشرت في وسطه من فواحش أدت إلى انحطاطه وفساده، عرفنا أثر تلك الفواحش التي حرمها الأسلام كي يجعل من مجتمعه مجتمعاً قوياً محصناً بعيداً عن المفاسد والآثام.

وكانت الآيات القرآنية هي الدستور الرادع والحل الوحيد الأمثل والبلسم الشافي الذي يداوي جروح المجتمع الجاهلي، ويخلصه من آثامه ومفاسده، ليحفظ وحدة الأسرة ويؤدي إلى تماسك المجتمع.

فقال عز من قائل: ﴿آلـزَّانِي لايَنْكِحُ إلاّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَآلزّانِيَةُ لايَنْكِحُها إِلاّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَىٰ آلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وهنا يتجلى نجاح التحريم بسلامة التطبيق، ويحدثنا التأريخ أن الفترة التي حكم فيها الرسول الأكرم(ص) والإمام علي(ع) قد ندرت فيها الفواحش والآثام، وما ذلك إلاّ لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية التي هي ـ بحق ـ ضمان أكيد للقضاء على كل ألوان الموبقات. كتشجيع الزواج المبكر الذي لا تعيقه قيود.

وتتعاقب الأيام ويتعطل العمل بالقوانين الاسلامية، فماذا كانت النتيجة؟

هي تعرض الجنس البشري للحيف والاضطهاد والمعاناة من القوانين والأعراف الظالمة، وتحمله من البطش والارهاب الشيء الكثير خلال المسيرة الطويلة الشائكة، والمرأة بصورة خاصة قد تحملت الشق الأكبر من هذا الحيف والظلم والبطش والانتهاك.. فلم ينظر للمرأة على أنها إنسانة لا تختلف عن أخيها الرجل إلاّ بما فرضته واقتضته طبيعتها الأنثوية، فقد كان ينظر إليها من زاوية ضيقة داكنة رعناء، فكانت وفقاً لتلك النظرة تعامل معاملة قاسية جائرة، وكانت تئن وتلتوي تحت سياط الحيف الاجتماعيُ اللاذعة، وتبكي وتتضرع لعلها تثير في النفوس الغليظة الرأفة.

تذكر مجلة المانية: «إنَّ تحرر المرأة وابتعادها عن الدور الطبيعي لها، كان عاملاً رئيسياً في الصعوبات التي تواجه زيجات اليوم.. وأنَّ المرأة المعاصرة أصبحت حائرة في نفسها:

أـ كأم أمينة تعني بأولادها وزوجها، وتخصيص رعايتها لهم.

بـ وكمشاركة في الكسب، وشريكة شركة كاملة في الزيجة.

---

(١) سورة النور: الآية ٣.

جـ وكملاعبة، جذابة للرجل»[١].

ولذلك ابتدأت معايير السلوك الأخلاقي تتغير، فالمرأة العاملة إذا أتاح لها الاستقلال الاقتصادي حرية وانطلاقاً أوسع، فلا غضاضة عليها إطلاقاً من الناحية الأخلاقية ـ تبعاً لمنطق الإستقلال ـ أنْ تسلك مع الرجل في المعاشرة الجنسية مسلكاً يخالف ما جرى عليه العرف الأخلاقي في المجتمعات، وهو الذي قام على عقد الزواج وحده.

حتى أنَّ إحدى محاكم (كوبنهاكن) بالدانمارك أصدرت قراراً.. يعتبر أول قرار من نوعه في العالم، يرفض قبول الخيانة الزوجية كسبب من أسباب الطلاق[٢].

لأن وضـع المجتمع الصناعي أتى بفرصة العمل للمرأة، ومكنها استقلالها إقتصادياً في الانفاق على حياتها الخاصة، فلم يعد هناك مكان فسيح للارتباط بعقد الزوجية في السلوك الجنسي، وفي شرعية العلاقة بين الرجل والمرأة!.

أما الحياة العامة في المجتمع الغربي فيقول عنها (بول بيرو) العالم الاجتماعي الفرنسي المعروف:

«إنَّ من أراد من الباحثين أنْ يطالع حياتنا المدنية من خلال هذه النماذج للحياة التي لايزال يعرضها كتابُ مسرحياتنا منذ ثلاثين أو أربعين عاماً، فلا جُرمَ أنه يستنتج أنَّ جميع الأزواج المتزوجة في مجتمعنا قوم خونة متجردون من الوفاء اللازم للعشرة الزوجية، فيكون كل زوج إما بليداً غافلاً أو يكون لزوجته بلاءاً ونكبة، وأما الزوجة فأحسن خصالها أنْ تكون في كل حين متبرمة من زوجها وتكاد تميل بهواه عنه إلى غيره»[٣].

فالمرأة التي عملت في تلك المجتمعات في غير مجالها الحقيقي.. قد اضطرت

---

(١) Dienaus Illust Rierte في عددها الرابع والأربعين ص٣٨ في أول سبتمبر سنة ١٩٦٤م.

(٢) جريدة الأهرام القاهرية عدد ٢٨٤٦٤ ص٢ ملحق في ١٩٦٤/١١/١٥م.

(٣) مجلة (الصحوة الإسلامية) العدد الثاني ـ ذي القعدة ـ ١٤٠٥هـ مقال بعنوان (الغرب وشعارات حرية المرأة).

لغيابها عن البيت إلى تسليم أطفالها إذا كان لها أطفال إلى دور الحضانة، والمربيات.. وليس في هذه الأماكن مسحة من حنان أو عطف من أُمومة، يعوض نظرات الأُم وحنانها، وضمها لصغيرها في ساعة يقظة منه.. ومن هنا انعكست آثار تلك الأعمال على الأجيال التي تسلمت زمام المجتمع، وتحكمت في مصيره..

«أما في عصرنا الحالي حيث قطعت البشرية أشواطاً بعيدة من التقدم المادي، وتفتحت أمامها أبواب علمية جديدة، واستطاع الأنسان أنْ يهتدي إلى طرق وخبايا لم تكن تدور في ذهن الأسلاف، فإنَّ المرأة في ظل المجتمعات الغربية لم تكن بأحسن من حال أُختها في الأزمان الدارسة. فراح ينظر إليها على أنها (أُنثى) فقط وليس كونها إنسانة يجب أنْ يكون لها الموقع الحقيقي، وأنْ تحظى باحترام وتقدير المجتمع، وأنْ تصان عفتها وشرفها، وأنْ تنال من التربية والأخلاق ما يتناسب مع رسالتها في إعداد الأجيال النقية الصالحة..

صحيح أنه قد رفعت شعارات (حرية المرأة) وطالب بهذه الحرية كثير ممن تأثروا بالغرب في ديار المسلمين، ولكن ماذا تعني حرية المرأة في نظر هؤلاء؟ إنها الإباحية والمجون والانتهاك. فحرية المرأة هي أنْ تتحول إلى جنس يتحرك على مسرح المجتمع ليُشبع غرائز التائهين والمتعطشين، وأنْ تتحول إلى وسيلة لهو عابث، وإلى أسلوب دعائي خليع على صفحات المجلات التافهة ومداخل الشوارع وواجهات المحلات.. ونتيجة لذلك كله فقد انحدرت المرأة إلى أودية التيه وسقطت في حُفر الضياع. وغرقت في مستنقعات الامتهان والفساد وأضحت لعبةً مسليةً لهذا وذاك خالية من الأحاسيس والمشاعر.

لهذا نلاحظ أنَّ المجتمعات الغربية بصورة خاصة راحت تعاني من انهيار كيان الأُسرة، وكثرة الأطفال غير الشرعيين، وزيادة حالات الطلاق، وشيوع الأمراض الناتجة عن الشذوذ الجنسي، وحالات قتل الزوج للزوجة وبالعكس.. ومشاكل أُخرى كثيرة خلقها الواقع الاجتماعي الذي لم يحترم المرأة، والذي لم ينظر

إليها بمنظار يتناسب والفطرة التي فطرها الله عليها..

ولو ضربت أمثلة من واقع المجتمع الغربي نفسه لأدركت رغبة العقلاء منهم بأن تعود المرأة إلى فطرتها التي فطرها الله عليها.. دون أنْ تختلط بالرجال في المجتمع وتـزاحمهم في أعـمال إنتاجها فيه ضعيف حسب الاحصائيات.. وتحملها قليل، لأن تكوينها الطبيعي والجسماني يختلف قوة واحتمالاً عن وضع الرجل..

إنَّ مسألة المرأة لا يحلها خلع عذار وإطراح برقع وإزار. وإنما هي مسألة تحتاج لنظر طويل وبحث دقيق وجدال تتحطم فيه الأقلام وتجأر منه المحابر»[1].

فعن كتاب (تاريخ الفحشاء) للكاتب الأنجليزي (جورج رائيلي اسكات):

«ولا تزال تكثر النساء اللاتي يزاولن العلاقات الجنسية قبل الزواج من غير ما تحرج، وفي حكم النادر والشاذ وجود الأبكار اللاتي يكن في الحقيقة أبكاراً عندما يعقدون النكاح عقد الوفاء الأبدي أمام منبر الكنيسة».

ويذكر الكاتب الأسباب التي أفضت بأحوال المجتمع إلى هذا الحد، فيعد من هذه الأسباب الولوع الفاحش بالتبرج الذي قد بعث في نفس كل فتاة أشد الحرص على الأزياء الفاتنة من أحدث الطرز، ثم حرية النساء المطلقة، فقد بلغ من ضعف رعاية الآباء ورقابتهم لبناتهم أنْ قد تهيأ لهن من الحرية والانطلاق مالم يكن ميسـوراً حتى للأبناء قبل ثلاثين أو أربعين عاماً، ثم تهافت النساء على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة حيث يختلطن بالرجال صباح مساء.

ويقول بعد ذلك: «وقد حط ذلك من المستوى الخلقي في الرجال والنساء، وقلل جداً من قوة المـدافعة في النساء لاعتداءات الرجال على عفتهن، ثم أطلق العلاقة الشهوانية بين الجنسين من كل القيود الخلقية. فالآن أصبحت الفتيات لايخطر ببالهن الزواج أو الحياة العفيفة الكريمة، حتى صار اللهو والمجون الذي كان يطلبه في الزمان الغابر أوغاد الناس تطلبه كل فتاة اليوم».

---

(١) المرأة بين المادية والإسلام: للسـيد طالب الخرسان ص٦٦ـ٦٧.

«والجدير بالذكر أن مجموع المنحرفين جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ١٥ مليون منحرف».

«وأنّ أرباح صناعة الجنس تزيد على المليارد دولار في امريكا فقط. وهناك (٢٠٠) شركة جنسية على الأقل تصدر عشرات الآلاف من الكتب والمجلات ومئات الأفلام المتخصصة».

«أما في لندن فقد ارتفعت حالات الإجهاض من (٥٠) ألف عام ١٩٦٩م إلى (٨٣) ألف في عام ١٩٧٠م ونحو (٢٠٠) ألف في عام ١٩٧١م».

«وترتفع هذه النسبة في فرنسا لتصل إلى مابين (٤٦ـ١٤٣) إجهاض لكل مائتي ولادة و(١٦٪ـ٩٥٪) في إيطاليا و(١٢٤ـ١٣٧) في بلجيكا و(٧٨ـ١٣٥) في النمسا»[١].

وما ظن القارىء الكريم بأُمة اُضطرت إلى أنْ تعفي خمسة وسبعين ألفاً من جنودها عن الخدمة، وهي في أشد المآزق وفي أمس الحاجة، في السنتين الاُولى من سني الحرب الاُولى، اضطرت إلى أنْ تعفي هذا العدد الضخم من الجنود وتبعث بهم إلى المستشفيات لأنهم اُصيبوا بمرض الزهري؟

وفي وصف هذه الظاهرة نشرت مجلة (لانست) مقالاً جاء فيه: «يبلغ عدد النساء اللواتي حملن بين عامي (١٩٣٨م ـ١٩٤٣م) من علاقة غير شرعية (٨٠،٠٠٠) امرأة بمعدل الثلث في أول حمل، ويمكننا أنْ نقول: إنّ لامرأة من كل عشر نساء علاقة جنسية خارج الزواج، ولقد كانت في عام ١٩٣٨م (٤٠٪) من الفتيات اللواتي تزوجن قبل سنّ العشرين حاملات، و(٣٠٪) من اللواتي تزوجن في سنّ الواحدة والعشرين، ولا تمثل هذه الأرقام التي تتعلق بسنتين من سنوات قبل الحرب إلاّ عدد العلاقات التي تؤدي إلى الحمل، وهي نسبة صغيرة بالنسبة للعلاقات العامة فعلياً، ولاشك أنّه كان بإمكان التربية الجنسية الصحيحة أنْ تحول دون ولادة عدد ضخم من الـ(٤٨٠،٠٠٠) طفل الذي ولدوا بالرغم من إرادة آبائهم»[٢].

---

(١) ملحق صحيفة (النهار) البيروتية بتاريخ ٢٧/شباط/١٩٧٢م.

(٢) اوسفلد شفارتس (علم النفس الجنسي) ص١٠١.

وقد تقدمت لجنة خاصة في وزارة الشؤون الاجتماعية باقتراح مفاده إدراج موضوع الاعتداء على النساء ضمن البرامج الدراسية في مدارس السويد. وتقول اللجنة: «إننا نريد أنْ يصبح الاعتداء على النساء مادة دراسية في مختلف المستويات التعليمية».

وقد خصصت الحكومة مبلغ مليون كراون في ميزانية عام (١٩٨٢م ـ١٩٨٤م) لنشر المعلومات الكفيلة بمكافحة الاعتداء على النساء[1].

«ومنع الحمل ووأد النسل المنتشران إنتشاراً عظيماً في تلك الربوع، شاهدان على صدق تلك الدعوى؟ على أنَّ علاقة الرجل بالمرأة علاقة شهوة مجردة، فهما يطلبان التخلص من نتائجها، ويلتمسان له الأسباب، ويبتغيان الحيل، ويفزعان إلى الطب وعقاقيره ومستحضراته وآلاته، وهي لديهم ميسورة موفورة، تباع في كل بلدة وفي كل قرية دون أي حذر ودون أي مراقبة.

«فهل علمت أنَّ (٦٠٠,٠٠٠) نسمة على الأقل يمنع توليدها في فرنسا في كل سنة على ما يقدر الاخصائيون، من جراء هذه العادة المنتشرة في البلاد، وأنَّ (٤٠٠,٠٠٠) جنين أُخرى تسقط من بطون امهاتها».

«وأنَّ في أمريكا يسقط مليون ونصف مليون حمل على أقل التقدير في كل سنة، ويقتل آلاف من الأطفال من فور ولادتهم» على ما يقول القاضي الأمريكي (بن لندسي) رئيس محكمة جنايات الصبيان (بدنور).

«وأنَّ (٩٥٪) من العلاقات الجنسية الحاصلة اليوم بين الرجال والنساء يحولون بينها وبين نتائجها الفطرية بتدبير منع الحمل، ثم لايُعد هذا العمل لديهم إجراماً يعاقب عليه القانون».

هذه علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة المرأة بالرجل في ظل تلك النظرة المادية، فهل نطمع بشواهد أكثر ونتائج أكبر؟! وهل في هذا السلوك ما يشرف المرأة ويرفع

---

(١) صحيفة (اكسبرنسن) السويدية في ٣٠/مارس/١٩٨٣م.

من قدرها، بل وما يُشرف الرجل والمجتمع ويرفع من قدرها؟!»[١].

«ونُحب أنْ ننبه إلى أنَّ الوضع السيء الذي صارت إليه المرأة في المجتمع الأسلامي في القرون الأخيرة، لم يكن وضعاً خاصاً بالمرأة وحدها، بل هو الوضع الذي انحدر إليه المجتمع كله، وما أصابه من ضعف، وجهل.. فإذا كانت المرأة قد أخذت نصيبها من هذا البلاء، فإنَّ الرجل قد أُخذ نصيباً مضاعفاً منه!.

وإنه يوم يعود للمجتمع الاسلامي وضعه الذي ينبغي أنْ يكون له في ظل الاسلام، فإنَّ هذه الصورة المعتمة المضطربة التي يراها الناس للمرأة ستتغير كثيراً، حيث تنزع المرأة المسلمة كل هذه الأثواب المستعارة، وتلبس ثوب الاسلام ظاهراً وباطناً، ويومها يستر باطنها ما انكشف من ظاهرها.. ومن هنا نجد نذيراً جديداً للذين يجعلون من أوروبا مثلهم الأعلى في كل تجديد، فإنَّ مشكلة المرأة الأوروبية ما زالت خطيرة، خطيرة حتى في ذهن المرأة ذاتها، وفي تصورها لنفسها، كيف تتحقق كمثل أعلى خلقي وجمالي لحضارة»[٢].

الزنا وأمراضه الزهرية:ـ

١ ـ السيلان Gonorrhoea :ـ وسببه الميكروبات ذات البنية المكورة (Gonococcus) التي يصاب بها الانسان نتيجة العلاقات الجنسية غير المشروعة واتصاله بالنساء المريضات أو العكس، وقد تكون المرأة حاملة للميكروب سنين طوال في أعضائها التناسلية فتكون مصدراً للعدوى الدائمية الخطيرة.

الأعراض:ـ

أ ـ التهاب الأحليل الحاد الذي يصحبه ترشح قيحي مع حرقة في البول وتعدده.

---

(١) مجلة (الصحوة الإسلامية) العدد الثاني ـ ذي القعدة ـ ١٤٠٥هـ.

(٢) المرأة بين المادية والإسلام: للاستاذ السيد طالب الخرسان ص٦ـ٧ (المقدمة).

ب ـ التهاب ثنايا المهبل وتقيحه وحول عنق الرحم وداخله.

ج ـ التهاب المشفة والبروستات.

د ـ التهاب الحويصل المنوي والحبل المنوي والبربخ والخصية.

هـ ـ قد يُسبب العقم عند بعض المصابين.

و ـ ترشح مهبلي قيحي.

ز ـ التهاب غدة (بارثولين).

ح ـ التهاب ملحقات الرحم كقنوات البيض أو المبيض وكذلك البريتون، وفي حالة انسداد قنوات البيض يحدث العقم عند النساء.

ط ـ التهاب المستقيم عند الذكور في حالات اللواط.

ى ـ مضاعفات عامة، كالتهاب الجلد والمفاصل، وكذلك إصابة القلب والسحايا وتسمم الدم في بعض الحالات.

٢ ـ السفلس (Syphilis):ـ وهو من الأمراض الزهرية الخطرة يسببه ميكروب «اللولبية الشاحبة» ويصاب به الانسان أثناء العلاقات الجنسية السرية مع الفاحشات أو عند اللواط، وهو نوعان ـ مكتسب ووراثي ـ.

أ ـ السفلس المكتسب: تحدث الاصابة به عند الاتصالات المشبوهة، حيث تدخل جرثومته الجسم وتمكث فيه مدة ثلاثة أسابيع دون أن يصحبه أعراض، وتسمى هذه الحالة بـ(فترة الحضانة)، ثم تبدأ الأعراض بالظهور وفي ثلاث مراحل.

١ـ السفلس الأولي: وتظهر أعراضه بعد ثلاثة أسابيع من التقارب الجنسي، ومن علائمه تقرح في الأعضاء التناسلية للمرأة والرجل معاً كالقضيب والشفرين والمهبل وعنق الرحم وفتحة الشرج والفم خصوصاً عند المصابين بالشذوذ الجنسي، ويحدث تورم في العقد الليمفاوية المغبنية، ويمكن كشف مكروب السفلس تحت المجهر بعد أخذ عينة أو مسحه من مكان الاصابة، أو من العقد اللمفاوية.

٢ـ السفلس الثانوي: تبدأ أعراضه بعد ستة أسابيع من اختفاء أعراض

السفلس الأولي، وتنتشـر إصابته في الجسم، ومن أبرز علائمه ظهور طفح جلدي متنوع في كافة أنحاء الجسم بضمنها الأنسجة المخاطية في الفم والمهبل، كما يصحبه سقوط شعر الرأس أو الشعر في أجزاء الجسم الأُخرى، وظهور الطلاء الأبيض على اللسـان، مع حدوث تورم في العقـد الليمفاوية في عموم الجسم، ويستمر السفلس الثانوي حتى السنة الثالثة أو الرابعة، يرافقه أحياناً تورم في الطحال والكلية والكبد والتهاب السحايا والدماغ والحنجرة مع ارتفاع درجة الحرارة وصداع الرأس وفقدان الشهية والضعف العـام. ويمكن العثـور على مكروب السفلس عند فحص نماذج مأخوذة من أماكن الاصابة أو العقد الليمفاوية.

٣ـ السفلس الثالوثي: ويطلق عليه اسم (الدور المخرب) حيث يصيب الجلد وسائر أعضاء الجسم، وتقوم (الدرنات السفلسية) بدور واسع ومخرب داخل أنسجة الجسم، ويتعرض الجهاز العصبي للتخريب وخصوصاً الأعصاب الحسية التي تفقد الشخص القدرة على تحسس الألم والحرارة والبرودة فتسبب له مضاعفات عديدة ومؤذية.

وفي هذا الـدور يصـاب الكبد والقلب والأبهر والكليتين والمعدة والخصية والسحايا والدماغ.

ب ـ السفلس الوراثي: يحدث نتيجة إصابة الأُم بالسفلس العام، وبه يصاب الجنين عن طريق المشيمة، لأن ميكروب السفلس يتمكن من اختراق غشاء المشيمة فيؤدي إلى موت الجنين داخل الرحم وحصول الإجهاض، وقد يولد الطفل وجلده متجعد على العموم، ولونه عميق (قهواني) مع ظهور طفح كيسي على الجلد، ويمكن العثور على ميكروب السفلس بفحص محتوياته.

كما يلاحظ التهاب الغشاء المخاطي للفم ومجرى التنفس مع تورم العقد الليمفاوية والطحال والكبد ومفاصل العظام مع الغضاريف.

ويلاحظ أحيانـاً وجـود تشوهات في العين والجهاز العصبي عند الولادة، وتظهر أعراض السفلس الوراثي بعد عدة أسابيع أو أشهر من ولادة الطفل الطبيعية.

٣ـ **الحمى الراشحة** [Herpes Simplex]: وتصيب الانسان عند الاختلاط الجنسي، وتحدث نتيجة الاصابة بفيروس الحمى الراشحة، ومن علائمها:ـ

أ ـ التهاب المهبل عند النساء، والقضيب عند الرجال.

ب ـ ظهور حكة شديدة في المنطقة المصابة.

ج ـ بروز طفح جلدي يتحول تدريجياً الى قرحة مؤلمة ينتشر في منطقة المهبل، وقد يصاب كامل غشاء المهبل.

د ـ حرقة عند التبول واحتباس البول أحياناً.

هـ ـ تورم العقد الليمفاوية في كلّي الجانبين.

و ـ التهاب عنق الرحم مما يؤدي إلى ترشح مائي كثير في المرأة المصابة.

ز ـ ارتفاع درجة الحرارة مع ضعف شديد في الجسم.

ح ـ تكرر المرض عند المصاب مرات عديدة ويبلغ أشده في بعض الأحيان فيسبب الموت.

٤ـ **التهاب الجلد الفطري** [Fungal Dermatitis]:

ويأتي هذا المرض نتيجة العلاقات المشبوهة فيصيب طبقات الجلد الخارجية ويسمى [Tineacruris] وغالباً ما يلاحظ أثره في المنطقة العلوية للفخذ والمناطق المحيطة بالأعضاء التناسلية، ويمتاز بإحمرار المنطقة وتقشرها، ويصحب المرض حكةً في في المنطقة المصابة.

٥ـ **الاصابة بقمل العانة** [Pediculosis Pubis]:

وينتقل جراء المقاربة الجنسية، وذلك بانتقال القمل نفسه أو عن طريق تعلق البيوض بالجلد، وتؤدي الإصابة بالقمل إلى حكة ليلية شديدة.

٦ـ **الجرب** [Scabies]:

ومن أعراضه وجود حكة جلدية شديدة في الجسم والمناطق الجنسية وأعلى الفخذين، وينتقل بصورة مباشرة عند التصاق الجسم أثناء القيام بالعمليات الجنسية غير المشروعة.

٧ـ الديدان الخيطية [Pin Worm]:

وتنتقل أثناء العمليات الجنسية عند تماس الأشخاص وذلك بدخول بيوض المصاب إلى السليم، ومن أعراضها ظهور حكة شرجية في الليل غالباً.

٨ـ الدويبات الشعرية [Trichomonas Vaginalis]:

وتحدث غالباً عند الاتصالات الجنسية الممنوعة، فتصيب إحليل الرجل مع ترشحات قيحية، والتهاب مهبل المرأة والجزء الأسفل للمجرى البولي، ويصحب ذلك سيلان مهبلي ذو رائحة كريهة ولون مائل للأخضرار، وتخدش جدران المهبل في استمرار الاصابة مدة طويلة، وتعاني المرأة من حرقة التبول وزيادة في الادرار، ومن علائم الدويبات الشعرية هي الحكة الفرجية.

٩ـ الاصابة بالثؤلول او الزوائد الجلدية [Condylomata Acuminata]:

تحدث نتيجة التّماس الجنسي بفعل فايروس خاص، ويكون لونها بنفسجياً، وهي رخوة رطبة تصحبها حكة متوسطة، ويمكن مشاهدتها في المهبل وعنق الرحم وحول فتحة الشرج.

١٠ـ الاصابة بمرض الكلامكيديا [Chlamydial infection]:

من علائم الاصابة بهذا المرض: التهاب الاحليل عند الرجل، وحرقة في التبول لدى الجنسين، والتهاب عنق الرحم المصحوب بترشح مخاطي قيحي، والتهاب قناة البيض بعض الأحيان، أما العقد الليمفاوية فتكون كبيرة وملتهبة.

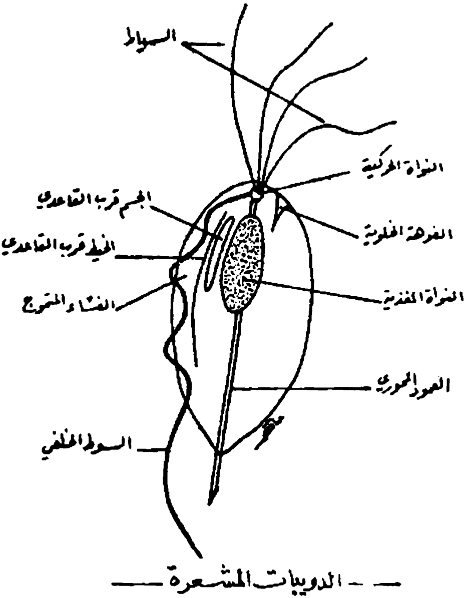
١١ـ الورم الحبيبي الليمفاوي المغبني الزهري [Lymphogranul Loma Venereum]:

وأهم أعراض هذا المرض ما يلي:

أ ـ تقرح المستقيم والمنطقة المحيطة بالشرج.

ب ـ ضيق منطقة المستقيم.

ج ـ آلام في منطقة الشرج والحوض وعند التغوط، مصحوباً على الأكثر بخروج دم قليل عند التغوط.



— — الدويبات المشعرة —

TRICHOMONAS

د ـ تقرح منطقة المهبل.

هـ ـ حكة في الفرج أو المستقيم.

و ـ تورم الغدد الليمفاوية المغبنية.

ز ـ تورم الجلد في المنطقة المحيطة بالاصابة، وتبدل لونها إلى لون يميل للزرقة.

١٢ـ التهاب المهبل المسمى بالكاردنرلا:

ومن علائمه سيلان مهبلي خفيف.

١٣ـ القرحة الرخوة [Chancroid]:

ويصاب بهذا المرض كلا الجنسين من جراء أعمال جنسية غير شريفة، ومن أعراضها: وجود قرحة مؤلمة في منطقة الأعضاء التناسلية مع ترشحات شديدة ذات رائحة كريهة، أما العقد الليمفاوية المغبنية فتكون ملتهبة ومؤلمة مع احمرار المنطقة المحيطة بها، وقد تتقرح العقد الليمفاوية بعض الأحيان.

١٤ـ الورم الحبيبي الأربي [Granuloma Inguinale]:

مرض زهري يمتاز بالأعراض التالية:

أ ـ تقرح منطقة المهبل، ويكون المرض مزمناً في حالة تكرر التقرح.

ب ـ تكون المنطقة المحيطة بالمهبل والشرج والمغبن ملتهبة ومتقرحة.

ج ـ التهاب الرحم وعنقه والمبيض أحياناً.

د ـ تكون منطقة الاصابة مترشحة وذات رائحة خاصة.

هـ ـ التهاب الاحليل وفتحة الشرج عندما يكون المرض مزمناً.

١٥ـ مرض الأيدز ـ او نقص المناعة المكتسبة AIDS :

تحدث الاصابة بهذا المرض نتيجة الاتصالات الجنسية غير المشروعة بين الجنسين، أو الجنس الواحد، مما يؤدي إلى تدمير جهاز المناعة لدى الضحايا، خصوصاً الخلايا الليمفاوية البيضاء المسماة (T) وجعلهم عرضة للاصابة بشتى الأمراض

والالتهابات وحالات السرطان المختلفة التي تسببها الكائنات المرضية الدقيقة، سواء كانت من النوع البكتيري أو الفيروسي أو الجرثومي، التي تؤدي في النهاية إلى وفاة المصاب نتيجة عدم وجود مقاومة فعالة لديه. ومن هذا يتبين لنا خطورة الاصابة بمرض الأيدز.

ومن المعروف أنّ هذا المرض شائع جداً بين الشاذين جنسياً، ولاسيما أُولئك الذين يقومون بتغيير شركائهم في العمل الجنسي بصورة منتظمة، وهو قابل للانتقال بين الرجل والمرأة وبالعكس، اذا قامت بينهما علاقة جنسية محرمة أو مشروعة، وكان أحدهما مصاباً بالمرض المذكور، كذلك تتم العدوى عن طريق عمليات نقل الدم إذا كان المتبرع بدمه مصاباً به. كما تسهل عمليات الملامسة انتقال المرض إذا كانت مناطق الملامسة مصابة بتقرحات أو صديد.

ولاحظ العلماء بأن المرضى المصابين بمرض الهيموفيليا الوراثي، الذي يمنع تخثر الدم، معرضون للاصابة بهذا المرض أكثر من غيرهم.

ولوحظ أيضاً بأنّ بعض الأجناس العرقية لها ميل طبيعي للاصابة بمرض الأيدز من دون أي سبب[١].

الزنا ومضاعفاته الاجتماعية:

١ـ إزدياد حالات الطلاق بين الأُسر التي تمارس العمليات الجنسية اللامشروعة.

٢ـ زيادة المشاكل الداخلية والشجار بين تلك العوائل والأفراد.

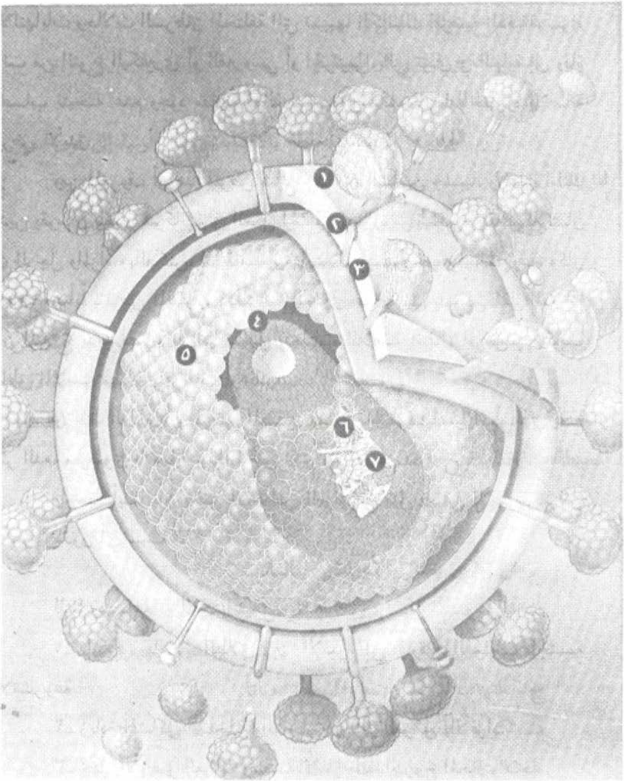
٣ـ تحلل الأواصر العائلية وتشتت الأُسر وانعدام روح المحبة والاخاء.

٤ـ بروز ظاهرة الشذوذ الجنسي بين النساء والرجال والاطفال.

٥ـ ازدياد نسبة الاصابات بالأمراض الزهرية.

---

(١) مجلة «المجلة» العدد ٨٣.



مخطط توضيحي لآخر ما نعرفه عن فيروس الايدز . يركز أكثر الباحثين اهتمامهم بكلا بروتيني اهالة (١) و (٢) المتموضعين مثل الدبابيس على غشاء جدار الفيروس (٣) يمثل الجسم الداخلي المخروطي النواة (٤) التي تحيط نفسها أيضا بهالة من البروتين (٥) تحتضن النواة الحمض الريبي النووي RNA لمادة الفيروس الوراثية (٦) والانزيم ترانسكريبتاز العكسي (٧) الذي يميز أسرة الفيروسات الارتجاعية .

تكمن مهمة هذا الانزيم في تحويل رسل الحمض الريبي النووي (RNA) إلى حمض ريبي نووي منقوص الاكسجين DNA بعد ذلك فقط يتسنى للفيروس زرع مورثاته في المادة الوراثية للخلية المتكوبة .



● لشمانيا الأغشية المخاطية سبب تشويه في منطقة الأنف



● اللشمانيا الجلدية في القدمين

٦ـ كثرة الإصابات بالأمراض النفسية بين تلك الأوساط التي تمارس الزنا والشذوذ الجنسي.

٧ـ انعدام التربية اللائقة للأطفال مما يؤدي بهم إلى الضياع.

٨ـ وجود رابطة قوية بين الزنا والادمان على المسكرات والمخدرات.

٩ـ زيادة حالات الاعتداء والقتل والانتحار ودخول السجون بين الأشخاص المنحرفين.

١٠ـ كثرة حالات الاجهاض بين الأواسط الشاذة والمنحرفة.

١١ـ حدوث تشوهات وأمراض كثيرة عند الأطفال المولودين نتيجة العلاقات الجنسية المحرمة.

١٢ـ انتشار العادة السرية.

١٣ـ زيادة ظاهرة الاعتداء الجنسي بين الممارسين للعمليات الجنسية الشاذة.

١٤ـ السقوط في مهاوي الخيانة والتجسس والعمالة.

١٥ـ تدني المستوى الدراسي والعلمي عند الأشخاص المنحرفين.

١٦ـ تدني مستوى العمل والانتاج لدى المصابين.

١٧ـ كثيراً ما أدى الشذوذ الجنسي إلى اعتناق التيارات والمبادىء الالحادية.

١٨ـ يؤدي العدد الضخم من المرضى إلى الحاق خسائر بالاقتصاد العام للبلد.

الزنا والأمراض الجسدية:ـ

نظراً للأجواء الخاصة التي يكثر فيها الزنا، وسرية الحياة التي يعيشها أولئك الذين يمارسون هذا العمل، إضافة إلى الأجواء النفسية المعقدة والسهر الدائم والتخبط في دوامات الفكر والخوف من المستقبل المجهول والقانون والعقاب، يجعلهم في شرود فكري وقلق شديد.

هذه الأسباب المتعددة والمتضاربة تؤدي إلى نشوء أمراض جسدية عديدة

بين صفوف تلك الشريحة الشاذة من المجتمع، خصوصاً وأن عادة التدخين وشرب المسكرات والمخدرات شائعة بينهم، مضافاً إليها أنْ عقدة الشعور بالذنب والخوف من المجتمع تجعلهم لايراجعون الأطباء والمراكز الصحية بالسرعة المطلوبة، مما يساعد على تفشي الاصابات المرضية بينهم بصورة كبيرة.

ومن هذه الأمراض ما يلي:ـ

١ـ التدرن الرئوي (السل).

٢ـ التهاب اللوزتين المزمن والقصبات والتهاب الرئة الفايروسي.

٣ـ الاصابة بالربو القصبي والحساسية.

٤ـ كثرة الإصابة بالأمراض المعوية كالتهاب المعدة وقرحة المعدة، واضطراب القولون المصحوب بالاسهال.

٥ـ الاصابة بمرض التيفوئيد.

٦ـ انتشار الأمراض الجلدية المختلفة كالقشرة الكثيرة الموجودة في الرأس والأجفان، والاصابة بمرض داء الثعلب، وكذلك مرض حبة بغداد أو اللشمانيا.

٧ـ السكتة القلبية الخفيفة والشديدة.

٨ـ الاصابة بمرض ضغط الدم.

٩ـ الاصابة بمرض السكر.

* * *

الموضوع الثالث
«الرضاعة في الاسلام»

لو أدرك الناس كافة معنى الاسلام، وفقهوا كنه ما يرمي إليه، لما بقي على وجــه الأرض يدين بدين آخــر، لأنــه مطلوب كل روح ومــرمــى كل قابلية، وأنشـودة كل استعـداد، ومطمأن كل إحساس، ومنتهى كل عقل من معنى الدين والإيمان، وهذا سر قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إلاّ كَافَّةً لِلنّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لايَعْلَمُونَ﴾[1].

ولولا أنَّ الاسلام دين ينطبق على كل قابلية واستعداد، ويلائم كل عاطفة وإحساس، لما كلف الخالق به عموم خلقه من إنس وجن، وهو سبحانه وتعالى القائل بلسان الرحمة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾[2].

فالقلب يشعـر بوجـود خالق هذا الكون البديع أقامه على هذا السمت المدهش، فتهتز في العقل عاطفة تعطفه لأن يتعقله ويدركه، فيستمين بالفكر في إيتائه تلك الأنشودة، فيجـول صاحبنـا الفكـر في فيافي التصورات فيعتضد بالخيال في شطحـاته، فيلبيه الخيال بنشاط بعد أنْ يعدّ كافة جنوده المعنوية، فتثور في داخلية الانسان ثورة تتيقظ لها سائر عواطف النفس وقواها، لأنَّ الموضوع ماس بها من أخص جهاتها، فتهب الحواس الخارجة أيضاً من سباتها، فتنظر العين إلى أبعد مدى تصل إليه، فإذا كلت وحسرت تركت ما بعد قواها لجياد التصور والفكر، فإذا عجزا دعوا الخيال لينفذ إلى حيث لم يصلا إليه، وهكذا حتى يصل الأنسان لتصوير خالقه بأكمل صورة يشعرها، ويهبه من الصفات أكمل ما يدرك أنه كمال.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

فإذا ارتقى عقله درجة أدرك أنه وصف إلهه وصوّره بما لا يحسن، فيصلح من خطئه.

ثم يرتقي عن ذلك أيضاً فيرجع للتغيير والتحوير. وهذا ما تريناه فلسفة التاريخ في جميع أطوار النوع الانساني، وليس هذا موضوع بحثنا، فإنا إنما نريد أنْ نصور لقارئنا الكريم صورة موجزة من صور انفعال قوى النفس وعواطفها لتأثيرات العقيدة بوجـود الخـالق، توطئة لإدراك كنه ذلك الأدب الإلهي الذي تهبه عقيدة التوحيد والتنزيه على سائر تلك القوى والعواطف.

ولهـاتـين العقيدتـين أثـر على نفس معتقدهما من جهة التأديب النفساني والتكميل الخلقي، لايدرك خطورته إلاّ مَنْ أُشرقت عليه لمعة من نوره وحفت به نفحة من جلاله. فهما إكسيران إلهيان، وروحان سماويتان، تنزلان من النفس الانسانية منزلة الشمس من سمائهـا، فتـطرد من دياجـير الـرعـونات البشرية وتزيل من أدران المقتضيات السفلية، مالا تستقل بوصفه الأقلام ولاتتطلع لمداه الأفهام.

ومتتبع القرآن الكريم يجد حشداً عظيمًا من الآيات التي تلفت نظر العقلاء بشدة إلى التأمل في كل شيء تتناوله يد البحث العلمي بالدراسة والتأمل، وحول هذه الأشياء تتجمـع حشـود العلوم الكونية، التي ينتقل الباحثون المنصفون المتتبعون للحقيقة من ظواهرها إلى الايمان بالله خالقها ومحكم نظامها، والايمان بعظيم صفاته جلّ وعلا، كما ينتفعون منها في مجال حياتهم الدنيا.

فيما يلي طائفة من النصوص الاسلامية الكثيرة التي تدفع الناس إلى البحث العلمي الشامل:

١ـ قولـه تعـالى في سورة البقرة: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾[1].

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

٢ـ وقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنا ٱلْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصيرُ﴾[1].

٣ـ وقوله تعالى في سورة الأحقاق: ﴿وَوَصَّيْنا ٱلْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[2].

٤ـ وقول الرسول الأكرم(ص): *«أفضل الغذاء للرضيع حليب أُمّه»*.

ففي هذه النصوص من كتاب الله وسنة نبيه (ص) دعوة إلى البحث العلمي بما يترتب على الرضاعة وما لحليب الأم من فوائد جليلة للطفل. وإنّها أفضل بكثير من الرضاعة الصناعية التي انتشرت وشاعت في مجتمعاتنا الاسلامية.

ومما هو بعيد عن الانصاف كل البعد اتهام الاسلام أو المسلمين بالجمود، لأنّ دوراً من أدوار الانحطاط أصاب الشعوب الاسلامية بالتخلف بعد أنْ تراكبت عليهم مجموعة من الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية فساقتهم إليه.

ويمكن وصف هذه الأسباب والعوامل جميعها بأنها أُمور دخيلة عليهم، وليست من جوهر تعاليم الاسلام، ولا مِنْ أُسس تربيتهم الأسلامية التي توارثوها من منبعها الأساسي الذي تفجر مع فجر الاسلام بالخير والخصب والعلم، وبكل عمل نافع، وبكل تقدم حضاري كريم، وكل حياة سعيدة رغيدة طاهرة من الاثم والشر والفساد في الأرض.

هذه التربية الاسلامية التي قام عليها أول الأمر رسول الله (صلوات الله عليه وآلـه)، ثم تلاميذ مدرسته التاريخية من بعده، فقدّمت للعالم معجزة تأريخية لا تطاولها معجزة أُخرى.

هذه هي التربية العجيبة التي استطاعت أنْ تحول في ربع قرن شعباً متخلفاً في ثقافته وحضارته ومدنيته، فتجعل منه شعباً قائداً رائداً للعالم المتحضر يومئذ، فاتحاً

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٢) سورة الاحقاف: الآية ١٥.

فكره للعلم وقلبه للانسانية جمعاء، ونفسه لحب الخير والسعي إليه حيث كان، ومقدماً جميع قواه وطاقاته للعمل المثمر في سبيل مجد الانسانية وسعادتها الدنيوية الأُخروية، وفي سبيل تحرير الانسان من العبوديات المختلفة، وربطه ـ فقط ـ بعبوديته للقوة القاهرة، العليمة الحكيمة غير المتطورة، وهي العبودية لله وحده لا شريك له، وهي العبودية الاعتقادية والعملية الموافقة للحقيقة التي عليها واقع كل مخلوق.

فدار بهم الزمن آنئذٍ دورة حضارة راقية خالية من الشر والإثم والضر، ورافقتها أفضل مدنية عرفتها تلك العصور، فلم يدعوا مجالاً من مجالات المعرفة التي تيسرت لهم حينئذ إلاّ خاضوا غماره، ولا ميداناً من ميادين السبق العلمي إلاّ كانوا مجلين فيه، بينما كانت أوروبا وسائر الشعوب تغط في نوم التخلف العميق، وظلام الجهل الدامس. وشواهد ذلك كثيرة جداً، من النصوص الاسلامية، والتاريخ الصحيح.

أضافت الرضاعة الصناعية مشكلة جديدة إلى المشاكل الاجتماعية والصحية التي تعصف بمجتمعاتنا الاسلامية. بعد أنْ تركت تعاليم القرآن الكريم وما جاء به من إرشادات صحية، وتوجيهات اجتماعية، مما يؤكد أنَّ الارضاع الطبيعي هو الأفضل والأصلح لتكامل الاسرة، وحلقة قوية من حلقات الصرح الأُسروي السعيد.

فالرضاعة شوق الأُم لرضيعها واشتياق الرضيع لصدر أُمه. فهي عملية حب وشوق إلهي لايحس بها إلاّ الأُم والرضيع، حيث تتجلى فيها أسمى المعاني الانسانية التي غرزها الله في قلب الأُم وعقلها وشعورها.

وبالجملة، هي المعجزة التي تتكرر على مر العصور، لكي تثبت للانسان أنَّها سر إلهي للذي أتقن كل شيء.

وبعد التنبيه إلى هذه الرضاعة الطبيعية لابُدَّ أنْ نلفت النظر إلى أنَّ المرأة عنصر هام من عناصر المجتمع الاسلامي، المسؤول عن بناء الحضارة الاسلامية بناءً

واقعياً، على أُسسها الفكرية الراسخة، ولذلك يجب العناية بها عناية كبرى، وإعداد المجتمع النسائي المسلم الذي يحمل نصيبه من العمل لاقامة البناء الحضاري المطلوب بهمة وصدق وإخلاص.

وبعد أنْ تبينّا موقف الاسلام من الابتكار والتحسين في مختلف مجالات الحياة، لابدَّ أنْ نقضي العجب من الذين يفترون على الاسلام فيقولون: نريد أنْ نتخلص من القيود الاسلامية لندخل في عالم الصناعة الحديثة والاختراع والابتكار من أوسع الأبواب، كأنَّ الاسلام في نظرهم عدوّ الصناعة والاختراع والابتكار.

قرأت ما كتبه المنصفون من أبناء الغرب الناقمون على واقع حياتهم وما وصلوا إليه، هذه أُستاذة في جامعة (انديانا) وصلت إلى مركز لايحلم بمثله الرجال.. تقول بعد أنْ بلغت (٥٠) عاماً من عمرها: كنت أسير خلف سراب الأوهام وما يرسمه لنا الرجال بالمشاركة العملية والمساواة بهم، فأدركت بعد أنْ وصلت إلى هذه المكانة أنهم يضعوننا أُلعوبة يتلهون بنا، فبعد أنْ ذبل العود أو كاد لم أجد تلك الكلمات الرنانة.. إن أُمنيتي في الحياة أنْ أسمع أحلى نغمة تقرع سمع المرأة «ماما» وأنْ أستقر في بيت تظله الأُسرة وحنانها.. ولكن ماذا.. بعد فوات الأوان؟؟..

وأُخرى في مدينة (لوس انجلوس) الأمريكية لايسعفها من المرض الذي تسبب عنه إغماء عند باب شقتها إلاّ طالب مسلم ينقلها للمستشفى، وعندما سئلت عن أولادها إذا هم من علية المجتمع: أُستاذ جامعي، طبيب، صاحب محل تجاري، بنتان متزوجتان وتسكنان بجوارها في نفس الشارع، ولكنها لم ترَ هؤلاء من أكثر من سنة.. لسبب واحد لأنها في أول حياتها انصرفت عنهم بالعمل فضعفت الرابطة، وشعروا بعد الامتزاج بفقدان الحنان في الصغر.

ولهذا نرى أنَّ العدول عن الرضاعة الطبيعية يسبب خللاً واضحاً في العلاقة بين الأُم ورضيعها، وفتوراً في المشاعر والأحاسيس.

واليوم بدا جلياً بعد الدراسات الطويلة والأبحاث العديدة في الحقول الطبية،

أنّ ما جاء به القرآن حول الرضاعة الطبيعية من الأُم هو الأفضل والأحسن.

فشكراً لله على إرشاده لنا ولطفه الدائم علينا.

فوائد حليب الأُم:

أولاً ـ (مالية): فالرضاعة من الأُم لاتكلف العائلة، خصوصاً إذا كانت العائلة متوسطة الدخل، أو فقيرة لايمكنها شراء الحليب.

ثانياً ـ (عملية وطبية) للأسباب التالية:

١ـ حليب الأُم هو الغذاء الطبيعي للطفل التام الولادة، خصوصاً في الأشهر الاولى من العمر.

٢ـ يتميز بدرجة حرارة مناسبة، حيث لا يتطلب وقتاً لتحضيره سواء في الليل أو النهار.

٣ـ طازج وخالٍ من الجراثيم التي تلوث الغذاء، لذا تقل الأصابة بأمراض الجهاز الهضمي التي تصيب الأطفال، ممّا جعل نسبة الوفيات لديهم قليلة إذا ما صاحبتها عناية طبية وصحية جيدة من قبل العوائل ذات الدخل المحدود.

٤ـ تناول حليب الأُم لا يؤدي للأصابة بأمراض: الحساسية، والاسهال، والنزف المعوي، التي يتعرض لها الأطفال الذين يتناولون حليب البقر.

٥ـ يحتوي حليب الأُم على مضادات البكتريا والفايروسات بنسبة عالية، تمنع التصاق مسببات الامراض او تواجدها في جدران الأمعاء. كما يعطي مناعة موضعية للمعدة والأمعاء ضد المكروبات التي تدخل الجسم عن طريق الفم.

٦ـ يحتوي حليب الأُم خصوصاً في الأيام الأُولى على خلايا آكلة لها القابلية على صنع أنزيمات خاصة تعمل على تدمير المكروبات وشل فعاليتها، حيث ثبت أنّ بعض تلك الأنزيمات لها القدرة على شل فعالية ونمو مكروب (E.coli) الذي يعتبر أحد العوامل الرئيسية التي تسبب الاسهال لدى الأطفال الرضع.

٧ـ مدفوع الأطفال الذين يتناولون حليب الأُم ذو حامضية عالية (LoW PH) أكثر من مدفوع الأطفال الذين يتناولون حليب البقر، ممّا جعله عاملاً مهمّاً في الحد من نمو بعض المكروبات في أمعاء الأطفال الرضع، على العكس من الذين يتناولون حليب البقر، حيث تقل الحامضية ممّا تساعد على نمو وتكاثر المكروبات التي تلعب دوراً كبيراً في الاصابة بأمراض الاسهال المختلفة.

٨ـ حليب الأُم يحتوى على عامل يساعد على نمو ودعم الزمرة الجرثومية الطبيعية للأمعاء (Flora) التي لها دور فعال في امتصاص بعض الفيتامينات وغيرها من العناصر الغذائية، بينما الرضاعة الصناعية تسبب اضطراباً في تلك الزمرة.

٩ـ يزود حليب الأُم ـ التي تتناول الغذاء الكافي الجيّد ـ رضيعها بما يحتاجه من مواد غذائية كافية، خصوصاً فيتامين (D) الضروري لنمو العظام، وكذلك (معدن الحديد) على الأخص في الأشهر الأُولى وحتى الشهر التاسع.

١٠ـ الحديد الموجود في حليب الأُم يكون سهلاً وسريعَ الامتصاص من خلال أمعاء الرضيع، فعلى هذا لاحاجة للرضّع الذين ينمون على (الرضاعة الطبيعية) إلى إضافة عنصر الحديد إلى غذائهم في السنة الأُولى من العمر.

١١ـ يحتوي حليب الأُم على كميات كافية من فيتامين (C) الضروري لفعاليات الرضيع النامي.

١٢ـ يكون حليب الأُم متوازناً في كميات الأملاح الموجودة فيه: كأملاح الحديد، والزنك، وفيتامين (E)، والشحوم الأُسيدية غير المشبعة.

١٣ـ يكون حليب الأم ذا ضغط (إوزموزي) أو (ترشحي) واطىء، وهذا ما يجعل من عملية جذبة من قبل أمعاء الرضيع أسهل من حليب البقر.

ثالثاً ـ (فوائد للأُم):

١ـ يقوم الطفل بمص حلمة ثدي الأُم أثناء عملية الرضاعة، ممّا يؤدي إلى عمليات إنعكاسية تُفيد في عملية رجوع الرحم إلى حجمه الطبيعي قبل الحمل

والولادة، كما يؤدي إلى تقليل كمية الدم النازف بعد الولادة.

٢ـ دلت الاحصاءات والبحوث العلمية على أنَّ النساء اللاتي يرضعن أطفالهن أقل تعرضاً للاصابة بـ(سرطان الثدي) وثبت بالأدلة أنَّه يصيب العذارى أكثر من المتزوجات، ويصيب المتزوجات غير المرضعات أكثر من المرضعات، إضافة إلى أنَّ نسبة الاصابة في المتزوجات القليلات الولادة أكثر منها في الولودات.

وهذا برهان قاطع على أنَّ المرأة كلما أكثرت من الارضاع قل تعرضها لسرطان الثدي.

٣ـ تعتبر الرضاعة من ثدي الأُم أحد الوسائل التي يتم فيها تنظيم النسل، لأنَّ الرضاعة تؤدي إلى انقطاع (الدورة الشهرية) لدى المرأة بصورة طبيعية، دون اللجوء إلى وسائل منع الحمل الأُخرى: كالحبوب، والحقن، واللوالب التي لها مضاعفات عديدة على المرأة.

و(ميكانيكية): ذلك أنَّ مص حلمة ثدي الأُم من قبل الرضيع يؤدي إلى إفراز هرمون البرولاكتين (Prolactin) من قبل الغدة النخامية، وهذا بدوره يعمل على إنقاص الكميات المفرزة من هرمونات المنميات التناسلية (Gonadotr Ophin) المسؤولة عن التغيرات الدورية في المبيض، ويحصل هذا عند حوالي (٥٠٪) من النساء المرضعات.

٤ـ تجبر الرضاعة الأُم المرضعة على المكث والتواجد في البيت لاشباع رضيعها والعناية به، ويحول بين خروجها منه خصوصاً السفر وذلك في السنة الأُولى، مما يُقوي الروابط العائلية بين أفراد الاسرة، ويساعد على حل مشاكلها بسهولة. وتكون عاملاً مهمًا في توطيد الوئام وزيادة المحبة بين الزوجة المرضع وزوجها.

رابعاً ـ (فوائد نفسية):

١ـ تعتبر عملية إعطاء الحليب، وإرضاع الأُم لوليدها، عملية نفسية مرضية للأُم والوليد.

٢ـ ينتاب المرأة التي ترضع وليدها شعور عميق، فتصبح ذات أهمية خاصة

بالنسبة إليه، حيث يقع على عاتقها عمل مهم وخطير يؤدي بالنتيجة إلى تقوية العلاقة بينهما، جراء الاحساسات الروحية.

٣ـ دلت الدراسات على أنّ مسك الرضيع ولمسه بعطف وحنان، وتبادل النظرات الودية أثناء عملية الرضاعة، يعتبر ذا أهمية كبرى من الناحية النفسية، لأنه ينمي العلاقات الروحية بينهما ويوثقها، بينما تنعدم تلك المشاعر والاحساسات عند الأُم التي لاترضع وليدها.

٤ـ يشعر الطفل بالارتياح والانبساط عندما تحتضنه الأُم أثناء عملية الرضاعة، وتقوم بلمس أطراف وجهه، ثم خده الأيمن أو الأيسر تبعاً لموقعه في حضن الأُم، عندها يلتفت الرضيع نحو صدر أُمه، ويجعل فمه مقارباً لحلمة ثديها، فيبدأ أولاً بلعقهاثم مصها ليبدأ الرضاعة بفعالية ونشاط.

وهذه الحركات الودية (الفيزيولوجية والنفسية) تعتبر من العوامل المهمة في إفراز هرمون (Prolactin) الذي يساعد في تكوين الحليب وإفرازه.

٥ـ ردود الفعل على (البكاء) أغلبها سلبي عند عموم البشر إلّا في حالات الرضاعة، حيث يكون إيجابياً من قبل الأُم التي تبذل كل شيء وهي تحاول إسكات رضيعها، فتقوم بمختلف الحركات والأصوات التي يتخللها العطف والمحبة كي تهدئه ليعود من جديد لارتشاف حليبها.وحينئذ تشعر بالرضى والراحة وهي تؤدي أسمى المواقف الانسانية وأروعها(١).

جاء في كتاب (توحيد المفضل) الذي أملاه الإمام أبي عبدالله الصادق(ع) على المفضل بن عمر الجعفي ما يلي: «*اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة، إنْ بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز*

---

(١) Nelson text book of pediatrics.

أنْ يكـون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لايعرفان ذلك، فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأُمور مرضاته لئلا يبكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبـة، فهكـذا يجوز أنْ يكـون في كثير من الأشياء منافع لايعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه، من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون، وكثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين وهو محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأُمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى البله والجنون والتخليط، إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفـالـج واللقـوة وما أشبهها، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم، فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي في معصيته، فسبحـانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه، تعالى عمّا يقول المبطلون علواً كبيراً»[1] .

العوامل المؤثرة على الرضاعة:ـ

١ـ نسبة نمو الرضيع.

٢ـ جنس الرضيع.

٣ـ مراحل نمو الرضيع.

٤ـ الطاقة المصروفة.

٥ـ بناء جسم الرضيع.

---

(١) توحيد المفضل ص٥٣.

٦ـ يجب أنْ يحتوي الغذاء على السعرات الحرارية الضرورية التي تتناسب مع طول الرضيع، ووزنه، ومقدار شهيته.

٧ـ يجب أنْ يحتوي الغذاء الطبيعي للرضيع على ما يقرب من (٥٠٪) سعرة حرارية من (النشويات) و(٣٥٪) سعرة حرارية من (الشحوم) و(١٥٪) سعرة حرارية من (البروتينات) إضافة إلى مقدار من (الفيتامينات) و(الأملاح)، وهذه المواد موجودة بشكل طبيعي ومتوازن في حليب الأُم، الذي لا يقارن بحليب البقر أو أي حليب آخر.

شروط الرضاعة:ـ

١ـ يجب أنْ تبدأ الرضاعة في اليوم الثالث أو الرابع حينما يتضخم ثديا الأُم ويبدأ الحليب بالانتاج، لأنَّ الرضعات الأُولى تحوي مادة الكولوسترم (Colostrum) ذي الأهمية المناعية الخاصة التي ثبت علمياً أنها تحوي الكثير من المضادات التي تمنع إصابة الطفل بالأمراض المعدية خلال الأشهر الستة الأُولى.

و(الكـولوسترم): هو مادة صفراء قلوية تتكون وتتواجد في ثديي الأُم في الأشهر الأخيرة من الحمل والأيام (٢ـ٤) بعد الولادة، وهي ذات كثافة عالية، تحوي على كميات عالية من البروتينات، وفيتامين (A) والأملاح، أما السكريات والدهون فهي أقل نسبة ممّا في الحليب العادي للأُم.

٢ـ يجب أنْ تكون الأُم سعيدة، ومسترخية الأعصاب والذهن، لأنَّ الخوف وعدم الارتياح والازعاج يقلل من كمية الحليب، ويفسد العلاقة بين الأُم والرضيع.

٣ـ يؤثر التعب الشديد على فعالية الأُم، وينعكس على عملية الرضاعة، حيث تقل كمية الحليب ونوعيته.

٤ـ يجب على الأُم تنظيف ثدييها وغسلهما يومياً مع الاحتفاظ بمنطقة الحلمة ومحيطها جافاً ونظيفاً.

٥ـ يتحتم على الأُم أنْ تتناول الغذاء الكافي ذا النوعية الجيدة، والذي يحتوي

على المواد الضرورية لإدامة فعاليات الأم، ويساعد على توليد الحليب اللازم للرضيع.

٦ـ يجب أنْ تتم الرضاعة وفق الطرق العلمية والصحية والنفسية التي تضمن قيام الرضيع بها بطريقة سهلة ومساعدة، بعد تهيئة الرضيع ووضعه في حجر الأُم ليقدم إليه الثدي بالصورة المرضية التي تمكنه من الرضاعة ومص الحليب على أحسن وجه.

٧ـ يجب السماح للرضيع بأنْ يرضع من كلا الثديين حتى يتم تفريغهما من الحليب، لأنها الطريقة المثلى التي تساعد على إعادة تكوين الحليب فيهما مجدداً وتضمن إشباع الرضيع.

٨ـ الرضاعة المثالية للرضيع مرة كل ساعتين أو ثلاث، ويسمح فيها بمص الثدّيين حتى يتركهما من تلقاء نفسه.

٩ـ يُفطم الرضيع على الأغلب بعد مرور سنة ونصف أو سنتين، حسبما ورد في القرآن الكريم، إذا كانت حالة الأُم الصحية جيدة وطبيعية.

١٠ـ ينصح بعدم تناول الأدوية والعقاقير التي تنتقل إلى الرضيع عن طريق الحليب، لأنَّ ذلك يؤدي إلى مضاعفات ومشكلات صحية تؤثر على سلامة الرضيع وحياته، وكذلك عدم تناول الأدوية والمركبات الكيمياوية التي تؤثر على إنتاج الحليب وتقلل من كمياته ونوعيته.

الموانع الصحية للرضاعة من الأُم:

١ـ (موانع مؤقتة):

أ ـ إصابة الرضيع بحساسية جلدية نتيجة الرضاعة من الأُم، وفي هذه الحالة يجب التعرف عن السبب والعمل على إزالته، كي يتمكن الرضيع من الاستمرار في الرضاعة.

ب ـ إنقلابْ حلمة ثديي الأُم.

ج ـ وجود شقوق في حلمة ثديي الأُم.

د ـ التهاب ثديي الأُم.

هـ ـ إصابة الأم بأمراض حادة: كالتهاب اللوزتين، والقصبات، مع ارتفاع شديد في الحرارة.

٢ـ (موانع دائمة):

أ ـ تسمم دم الأُم.

ب ـ التهاب الكليتين الحاد.

ج ـ تسمم الحمل عند الأُم.

د ـ النزف الدموي الشديد مع الهزال والضعف العام.

هـ ـ الإصابة بمرض السل الحاد.

و ـ الاصابة بمرض التيفوئيد.

ز ـ الاصابة بمرض حمى مالطا.

ح ـ الاصابة بمرض الملاريا.

ط ـ الاصابة بحالات عصبية حادة.

ك ـ الاصابة بصدمة نفسية حادة بعد الولادة.

ل ـ حدوث الحمل عند الأُم.

مقارنة بين حليب الأُم وحليب البقر:

الجدول الآتي يتضمن مقدار مكونات الحليب في كل (١٠٠) سعرة حرارية:

المادة	حليب الأُم	حليب البقر
البروتينات	١,٥ غم	٥ غم
الدهنيات	٥ غم	٥,٧ غم
السكريات	١٠,٣ غم	٧,٣ غم
فيتامين A	٢٥٠ وحدة دولية	٢١٦ وحدة دولية
فيتامين D	٣ وحدة دولية	٣ وحدة دولية

فيتامين E	٠,٣ وحدة دولية	٠,١ وحدة دولية
فيتامين K	٢ ميكروغم	٥ ميكروغم
فيتامين C	٧,٨ ملغم	٢,٣ ملغم
ثيامين	٢٥ ميكروغم	٥٩ ميكروغم
رايبو فلافين	٦٠ ميكروغم	٢٥٢ ميكروغم
نياسين	٢٥٠ ميكروغم	١٣١ ميكروغم
فيتامين B6	١٥ ميكروغم	٦٦ ميكروغم
فولك أسيد	٤ ميكروغم	٨ ميكروغم
فيتامين B12	٠,١٥ ميكروغم	٠,٥٦ ميكروغم
الكالسيوم	٥٠ ملغم	١٨٦ ملغم
الفسفور	٢٥ ملغم	١٤٥ ملغم
المغنسيوم	٦ ملغم	٢٠ ملغم
الحديد	١/٥ ملغم	٥٨/٥ ملغم
اليود	٤ـ٩ ملغم	٧ ملغم
النحاس	٦٠ ميكروغم	٢٠ ميكروغم
الزنك	٠,٥ ميكروغم	٠,٦ ميكروغم
المنغنيز	١,٥ ميكروغم	٣ ميكروغم
الصوديوم	١ MEq.	٣,٣ MEq
البوتاسيوم	٢,١ MEq.	٦ MEq
الكلور	١,٦ MEq	٤,٦ MEq
درجة الترشح	١١,٣ MOSM	٤٠ MOSM [1]

(١) Current pediatric diagnosis and treatment.

●[قاعدة لطيفة مأخوذة من علم التجزئة]●

اعلم أن لبن الانسـان يختلف في كمية أجـزائـه الـلازمة المركبة بحسب الأشخاص، والنوع، وكيفية التغذية، ومدة الرضاع، وهكذا لبن البقرة والحمار والشاة، وآخر تدقيق لهم في هذا الباب، وفي تعيين كمية أجزائها ما نذكره مفصلاً في هذا الجدول:

الكيل منه يقسم بمائة ألف قسمة بالفرض	لبن الانسان	لبن البقر
أجزاؤه المائية	٨٧١٦٣	٨٧٠١٢
أجزاؤه الدسومية	٤٢٨٣	٤٢٠٩
أجزاؤه الجبنية وبياض البيض	١٠٤٦	٣٢٥٢
أجزاؤه السكرية	٧٤٠٧	٥٠٠٠
أجزاؤه من الأملاح المعدنية	١٠١	٥٢٧[١]

●[قاعدة أُخرى في إرضاع الطفل من لبن البقر]●

ينبغي للمربية أنْ تلاحظ هذه القاعدة، وهي أنَّ ألبان البقر لما كانت غليظة تحتاج إلى تمزيج الماء فيها عند تناول الطفل منها بهذا الترتيب:

(في الشهر الأول) من الولادة: كيل من اللبن وكيلان من الماء.

(وفي الشهر الثاني): كيل من اللبن وكيل من الماء.

(وفي الشهر الثالث): كيل من اللبن ونصف الكيل من الماء.

(وفي الشهر الرابع إلى الخامس): كيل من اللبن وثلث من الكيل من الماء.

(وفي الشهـر السـادس إلى آخر الرضاع): يرتضع من خالص اللبن ولا يمتزج بالماء، بل يحتاج في كل خمسين مثقالاً من اللبن تمزيج مثقالين من السكر الأبيض [٢].

---

(١) و(٢) ريحان المجالس وتحفة المؤانس: للبحاثة المتتبع الاستاذ السيد طالب الخرسان.

الموضوع الرابع
(الاسلام دين الصحة والنظافة)

قال تعالى:

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ﴾[3].

﴿يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلاةِ فَٱغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَٱطَّهَّرُوا﴾[4].

﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾[5].

وقال الرسول الاكرم(ص):

«الوقاية خير من العلاج».

«الحمية رأس كل داء».

«النظافة من الإيمان».

«تنظفوا فإنّ الإسلام نظيف».

«إنّ الله يبغض الوسخ الشعث».

«إنّ الله جميل يحب الجمال، سخي يحب السخاء، نظيف يحب النظافة».

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦.

(٥) سورة المدثر: الآية ٤.

حقاً ، إنَّ الاسلام دين النظافة، دين الوقاية، دين الصحة والحياة. فقد تميَّز على سائر الأديان الأُخرى بتكامله وشموليته .

غذّى بعطره كافة جوانب الحياة الانسانية، وخصوصاً الصحيّة منها، وهذا مانجده في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي ترشد الانسان إلى أهمية البيئة والنظافة.

أمّا بالنسبة للرسول الأكرم(ص) وهو القرآن الناطق، فقد كان له دور بارز ومتميز في هذا المضمار، فلم يترك صغيرة وكبيرة لها علاقة بالصحة والنظافة إلاّ وأشار اليها في أحاديثه العديدة، وهدفه (ص) من ذلك هو خلق مجتمع إسلامي، يمثل النموذج الحي لما أراده الاسلام من بني البشر.

وكانت أحاديثه (ص) علمية وجامعة أنارت الضوء، ومهدت الطريق للمسلمين، لكي يكونوا سادة الأُمم إنْ هم أخذوا ما فيها وطبقوها على واقعهم وحياتهم العامة والخاصة.

وكيف لا؟ وهي علوم إلهية تحاكي العلم والزمن وتسايرهما.

نظافة المدينة: من الأهداف الاسلامية الأُولى هي بناء مجتمع عصري نظيف، وإنسان متكامل، من النواحي: النفسية، والجسدية، والمادية. فقد ركز القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة على هذه الناحية.

فأعطى القرآن الكريم البيئة أهميتها ومكانتها في عملية بناء المدن.

وكان الرسول(ص) يوصي المسلمين بضرورة الاهتمام بنظافة المدن وتخطيطها، وخير مثال على ذلك: مابناه المسلمون من مدن كثيرة في الأقطار الاسلامية، حيث كانت تلك المدن جيدة من ناحية، الموقع والمناخ، وقريبة من مصادر المياه، وإشرافها على الطرق الرئيسية المهمة.

أما الشجرة فلها موقعها وأهميتها في الاسلام، فقد كان الرسول الأعظم(ص) ومن بعده الصحابة والأئمة الأطهار، يوصون القادة بضرورة الحفاظ على الأشجار ورعايتها وعدم قلعها أو حرقها، وبالخصوص الأشجار المثمرة.

كما أولى الاسلام العناية بمصادر المياه، كالأنهار والعيون والآبار، فأوصى بعدم رمي الأوساخ فيها، مؤكداً على ضرورة بناء عازل - ترابي او طيني - حول العيون والآبار، ليكون بمثابة سياج او سور يمنع التلوث.

فقد اعتبرت التعاليم الاسلامية المياه القليلة الراكدة غير طاهرة، وملوثة من الناحية الصحية، كما أوصى الاسلام بدفن الموتى بدون تأخير معللاً أنّ بقاء جسد الميت يصبح عرضة للتفسخ وانتشار الأمراض. أما الجيف الناتجة عن موت الحيوانات المختلفة، فكانت تدفن خارج المدن وبسرعة.

نظافة البيت: لقد خصّ القرآن الكريم نظافة البيت بآيات عديدة:

﴿وَأَوحينا إلى موسىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

﴿وَمَساكِنَ طَيِّبَةً﴾[٢].

كما أشـار الـرسول العظيم(ص) في أحاديثه الشريفة إلى ضرورة نظافة البيوت، باعتبار أنّ النظافة من صفة المسلم، ونبه إلى المضار الصحية العديدة إثر تواجد الحيوانات داخل البيوت، فقال (ص):

«إنّ الملائكة لاتدخل البيوت التي فيها الكلاب».

وقد ثبت علمياً وطبياً، أنّ الحيوانات، وخصوصاً الأليفة منها، التي تتواجد في البيوت، هي من العوامل المباشرة أو وسائط لنقل الأمراض والاصابة بها.

وتطرقت الأحاديث النبوية الشريفة إلى أهمية المرافق الصحية في البيت، واعتـبرت ذلك من الضروريات، لأنها تستر عورة المسلم، وستر العورة واجب في الاسلام، فقد منع الاسلام الفرد المسلم من كشف عورته أثناء التبول أو التغوط. كما حبب الاسلام المنزل الواسع النظيف، مؤكداً على ضرورة تنظيفه وكنسه يومياً لكيلا يكون مصدراً للتلوث والأمراض.

---

(١) سورة يونس: الآية ٨٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

فقال رسول الله(ص): «*اكنسوا أفنيتكم ولاتتشبهوا باليهود*».

وقال الإمام الصادق(ع): «*كنس البيوت ينفي الفقر*».

وقال (ع): قال رسول الله (ص): «*سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع*».

وقال الرسول الأكرم(ص) في وصيته لأمير المؤمنين الامام علي(ع): «*مكروه أنْ يدخل الرجل بيتاً مظلماً إلّا مع سراج (نور)*»[1].

وقال (ص) ايضاً: «*أجيفوا أبوابكم، وخمروا آنيتكم، وأوكوا أسقيتكم، فإنَّ الشيطان لايكشف غطاءً، ولايحل وطاءً، واطفوا سراجكم فإنَّ الفويسقة ـ أي الفأرة ـ تضرم البيت على أهله، وأحبسوا مواشيكم وأهليكم من حين تحجب الشمس، إلى أنْ تذهب محمة العشاء*».

وقال (ص): «*إذا آوى أحدكم إلى فراشه فليمسحه بضفة أزاره، فإنَّه لايدري ماحدث عليه بعده*».

وقال أمير المؤمنين علي(ع) وهو يوصي بتنظيف البيوت والعناية بها: «*بيت الشياطين من بيوتكم بيت العنكبوت*».

وقال (ع) أيضاً: «*إنه كره أنْ يبيت الرجل في بيت ليس له باب أو ستر*».

نظافة الملابس : تعتبر الملابس دليلاً واضحاً على شخصية الفرد المسلم ونظافته، فهي مظهر من مظاهر تكامله الشخصي، فإذاً كانت الملابس نظيفة فهي برهان على أنَّ صاحبها نظيفٌ أيضاً في داره ومكان عمله.

فالملابس النظيفة تخلو من رائحة العرق والنتن، وخالية من الجراثيم العالقة بها، لأنه ثبت علمياً أنَّ الملابس وسيط لنقل الأمراض من وإلى الانسان، لذلك وجبت نظافتها من حين لآخر. في حين أنَّ ارتداء الملابس الوسخة دليل على ضعف الايمان. فقد جاء في القرآن الكريم قوله تبارك وتعالى:

---

(١) لأن الظلام له تأثيرات نفسية على روح الإنسان، ودليل على عدم الإهتمام بنظافة المسكن.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَٱلطَّيِّباتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[١].

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢]

﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣]

وقال الرسول الأعظم(ص):

«البسوا البياض، فإنّه أطيبُ وأطهر، وكفنوا فيه موتاكم».

«بئس العبد القاذورة».

«طي الثياب راحتها، وهو أبقى لها».

«اخلعوا نعالكم عند الطعام، فإنّه سنة جميلة، وأروح للقدمين».

هذا وقد نهىٰ صلوات الله عليه وآله عن مسح اليد بثوب الغير، لأنّ ذلك لايليق بالمسلم، وهو عامل من عوامل نقل الأمراض بين المجتمع.

وقال الإمام علي(ع):

«ليتزين أحدكم لأخيه المسلم، كما يتزين للغريب الذي يحب أنْ يراه في أحسن الهيئة».

«البسوا ثياب القطن، فإنّه لباس رسول الله(ص) وهو لباسنا».

وقد ثبت علمياً وطبياً، أنّ الملابس القطنية على عكس الملابس الصوفية خفيفة، ولاتؤدي إلى نشوء الحساسية الجلدية عند الأفراد الذين يرتدونها، فهي سهلة الحمل والغسل، وأقل تعرضاً للاحتراق.

وقال (ع):*«تشمير الثياب طهور لها، وثيابك فطهر (أي فشمر)».*

«غسل الثياب يذهب الهم والحزن، وهو طهور للصلاة، وتشمير الثياب طهور لها».

«استجادة الحذاء وقاية للبدن، وعون على الصلاة والطهور».

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٣٢.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٣١.

(٣) سورة المدثر: الآية ٤.

وكـان أمـير المؤمنين الامام علي(ع) يؤكد على ضرورة لبس الحذاء صيفاً وشتاءً، فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة صدق رأي الامام (ع)، حيث تبين أنَّ الكثير من الطفيليات والمكروبات، تدخل الجسم عن طريق الأقدام الحافية، ولبس الحذاء يمنع ذلك، ويقي الانسان من الاصابة بالأمراض المختلفة.

وقال الامام الصادق (ع):

«ثـلاثـة أشياء لايحاسب الله عليها المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه».

«لا بأس أنْ يكون للرجل عشرون قميصاً».

[نظافة الجسم]

أولاً: الأغسـال المسنونة: خلق الله الانسان من روح وجسد، فكما يعتبر الايمان والعلم غذاء الروح، فإنَّ النظافة والطعام هما غذاء الجسد. لذا يتوجب غسل البدن بصورة دائمة كي نمنع عنه الأمراض العديدة، والمضاعفات المختلفة.

ولـو تفحصنـا جسم الانسان لوجدناه مدينة صناعية كبيرة، تقوم بأنواع الفعاليات من هدم وبناء، وذو درجة حرارية ثابتة، ويتم ذلك بواسطة ملايين الغدد العرقية والدهنية الموجودة في الجلد.

وهذا التعرق والتبخر المستمر في الجسم إذا لم ينظف ويُزال، فسوف يؤثر على الجسم، وتنتـج عنه أمراض جسدية وجلدية عديدة منها: نشوء حساسية في الجلد، وبروز الأمراض الجلدية كالفطريات، والعفنيات، وانسداد أنابيب الغدد الدهنية. ممّا يؤدي إلى كبرها بشكل غير طبيعي، والتهابها، إضافة إلى حصول اختلال بسيط في درجة حرارة جسم الانسان، ناهيك عن حصول رائحة كريهة عند الانسان، تشمئز منها النفوس عند الاقتراب منه.

لهذا فقد ركز الاسلام على سنة الغسل والنظافة، وجعلها سنة من السنن

الاسلامية العديدة. ويعتبر الغسل بعد الجنابة والجماع من الضروريات الصحية، والواجبات الدينية، لما لهُ من فوائد عديدة، فعملية الجماع عملية شاقة، تصرف فيها طاقة كبيرة، وتشارك فيها معظم أجهزة الجسم، وتفرز فيها هرمونات مختلفة، ممّا يؤدي إلى تعرق جسم الانسان بصورة كبيرة، وهذا العرق إذا ترك بدون غسل، يؤدي إلى ظهور رائحة كريهة من جسم الانسان لاتليق به كمسلم نظيف يريد التوجه إلى الله، أو مقابلة الناس.

وقد ثبت اليوم علميّاً أنّ الدم سريع التفسخ والتلوث، فبقاؤه على جسم الانسان يجعله عرضة للاصابة بالأمراض، إضافة إلى رائحته غير المقبولة. ولهذا اشترط الاسلام الغسل على الحائض والنفساء ـ المرأة التي ولدت حديثاً ـ والطفل المولود، أو بعد حدوث نزيف دموي عند الانسان، أو سقوط الدم بكميات كبيرة على جسم الانسان، سواء أكان الدم إنسانياً أو حيوانياً؟

أما عملية الوضوء التي تكرر خمس أو ثلاث مرات يومياً، فإنّها مثال رائع على عظمة الاسلام، باعتباره دين النظافة، علماً بأنّ الوجه واليدين والقدمين من أكثر الأعضاء تعرضاً للأوساخ والتلوث. كما أنّ المضمضة والاستنشاق اللذين يصاحبان الوضوء وسائل يومية لتنظيف الفم والأنف.

ولعلّ ما يفتخر به الأسلام على غيره من الأديان، هو اشتراطه على المسلمين وجوب الغسل بعد التبول والبراز، لأنّ البول أو البراز إضافة إلى رائحتها الكريهة يحملان الكثير من الطفيليات والأمراض.

وعدم الغسل يؤدي إلى تلوث الملابس الداخلية للانسان، والاصابة بالعديد من الأمراض، وانبعاث رائحة كريهة لايمكن قبولها، خصوصاً عند تحلل قطرات البول الموجود على الملابس.

أمّا الجسد الميت فهو سريع التحلل والتفسخ، خصوصاً في أيام الصيف، ويصبح عرضة لهجوم المكروبات بعد ساعات من الموت، ومس هذا الجسد من قبل الأحياء، قد يؤدي إلى الاصابة بالكثير من الأمراض، لاسيما إذا كانت الوفاة قد

حدثت نتيجة الاصابة بأحد الأمراض المعدية.

وبما أنّ الاسلام هو السبّاق في كل شيْ، فقد أوجب الغسل بعد ملامسة الميت. ولم يغفل الاسلام عن النجاسات، فاشترط غسل اليدين، أو الأجزاء التي تتعرض لها، مثل مسّ الكلب أو الخنزير أو النجاسات الأُخرى.

وقد أشار الامام الصادق(ع) إلى الأغسال المسنونة فذكر منها: غسل الجنابة والحيض، وغسل الميت، ومن مسّ الميت بعدما يبرد، وغسل من غسل الميت، وغسل يوم الجمعة، وغسل العيدين، وغسل دخول مكة، وغسل دخول المدينة، وغسل الزيارة، وغسل الاحرام، وغسل يوم عرفة، وغسل ليلة السابع عشر من شهر رمضان، والتاسع عشر من شهر رمضان، وغسل ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين منه، وغسل التوبة، وغسل من رأى المصلوب.

وقال (ع): ***«ثلاث يُسْمِنّ البدن: إدمان الحمام، وشم الرائحة الطيبة، ولبس الثياب اللينة»***.

ثانيا: السواك : تعتبر الأسنان من مكونات جمال الانسان، ونظافتها دليل واضح على شخصيته ونظافته، والأسنان من الناحية العملية لها الدور المهم في عملية الهضم، فهي تقوم بمضغ الغذاء، وتقطيعه جيداً، كي يُرسل الى المعدة، لاتمام عملية الهضم المعروفة.

إذن، فإنّ أيَّ خلل قد يصيب الأسنان سوف يؤثر على عملية هضم الطعام، والاستفادة منه من قبل الانسان، إضافة إلى أنّ تسوس الأسنان أو سقوطها يؤثر على عملية إخراج الصوت من الفم، وينتج عنه انبعاث رائحة كريهة من الفم، كما ويصبح السن المتسوس مصدراً لاصابة الفم والجهاز التنفسي العلوي بالمكروبات والأمراض. وثبت طبياً أنّ القيح المتولد من قبل الأسنان المريضة له تأثير مباشر على المعدة وعدم الشهية.

لهذه الأسباب يؤكد الاسلام على ضرورة العناية بالأسنان والمحافظة عليها، فأمر بالسواك وجعله سنة متبعة، وقد وردت أحاديث كثيرة حوله منها:

قال الرسول الكريم(ص):
«مازال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى ظننت أنّه سيجعله فريضة».
«مازال جبرئيل يوصيني بالسواك حتى خشيت أنْ أدرد أو أحفي».
«استاكوا عرضاً».
«لولا أنْ أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة».

وقال الامام علي(ع):
«السواك مطهرة للفم، ومرضات للرب».
«السواك شطر الوضوء».

وقال الامام الصادق(ع):
«في السواك عشر خصال: مطهرة للفم، ومرضاة للرب، ومفرحة للملائكة، وهو من السنة، ويشد اللثة، ويجلو البصر، ويذهب بالبلغم، ويذهب بالحفر».

ثالثاً: جز الشعر واستئصاله: خلق الله الانسان في أحسن تصوير، وجعل له هيئة جميلة، وتركيباً بديعاً، وكان الشعر جزءاً من تلك الصورة الحسنة، فهو إضافة إلى وضعه الجمالي، له وظائف عديدة: صحّية، وطبية، واجتماعية، ونفسية، خصوصاً عند النساء، حيث يعتبر شعر المرأة عاملاً مهمًا من عوامل جمالها ومظهرها الخارجي.

والشعر عند الانسان له فوائد كثيرة منها:ـ
١ـ يؤلف طبقة محيطة بالجلد، تلعب دوراً كبيراً في حفظ حرارة الانسان تجاه التقلبات الجوية.

٢ـ يمنع شعر الرأس التأثيرات الحرارية الناتجة عن الشمس أو البرودة الشديدة من التأثير المباشر على الرأس والدماغ.

٣ـ يُعتبر الحاجبان مانعاً طبيعياً يمنع عرق الجبهة من النزول على العينين.

٤ـ يمنع شعر الشارب ترشح الأنف من دخول الفم.

٥ـ يلعب شعر اللحية دوراً كبيراً في حماية الفكين، والأعصاب الحساسة فيهما، والأسنان من التعرض للبرودة والحرارة العالية.

٦ـ يعتبر شعر الابطين والعانة، أحد مؤشرات بلوغ الانسان سن المراهقة ومؤشراً على ضرورة غسل وحلق تلك المناطق، عندما يصبح الشعر طويلاً ومعرضاً للاصابة بأمراض مختلفة.

٧ـ يستفاد من الشعر في تقدير العمر.

٨ـ يستفاد من الشعر في الطب العدلي، للكشف على الجرائم التي تحدث يومياً، خصوصاً حالات الاعتداء الجنسي.

٩ـ يعتبر الشعر من الناحية النفسية هيبة ووقاراً للشخص، وعلى الأخص في السنين المتقدمة من العمر، عندما يختطه الشيب.

١٠ـ يعتبر شعر الأنف حاجزاً طبيعياً ومصفاً جيداً ضد دخول العديد من المكروبات المرضيّة الى الجسم.

مضار الشعر الطويل

١ـ شعر الرأس: إذا كان شعر الرأس طويلاً وأكثر من المعتاد أصبح عائقاً أثناء الحركة، ومؤثراً على مجال رؤية العينين، وتنتشر فيه الروائح العرقية، وقد يصاب بالقمل والأمراض الجلدية الأُخرى.

٢ـ شعر الحاجبين: إذا كان أكثر من المعتاد فإنّه سوف يؤثر على دخول النور الى العينين، ويمنع الرؤية الجيدة.

٣ـ شعر الشارب: لو طال شعر الشارب تدلى إلى الفم، وأصبح يلامس

الغذاء الداخل ممّا يؤدي إلى تعلق ذرات من الغذاء خلاله، ويجعل من شعر الشارب مصدراً للتلوث، وحمل المكروبات، إضافة إلى تشويه منظر الفم.

٤ـ شعر اللحية: طول شعر اللحية أكثر من قبضة اليد، يجعلها صعبة التنظيف، وعائقة للعمل، ومشوهة لجمال الانسان، وعرضة للاصابة بالأمراض الجلدية.

٥ـ شعر الأُبطين: من المعلوم أنّ التعرق في الابطين أكثر من غيره من مناطق الجسم، خصوصاً إذا كان شعر الابطين طويلاً مما يجعل من الابطين مصدراً لانبعاث الروائح الكريهة التي تُنفر الناس، وتنقص الشخصية.

٦ـ شعر العانة: يقع في منطقة كثيرة الحركة والتعرق قريباً من الاحليل والفرج، وطوله يؤدي إلى احتفاظه بالمواد العرقية ذات الروائح الكريهة، والاصابة بالأمراض الجلدية المختلفة، خصوصاً الفطريات، والعفنيات، وقمل العانة، إضافة إلى أنّه يعيق عملية الجماع عند الانسان.

لتلك الأسباب المارة، أكد الاسلام على ضرورة العناية بالشعر بصورة دائمة ويومية، لما فيه من فوائد نفسية وصحية، لها آثار غير مباشرة على تكامل شخصية الانسان وروحه، وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته الأطهار(ع) حول نظافة الشعر والعناية به منها:

قال النبي(ص):

«احلق فإنّه يزيد في جمالك».

«من اتخذ شعراً فليحسن ولايته أو ليجزه».

«من السنة أنْ تأخذ من الشارب حتى يبلغ الاطار ـ أي إطار الفم ـ ولايكون الشعر على الشفة».

«لا يطولن أحدكم شاربه، فإنّ الشيطان يتخذه مخبئاً يستتر به».

«لا يطولن أحدكم شاربه، ولا شعر إبطيه، ولا عانته، فإنّ الشيطان يتخذها مخبئاً يستتر بها».

«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً، ولا يحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أنْ تدع ذلك منها عشرين يوماً».

وقال الامام علي(ع):

«إنَّ الشعر على الرأس إذا طال، ضعف البصر، وذهب بضوء نوره، وطم الشعر يجلو البصر، ويزيد في ضوئه».

«نتف الابط ينفي الرائحة المكروهة، وهو طهور وسنة مما أمر به الطيب».

«المشط يذهب بالوباء».

وقال الامام جعفر الصادق(ع):

«الرجل يقلم أظافره، ويجز شاربه، ويأخذ من شعر لحيته، ورأسه، سُنَّة».

«لاتكثر من وضع يدك في لحيتك، فإنَّ ذلك يشين الوجه».

«أخذ الشعر من الأنف يحسن الوجه».

رابعاً: تقليم الأظافر: خلق الله تبارك وتعالى الأظافر من مواد صلبة لمساعدة الكفين والقدمين في القيام بواجباتها على أحسن الوجوه أثناء العمل، وتثبيت قامة الانسان عند الحركة.

والأظافر: إحدى مقومات جمال وهيئة الانسان، والعناية بها دليل آخر على كمال ونضوج فكره العقلي والصحي، لأنَّ الأظافر الطويلة من الناحية العملية مخدشة، كأظافر الطيور والحيوانات، ومعوقة للعمل.

أما من الناحية الصحية، فإنَّ الفراغ الموجود بين الاظفر والنهايات اللحمية للأصابع، يصبح مكاناً صالحاً للأوساخ، والمواد الغذائية المختلفة. ويتحول تدريجياً إلى بؤرة مرضية تزود الانسان بالمكروبات والأمراض بصورة دائمة.

ولهذا حث الاسلام المسلمين كافة على ضرورة تقليم الأظافر والعناية بها بصورة دورية، حفظاً على جمال وصحة الفرد المسلم.

قال الرسول الأعظم(ص): *«تقليم الأظافر يمنع الداء الأعظم، ويزيد الرزق»*.

وقال الامام الصادق(ع): *«من السُنّة تقليم الأظافر»*.

خامساً: الختان: وهو إحدى السنن الآلهية القديمة، التي أمر الله بها نبيه إبـراهيم الخليل(ع)، لما فيه من فوائد عديدة تهم سلامة الانسان وصحته، وجاء الاسلام على لسان نبينا محمد(ص) ليؤكد على تلك السنة، ويحببها في الأيام الأُولى للمولود.

وبالرغم من كون الديانات الأُخرى لاتقر (الختان) كسنة، فإنها أذعنت الآن وأقرت بأنه ضروري ومهم من الناحية الصحية والنفسية للإنسان.

فوائد الختان:

١ـ يمنع تجمع ورسوب المواد البولية، بين الحشفة والجلد، وبذلك تقل نسبة التعرض للأمراض.

٢ـ يمنع التهاب الجلد الموجود على الحشفة الذي قد يؤدي إلى حرقة شديدة في البول.

٣ـ يمنـع تضييق فتحـة الجلد الموجود على الحشفة، والذي يسبب بعض الأحيان انحباس البول، وآلام شديدة لاتنتهي إلّا بإجراء عملية الختان.

٤ـ يمنع نشوء الحساسية في المنطقة التناسلية.

٥ـ يمنـع سرعة الانزال أثناء العملية الجنسية، وبالتالي يمنع المضاعفات والمشاكل الجنسية التي تنشأ عند الأشخاص غير المختونين.

٦ـ دليل على الالتزام بالتعاليم والسنن الاسلامية.

قال الامـام الصـادق(ع): «قال الله عزَّ وجلَّ لأبراهيم(ع): تطهر، فأخذ شاربه، ثم قال: تطهر، فنتف إبطيه، ثم قال: تطهر، فقلّم أظفاره، ثم قال: تطهر، فحلق عانته، ثم قال: تطهر، فاختتن».

سادساً: **التطييب**: العطر أو الطيب، دليل على جمال وكمال الانسان المسلم، والشخص الذي يستعمل العطر مَثَلهُ كالحديقة السيارة تنشر روائحها حيثما مرَّ أو تواجد، والطيب برهان محسوس على حسن الذوق، وطراوة الروح، وتجاوز للعقد النفسية، وطريقة لطيفة لجذب إحترام الناس وحبهم.

ولاشك، أنْ مَنْ يستعمل الطيب، ويتذوقه ماهو إلاّ إنسان نظيف البدن والملابس والمظهر.

وقد شجع الاسلام أتباعه على استعمال العطور، لما فيها من فوائد روحية وإجتماعية، وكان الرسول(ص) وهو القدوة الحسنة يستعمل الطيب، ويوصي بذلك، خصوصاً في المناسبات العامة، كأوقات الصلاة والأعياد وغيرها، لأنْ رائحة الطيب تطغى على الروائح الكريهة التي تتولد في تلك المناسبات نتيجة الزحام.

أما دهن الجلد والعناية به فقد كان ضمن الوصايا التي أوصى بها الاسلام ونبَّه إليها.

قال الامام علي(ع): ***«لاينبغي للرجل أنْ يدع الطيب في كل يوم»***.

«الدهن يلين البشرة، ويزيد في الدماغ، ويسهل مجاري الماء، ويذهب القشف، ويسفر اللون».

وقال الأمام الصادق(ع): ***«الطيب يشد القلب»***.

«العطر من سنن المرسلين».

وقال الامام الرضا(ع): ***«الطيب من أخلاق الأنبياء»*** [١].

نظافة الزوجة: الزوجة أو المرأة تمثل نصف المجتمع، وتقع عليها مسؤوليات كبيرة وخطيرة، توجب عليها أنْ تكون المثال والنموذج للجيل الذي تشرف على تربيته في جميع الأبعاد، الدينية والاجتماعية والصحية. فسلوك المرأة في تنظيف بدنها

---

(١) بتصرف عن كتاب الفقه (الآداب والسنن) لآية الله الشيرازي

وملابسها وأثاثها وبيتها، يترك أثراً وانطباعاً عند الأطفال الصغار، ويجعل منهم قدوة حسنة في المستقبل.

ولاننسى أن جمع الأوساخ بصورة يومية، ووضعها خارج البيت، يمنع العديد من الأمراض، كما أنّ تنظيف الأثاث والأواني المستعملة في طبخ وتناول الطعام له أهمية صحية كبيرة، أما تهيئة الغذاء النظيف والجيد والمتوازن في كمياته ونوعيته، فهو وظيفة مهمة لها ارتباط بصحة وسلامة العائلة وتقع مسؤوليته على الزوجه .

ولعل ما ذكر في الغسول الواجبة ماينطبق عليها، خصوصا غسول: الحيض والنفـاس وبعد المقاربة الجنسية. وقد حبّب الاسلام للمرأة أنْ تقوم بتزيين نفسها لزوجها، وتعتني بشعرها، وتزيل ماطال منه في بعض المناطق، وتعطر نفسها، وتظهر بأحلى مايمكن أمام زوجها لكي تصرفه عن سلوك طريق الحرام.

روى السيّد المرتضى (رحمه الله)[1] ـ نقلاً عن تفسير النعماني ـ بإسناده عن اسـماعيل بن جابر عن جعفر الصادق(ع) عن آبائه عن علي(ع): ***«أنّ قوماً من أصحاب رسول الله(ص) ترهبوا وحرموا على أنفسهم طيبات الدنيا، وحلفوا على ذلك أنهم لايرجعون إلى ما كانوا عليه أبداً، ولايدخلون فيه بعد وقتهم ذلك، منهم عثمان بن مظعون وسلمان وعشرة من المهاجرين والأنصار.***

فأما عثمان بن مظعون فحرم على نفسه النساء، فجاءت امرأته إلى بيت أم سلمة (رض) وكانت امرأة جميلة، فنظرت إليها أم سلمة، وقالت لها: لِمَ عطلتِ نفسكِ من الطيب والصبغ والخضاب وغيره؟ فقالت: لأن عثمان بن مظعون ما قربني منذ كذا وكذا. فقالت أم سلمة: وَلِمَ لا؟ قالت: لأنّه قد حـرَّم على نفسه النّساء وترهب، فأخبرت أم سلمة رسول الله(ص) بذلك، فخرج إلى أصحابه وقال:

---

(١) رسالة المحكم والمتشابه: ص١٠٥ـ١٠٦.

أترغبون عن النساء؟ إنّي آتي النساء، وأفطر بالنهار، وأنام بالليل، فمن رغب عن سنتي فليس منّي».

وأنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاتُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاتَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ. وَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا اللهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

فقالوا: يارسول الله! إنّا قد حلفنا على ذلك فأنزل الله عزّ وجل: ﴿لايُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِٱللَّغْوِ في أَيْمانِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ذٰلِكَ كَفّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوا أَيْمانَكُمْ﴾.

فحمل رسول الله(ص) صحابياً من أصحابه على العودة إلى الاستمتاع بالدنيا، وعلى معاشرة زوجته.. هي دعوة ـ ضمناً ـ إلى زوجته كذلك: في الاستمرار في تجميل نفسها لزوجها حتى يسعدا بحياة زوجية طبيعية.

والاسلام الذي يعلم أنّ طبيعة المرأة، كأنثىٰ، تنطوي على الفتنة والإغراء لم يمنعها من رعاية هذه الطبيعة لتظل ذات فتنة وإغراء لذاتها، وذلك بأنْ لاتهمل هذه الطبيعة، وتتركها غير معتنىٰ بها، فتحجب خلق الله وفطرته فيها، وبذلك تضعف صلتها بزوجها. وتزين المرأة يراه الاسلام لذلك متفقاً مع خصائص طبيعتها. والإسلام يدعو الزوجة إلى تجميل نفسها لزوجها، ويريدها أنْ تكون دوماً ذات إغراء له.

أما الرجل فقد نصحه الاسلام بعدم الافراط في المقاربة الجنسية لأنها تضعف القدرة البدنية والعقلية، ووضع شروطاً لها: منها عدم المقاربة بعد الطعام، أو في الحمام، أو أثناء الحيض والنفاس، وأنْ تكون المقاربة في مكان هادئ ومستور، بعيداً عن نظر الأطفال وفضولهم، كي لايحصل الانحراف الجنسي والنفسي لديهم.

قال الامام علي(ع): *«كثرة الجماع تؤدي إلى الجنون، وقلته تورث العنة»*.

وقال الشيخ الرئيس بن سينا:

واحفظ منيّك مااستطعت فإنّه ماء الحياة يراق في الأرحام

وله أيضاً:

وإياك إياك الـعجـوز ووطيهـا فما هي إلاّ مثـل سمّ الأراقـم
ولاتـكُ في وطي الكواعب مسرفاً فإسـرافـه للعمـر أقـوى الهوادم

نظافة الطعام: الغذاء هو المادة الأساسية لبناء الجسم، لذا ركز الاسلام عليه، واشترط نظافته ونوعيته، وعدم الافراط فيه، لأنّ الافراط له مضاعفات مرضية كثيرة تؤثر على سلامة الانسان جسدياً ونفسياً.

توّق إذا استـطعت إدخال مطعم على مطعم من قبل فعل الهواضم
وكـل طعـام يعجـز السن مضغـه فلا تبتلعــه فهـو شرّ المـطاعم

واجـعـل غذاءك كل يوم مرة واحذر طعاماً قبـل هضم طعـام

وهذه مسألة الصيام التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وكان يعدها السواد الأعظم من دعاة الحضارة الغربية وبعض الأغرار منا من الويلات الكبرى على الجسد والعقل معاً، أصبحت اليوم لديهم إكسيراً كبيراً يداوون به الجبن الأدبي وفقد عزيمـة الـرجولية، وقد ألفوا في ذلك الكتب الضخمة، إليك ما قاله عنه الدكتور (جيهاردت) في كتابه: (كيف يكون الانسان قوي الإرادة) ردّاً على الذين يتوهمون أنّ في الصيام ضرراً، قال: «لانشكّ في أنّ معترضاً سيعترض على هذا العلاج الصومي ظانّاً أنّ في الأخذ به ضرراً على الصحة، وهو اعتراض لاأساس له البتة. أما من حيث الصحة والطب فإنّ الصيام من العلاجات التي يجب الأمر بها والاعتراف بعظم فوائدها».

إلى أنْ قال متابعاً في ذلك الدكتور (ستوهر): «إنّ من الناس من كبر وعاش مقتنعـاً بأنّ طينته أرق وألطف من طينة غيره من الآدميين، ومع ذلك فإنّ المراقب لأحوال أمثال هؤلاء الناس لتأخذه الدهشة، إذا وقف على هذا المعمى الذي لايحل وهو أنّه بينما يري الواحد من هؤلاء قد يقع على الأرض من الضعف والهزال إذا لم يقدم إليه ما اعتاده من كأس المرق يراه قبل بضعة أيام قد احتمل أعباء الرقص

وتكاليفه بغاية النشاط والجلد طول الليل لغاية الساعة الأولى صباحاً».

كما حرَّمت الشريعة الإسلامية أكل وشرب بعض الأطعمة الضارة، كالميتة والدم ولحم الخنزير، والمشروبات الكحولية بأنواعها المختلفة.

ومن جهة أُخرىٰ شجعت المسلمين على أكل الفواكه بأنواعها لما فيها من فوائد لاتحصى ولاتُعد حتى قال القرآن الكريم فيها:

﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ﴾[1]

﴿فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنسانُ إِلىٰ طَعامِهِ﴾[2]

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكىٰ طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾[3]

وقال الرسول الأكرم(ص):

«نحن قومٌ لانأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لانشبع».

«لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

وقال لقمان الحكيم لإبنه:

(يابني! إذا إمتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة).

الإسلام وآداب الطعام

١ـ غسل اليدين قبل الطعام وبعده. قال الامام الصادق(ع):

«مَنْ غسل يده قبل الطعام وبعده، بُورك له في أوله وآخره».

٢ـ عدم أكل الطعام الحار.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٨.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٩.

٣ـ عدم تناول الطعام بسرعة، قال الامام الصادق(ع):

«أطيلوا الجلوس على الموائد، فإنها ساعة لاتحسب من أعماركم».

٤ـ الارتخاء قبل وأثناء تناول الطعام وبعده.

٥ـ عدم شرب الماء بكثرة خلال تناول الطعام.

٦ـ عدم إتخام المعدة بالطعام.

قال الامام الصادق(ع): *«إنّ الله يبغض كثرة الطعام»*.

٧ـ يستحب تناول الطعام باليد اليمنى.

٨ـ يستحب البدء بالملح عند تناول الطعام.

قال الامام الصادق(ع): *«إنّا نبدأ بالملح ونختم بالخل»*.

٩ـ مضغ الطعام جيداً.

١٠ـ غسل الفم جيداً بعد الطعام.

التخمة: تؤدي إلى السمنة، والسمنة ينتج عنها أمراض عديدة ذكرناها في فصل «التغذية الصحّية»، وعلى العكس فإنّ تناول الغذاء بكميات قليلة ومعقولة له فوائد جسمية ونفسية منها:ـ

١ـ صفاء القلب، وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة، فإنّ الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب، ويكثر البخار في الدماغ.

قال النبي(ص): *«مَنْ شبع ونام قسى قلبه»*.

٢ـ الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر، الذي هو منشأ الطغيان والغفلة عن الله.

٣ـ عدم نسيان بلاء الله وعذابه، فإنّ الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع.

٤ـ كسر شهوات المعاصي كلها، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء.

٥ـ دفع النوم والكسل ودوام السهر، فإنَّ من شبع شرب كثيراً، ومنْ كثر شربه كثر نومه.

٦ـ تيسير المواظبة على العبادة.

٧ـ قلة الأكل تفيد صحة البدن، وتدفع الأمراض.

٨ـ خفة المؤنة والايثار والتصدق[1].

* * *

(١) كتاب «المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء».

« الفصل السابع »
علم الأجنة

علم الأجنة: وهو من العلوم الحديثة التي سلطت الأضواء على الكثير من الحقائق العلمية التي قام عليها الطب الحديث، وكشف لنا بعض الغوامض والنواقص، وملأ الفراغ للكثير من القضايا الطبية المجهولة سابقاً، وعلّمنا بعض الأسرار الالهية العجيبة التي جعلت الانسان يقف أمامها خاشعاً بكل جوارحه. وهو مشبع بالايمان والعقيدة بذلك الخالق الذي أتقن وصور، وأبدع كل شيء خلقه وفق تقنية إلهية حكيمة.

ولايخفى علينا أنَّ علم الأجنة ساهم كغيره من العلوم في دحض النظريات الملحدة، كنظرية دارون المسماة بـ(نظرية النشوء والتطور) التي تقول: إنَّ الكائنات الحية تفرعت من أصل واحد وتناسلت من خلية واحدة.

إنَّ أول حجر وضع في إنكار الوجدانيات والمسلّمات الفطريات، الذي هو من الغرائز الأولية، وأوّل مقدمة مهدّها في مبادىء هذا الموضوع، هو ـ داروين ـ أُستاذ المعطلين الملحدين فيما مضى وفي هذه العصور المظلمة التي هي الأجدر بأنْ تسمى بتلك التسمية ، ومن أقواله المنسوبة إليه وإلى تلميذه الشارح لمذهبه وهو ـ بحتر ـ هو قوله: إنّه تجلى لنا وجه أبينا، من وراء حجب العدم ينظر إلينا بعينين تتوقدان بنيران الشبيبة الأزلية قائلاً: قبل الله كنت، وهذا الأب الأزلي ـ على رأيه ـ كان في بعض الأزمنة قرداً، وكان قبل ذلك مخاطاً، وأنّه كان نقيعاً في الماء لاصقاً بصخرة، وكان ومازال يتدرج في سلم النشوء والارتقاء حتى بلغ إلى طوره اليوم.... الخ.

ولكن عارضه الكثيرون من ابناء جلدته، وأكابر فلاسفة عصره، مثل الانجليزي الشهير ـ تندل ـ حيث قال في مقام الرد عليه: إنَّ ذلك القول خطأ وعرضة للبطلان.

وقول ـ فرخو ـ البرليني، وهو من أكابر علماء التشريح: ما للارتقاء من ركن علمي.

وقول الدكتور ـ دوسون ـ وهو من أكابر علماء الجيولوجيا:قلنا بالأدلة الصحيحة: إنَّ الانسان خُلق في الأصل إنساناً ولم يكن يوماً ما قرداً أو سلالة قرد، ولا يقال على غيره من سائر الحيوانات ما قاله في الانسان، ولا دليل على ذاك المدّعي.

وكمقالات الفلكي الطبيعي الشهير الفرنسي ـ كاميل ملامريون ـ وكثير من أمثاله من الرجالات الغربيين ومشاهيرهم][1].

ثم أنه ما يدريه أنَّ أباه قبل أنْ يكون قرداً كان مخاطاً ونقيعاً في الماء ولاصقاً بصخرة، ويتدرج ويرتقي حتى بلغ إلى ما هو عليه اليوم، فالاشكال والسؤال: لماذا انتهى التدرج والارتقاء؟ وما الذي أوقفه على صورة الانسان؟ وما الذي منعه عن الانتقال إلى غيرها وغيرها؟

فأي خير يرجى أو جدوى علم تؤمل ممّن قصر إدراكه عن إدراك ذات نفسه، وهي أبده البديهات إليه، وأقرب الأشياء منه، فأنكرها من حيث يدري ولايدري، وجحدها من حيث يشعر أو لايشعر. أفترجو ممّن أنكر نفسه، وضغط على شعوره، وتهالك على إماتة وجدانه حذراً من أنْ يصل به العلم إلى معرفة خالقه والالمام بمبدئه ومعاده، كل ذلك رجع عليه بعيد.

ولقد جاءً علماء الأديان بأقرب شيء إلى العقل لمعرفة الرب سبحانه حيث قالوا: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، والمقصود أنَّ الطريق الذي تعرف به نفسك، هو النظر في آثارها وأعمالها، فتعرفها من كونها أمّارة ولوّامة ومطمئنة، وفيها القوة الشهوانية والغضبية، وكونها بليدة وجاهلة وعالمة، إلى غير ذلك من كونها وعاء كل فضيلة أو رذيلة، ممّا يتعلق بالنفس وتوصف به النفس، هو الطريق الذي تعرف به ربك ـ عزَّ ذكره ـ أنْ تنظر إلى ملكوته وجبروته وعظمة مجده وعزه، من خلال إبداعه وخلقه

---

(١) كاشف الغطاء: الدين والإسلام ص ٤٠ـ٤٥.

وإتقان صنعه، فتنتقل إلى معرفته على أظهر وأصح سبيل، فتعرفه عليًّا قديراً سميعاً مدبراً ومديراً حكيماً، فلا يجهل شيئاً ولا يعجزه شيء، يفعل ما يفعل لمصالح ومنافع، وينهى محذراً لمفاسد ووجود مضار، فكل ذلك يتعلق بخلقه وهو اللطيف الخبير.

ولعل المراد من قوله(ص): «مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربّه». هو التلازم بينهما وأنّ النفس حادثة مخلوقة لقادر عليم قديم أزلي، وإذا عرفت الله سبحانه انتقلت إلى نفسك لشاهد قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ فمن جهل نفسه فأحرى به أنْ يجهل ربه، فهي قضية متبادلة متعاكسة في المبدأ والغاية، والسبب والمسبب إلى ما هنالك.

وهذه النظرية إضافة إلى كونها غير مقبولة من الناحية الدينية والعقلية، دحضتها العلوم الحديثة المتطورة كعلم الأجنة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وعلم الوراثة الحديث، حيث أدى إكتشاف (الكروموسومات) و(الجينات) إلى التعرف على صفات وخصائص كل كائن حي، وهذا ما جعل من نظرية (دارون) خرافة قديمة لايستساغ سماعها في الوقت الحاضر.

والآن وبعد اكتشاف العلوم الحديثة وأجهزتها المعقدة، أصبح علم الأجنة يقدم لنا دليلاً حيّاً وشريطاً مصوراً، متناهي الدقة ومتكامل المعالم، لمختلف مراحل تكوين ونمو الانسان منذ نشأته حتى تكامله، ممّا أسهم بفاعلية كبيرة في سد الكثير من الثغرات التي كانت موجودة في السابق قبل تطور علم الأجنة الحديث.

وقد بلغ من دقة هذا العلم ـ في الوقت الحاضر ـ انه تمكن بسهولة من متابعة التطورات الجنينية المختلفة للانسان منذ يومه الأول، يوماً بيوم وأُسبوعاً بأسبوع، وحدد بالضبط أطوار ومراحل النمو الجنينية، فأصبح بمرور الأيام علمًا متكاملاً كغيره من العلوم الطبية التي ساهمت في تحديث ورقي الطب البشري نحو الأفضل.

ويساهم الآن علم الأجنة ـ كسائر العلوم الطبية الأُخرى ـ مساهمة كبيرة في تفسير بعض الآيات القرآنية، التي تحمل في طياتها إعجازات علمية وإلهية هائلة، كانت لزمن طويل خافية على الانسان.

فخدم بما يملك من معلومات علمية دقيقة مدهشة الباحثين المسلمين، وأضاء لهم الطريق كي يتمكنوا من كشف بعض الأسرار القرآنية، وترجمتها وفق ما يتوفر لديهم من معلومات حديثة. وجلَّ مَنْ قال:

﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[2].

* * *

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦.

الموضوع الأول
[نظرية نشوء الانسان]

﴿يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحامِ ما نَشَاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[1].

يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة الناس ويقول لهم: إنْ كنتم في شك من يوم القيامة، الذي يبعث فيه الأموات، وتحيى فيه الأجساد من جديد، فانظروا واعتبروا بحالكم عند ابتداء الخلقة حين خلق الانسان من تراب.

والتراب: هو المادة الأولية التي خلق منها أبونا آدم (عليه السلام)، ومنها خلق بقية البشر الذين عاشوا على هذه الأرض التي أنبتت النبات وغذت الحيوان، وكنتيجة لأكل تلك النباتات والفواكه التي خرجت ونمت من التراب، وكذلك الحيوانات التي عاشت على الأعشاب والنباتات، تحول الغذاء الذي مصدره التراب إلى دم يجري في عروق الانسان وأعضائه ومنها (الخصيتين).

وهذا الدم تجري عليه عمليات متعددة، يتحول بعدها في ذلك المصنع الالهي إلى مواد منوية (حيامن) وفق نظام دقيق ومحكم.

ولو قمنا بفحص (الخصية) تشريحياً وفيسولوجياً، لوجدناها عبارة عن مصنع فعال متكامل، يتكون من ملايين الخلايا ومئات الأنابيب (٨٠٠) أنبوب يبلغ طولها (٢٠٠ـ٣٠٠)متر، لها القابلية على تحويل الدم القادم إليها إلى ملايين الحيوانات المنوية.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥.

أمـا الحيوان المنـوي فهـو ذو خلقة وتركيب مدهش وعجيب لا يتصوره الانسان العادي بسهولة، ففي كل دفقة مني التي تتكون من (٣ـ٥سم٣) يحوي كل سم٣ من ذلك الماء الدافق على (٦٠ـ٨٠) مليون حيوان منوي، وطول هذا الحيوان (٦٥ ميكرون).

ويتألف من رأس كمثري الشكل وعنق وذيل طويل يبلغ (٤٥ ميكرون) يساعد الحيوان على الحركة أثناء عبوره الرحم والبوق، وتقدر سرعتها (٢ـ٣ملم) في الدقيقة.

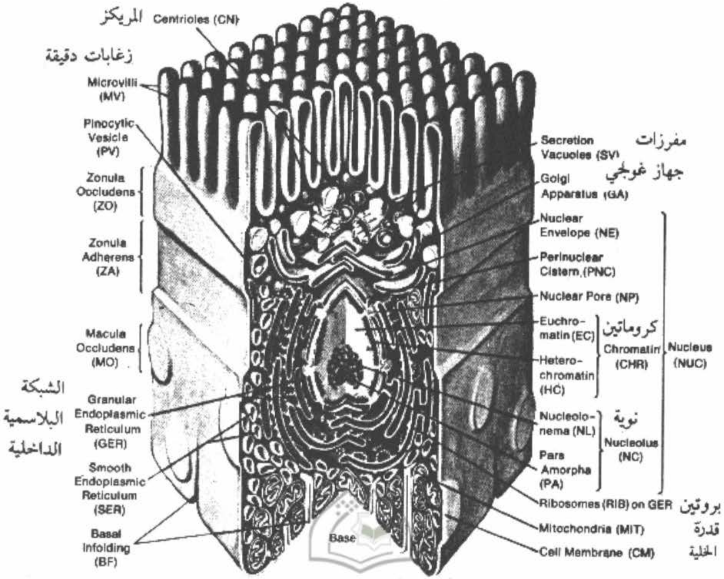
وكـذلـك تقـوم الخصية بإفـراز الهـرمونات الذكرية المسماة بالأندروجين (Androgens) .

وفي المقابل يتحول الدم الجاري في مبيض المرأة إلى بويضات، حيث يقدم كل مبيض بيضة في كل شهرين، وذلك بالتبادل مع المبيض الآخر. ونتيجة لعملية التزاوج أو الألتحام الحاصل بين الحيمن والبيضة يتكون الأنسان بصورة تدريجية، وفق موازين وشـروط خاصـة، حتى يبلغ الشهر التاسع حيث تتم عملية الولادة وفق البرنامج الالهي المحسوب، ويحصل ذلك كما يلي:

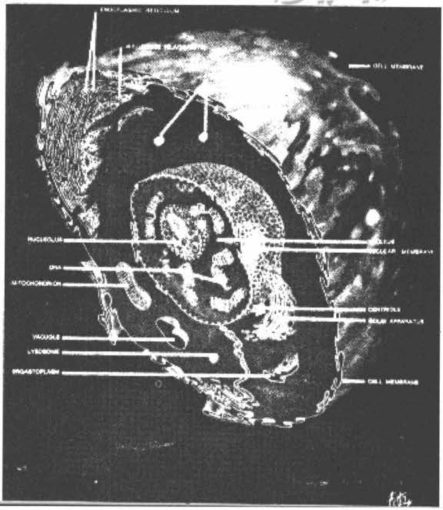
عنـدمـا تدخل الحيوانات المنوية الرحم تتسابق كل منها لتلقيح البيضة، والذي يتم عادة في الجزء الأخير من البوق، ولا يُسمح إلاّ لحيوان واحد فقط لتلقيح تلك البيضة.

وهذه البيضة التي تتمتع بحيوية حياتية قابلة للانقسام والنمو بشكل منتظم، مع الاحتفاظ بالصفات الخاصة للأب والأُم، تبدأ بالتحرك داخل البوق، وهي تنقسم وتتـطور في حين تكون الرحم المتضخمة قد أكملت استعداداتها الخاصة لاستقبال واحتضان البيضة الملقحة، لكي تكون في موضع أمين يزودها بالغذاء اللازم.

وتقدر الفترة التي تقضيها البيضة الملقحة خلال مسيرها من الثلث الأخير للبوق حتى جوف الرحم بـ(٤ـ٥) أيام، ومرحلة تحول النطفة إلى علقة (الدم الغليظ الجامد) تبدأ حين تباشر البيضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين ثم أربع فثمان وهكذا..



The Cell



الخلية :

وحدة البناء الحيوي
وأكبر مجمع صنائعي
متفاهم في الوجود
وعالم ساحر، تتعالى
من جنباته همسات التسبيح
بالموجد العظيم

وتتم عملية الانقسام خلال مسير البيضة من البوق إلى الرحم، حتى إذا وصلت إلى وسطه كانت عبارة عن كتلة من الخلايا تسمى (التوتة) لأنها تشبه ثمرة التوت بشكلها الخارجي.

وفي اليوم السادس تلتصق العلقة بالجدار الداخلي للرحم، وتشرع بفرز الخلايا الخارجية المغذية (Trophoblast) في مخاطية جدار الرحم، وبذلك تبدأ عملية بناء المشيمة، وهذه التطورات تحصل خلال الاسبوع الأول.

أما في (الاسبوع الثاني) فتبدأ فيه عملية تحول العلقة إلى مضغة (مقدار ما يمضغ من الطعام) حيث تتشكل اللوحة المضغية من الخلايا المضغية (Embryoblast) وهي عبارة عن قرص مؤلف من وريقتين خارجية (Ectoderm) وداخلية (Endoderm) .

أما الخلايا المغذية (Trophoblast) فستمر في عملية غرز خلاياها الخارجية في جدار الرحم، لتكوين الزغابات الأولية والثانوية.

أما بالنسبة للرحم فتطرأ عليها تغيّرات خلوية متعددة لتسهيل عملية احتضان القادم الجديد.

ويتميز (الاسبوع الثالث) بتغيّرات وتطورات عديدة تشمل الأُم والجنين، فمن التغيّرات التي تحصل لدى الأُم:

١ـ انقطاع الطمث (العادة الشهرية).

٢ـ تغيرات في الثديين بما يرافقها من ألم.

٣ـ زيادة التبول.

٤ـ الإمساك.

٥ـ زيادة الهرمونات المنمية في الدم، والتي يمكن بواسطتها الحصول على نتيجة مثبتة بكون المرأة أصبحت حاملاً عند فحص الإدرار.

أما التغيّرات التي تحصل للجنين والمشيمة فهي:

١ـ نشوء وتكون الزغابات الثلاثية.

٢ـ نشوء وتكون الزغابات المثبتة.

٣ـ تكون الوريقة الوسطى (Mesoderm) .

٤ـ بداية ظهور القرص العصبي.

٥ـ بداية ظهور نواة الأوعية الدموية والقلب.

أما (الاسبوع الرابع) فتبدأ فيه عملية تبلور وتمايز الأعضاء المختلفة للجسم وخصوصاً الأعضاء الرئيسية، والتغيّرات الحاصلة فيه تشمل الأُم والجنين والمشيمة.

(الأُم):

١ـ تستمر التغيّرات التي طرأت على الأُم في الاسبوع الثالث.

٢ـ ازدياد طراوة عنق الرحم، أما المهبل فلونه يميل نحو الزرقة الغامقة.

٣ـ ازدياد طراوة الرحم وكبرها.

٤ـ التقيؤ صباحاً.

(الجنين): عند بداية الأسبوع الرابع يبلغ طول الجنين حوالي (١,٥ـ٢ ملم) وأهم التغيّرات هي:

١ـ تبلور المظهر الخارجي للجنين.

٢ـ بداية تكوين الحبل السري.

٣ـ عمليات متعددة لتكوين الجهاز العصبي.

٤ـ نمو وتمايز العين وملحقاتها.

٥ـ ظهور بداية الجهاز التنفسي والحنجرة.

٦ـ تمايز الأعضاء المختلفة للجهاز الهضمي والمساريق.

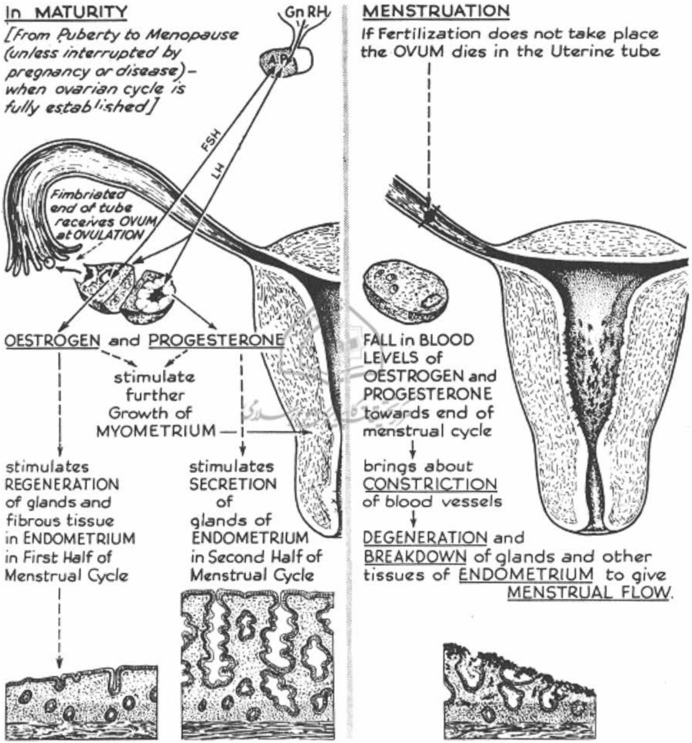
٧ـ تكوّن القلب الأولي، وبداية شروع ضربات القلب.

٨ـ تكوّن الشرايين والأوردة الرئيسية.

٩ـ شروع الدورة الدموية بين الجنين والمشيمة.

١٠ـ تكوّن وتمايز الجهاز البولي.

UTERUS and UTERINE TUBES



صورة تمثل الرحم وملحقاتها قبل وبعد الدورة الشهرية

(المشيمة):

١ـ تصبح المشيمة متكاملة، والدورة الدموية بين الجنين والأُم تكون فعالة وعاملة عبر المشيمة.

٢ـ نمو المشيمة بشكل ملحوظ، إذْ يبلغ قطرها حوالي (١٥ ملم).

ويشهد (الاسبوع الخامس) تغيّرات عديدة منها: استمرارية تمايز الأعضاء المتكونة في الاسبوع الرابع، واستمرار أعراض الحمل لدى الأُم. ويبلغ طول الجنين (٦ـ٧) ملم، وقطر المشيمة (٣٠ـ٣٥) ملم.

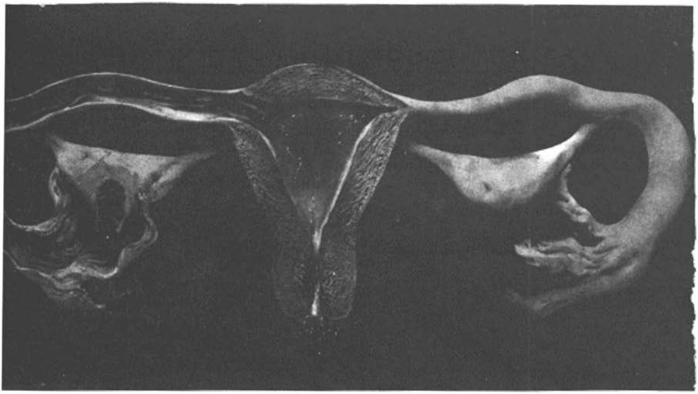
وأهم مشخصات هذا الاسبوع هو: نشوء وجه الجنين، ونمو رأسه بصورة واضحـة، كذلك التفاف وتكامل الجهاز الهضمي، أما القلب فتتكامل تقاطيعه بعد تكوين القاطع الفاصل بين البطينين وتزداد فعاليته بصورة أوضح.

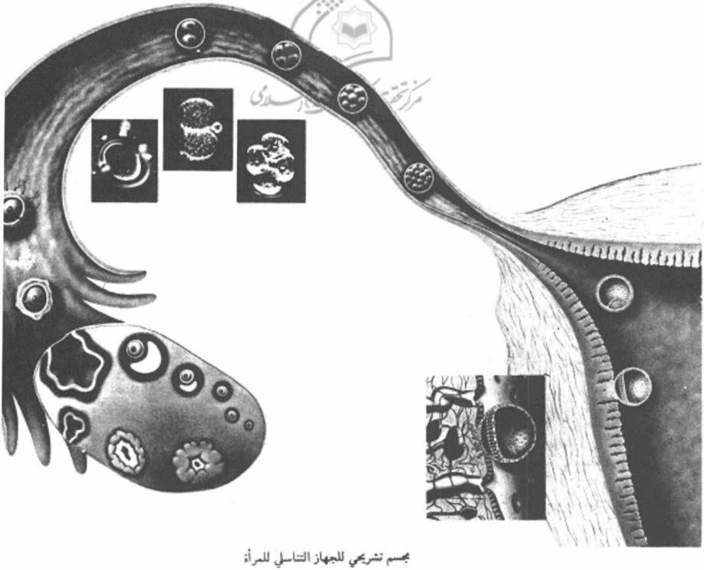
ويستمـر في (الاسبـوع السـادس) نمـو وتمـايز الأعضاء التي نشأت في الاسبوعين الرابع والخامس، أمّا الجهاز العصبي والعضلي فيبدأ في الشروع بالعمل.

وفي هذا الاسبوع تنتهي تقريباً عمليات التمايز المهمة للأعضاء والأجهزة البـدنية المختلفـة، أمـا عمليات النمـو الحجمي للجنين فهي تظهر في أواخر هذا الاسبوع، ويبلغ طول الجنين (١٤) ملم أو أكثر، وقطر المشيمة حوالي (١٠٠) ملم.

بينـما يمتـاز (الاسبوع السابع) بالتـشخيص والتكامل النهائي لأعضاء الجنـين المختلفـة، وعنـد نهايته تكون الأعضـاء والأجهـزة مشخصـة ومتكـاملة، ولايبقى سوى انتـظار النمـو الحجمي والفسولوجي لها. ويبلغ طول الجنين في أواخر هذا الاسبوع(٣٠) ملم ووزنه حوالي (٢ـ٣) غم.

وبعد هذا الاسبوع يأخذ نمو الجنين أبعاداً جديدةً، إذْ يبدأ بالنمو بشكل سريع وواضح حتى نهاية (الشهر الثالث) وعندها يبلغ طوله (١٠)سم، ووزنه حوالي (٥٥) غم، وفيه تنتهي عملية التخلّق.





مجسم تشريحي للجهاز التناسلي للمرأة

وفي بداية (الشهر الرابع) يصبح الجنين إنساناً كامل الخلقة من جميع الجوانب والأبعاد. ويبدأ بالحركة حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالعضلات والأجهزة الأُخرى. وتشعر الحامل بحركة جنينها في هذا الشهر.

أمّا نبضات القلب فتبدأ في منتصف هذا الشهر، ويمكن سماعها أيضاً. كذلك تبدأ المشيمة بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أنْ أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية، لأنّ متطلبات الحمل أصبحت أكثر من طاقته وكفاءته.

﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾

تحتوي البيضة الملقحة التي سيتكون منها الجنين على (٢٢) زوج من (الكروموسومات) أو (الصبغيات الجسمية) مع زوج من (الكروموسومات الجنسية).

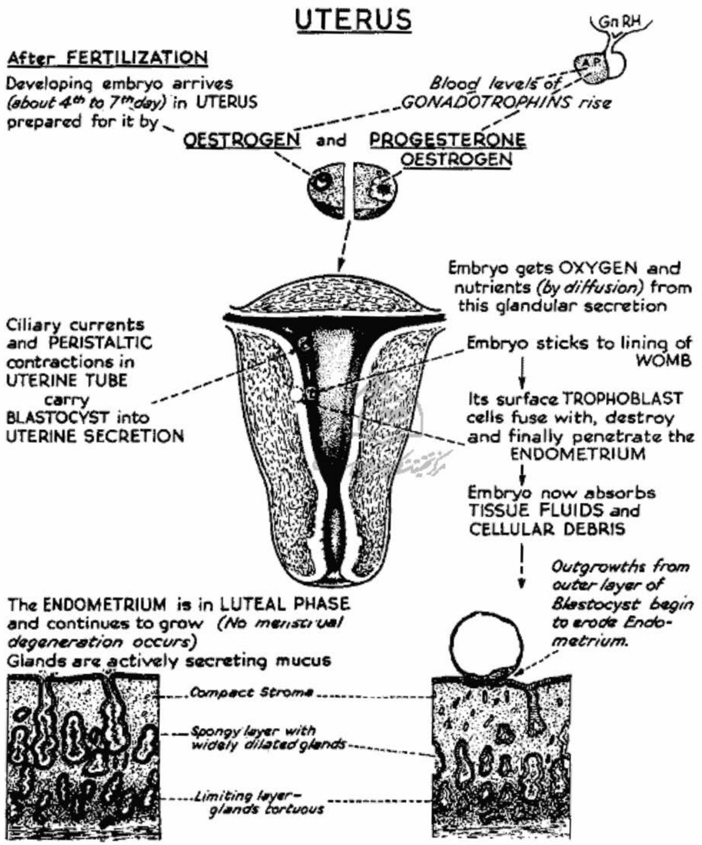
وتأتي هذه الكروموسومات من اجتماع بويضة الأُنثى التي تحوي دائمًا (٢٢ كروموسوم جسمي + كروموسوم جنسي) ومن نطفة الرجل التي تحوي (٢٢ كروموسوم جسمي + كروموسوم جنسي إما X أو Y) لأنّ نصف نطف الرجل تحوي (كروموسوم X) ونصفها الآخر يحوي (كروموسوم Y).

أما بويضة المرأة فتحمل دائمًا (الكروموسوم الجنسي X) فإذا اتحدت البيضة مع نطفة حاوية على (الكروموسوم الجنسي X) كان الجنين أُنثى، وإذا اتحدت البيضة مع نطفة حاوية على (الكروموسوم الجنسي Y) كان الجنين ذكراً.

نطفة (Y) + بويضة (X) = YX ذكر

نطفة (X) + بويضة (X) = XX أُنثى

ومن ذلك يتضح أنّ المسؤول الظاهري عن تحديد جنس المولود ـ وفق الارادة الالهية ـ هو (الذكر) وليس (الأُنثى) وهذا يتم وفق موازين ربانية محسوبة ومحكمة، تضمن المحافظة على النسل البشري، ووجود العدد الكافي من كلا الجنسين، بصورة طبيعية لاتخل بالتوازن البشري والبيئي، وتضمن الطريق الصحيح للمسيرة الانسانية.



صورة تمثل عملية زرع البيضة الملقحة في جدار الرحم

وخلاف ذلك فإنّه لو ترك الخيار للانسان لأساء التصرف، وذلك بتفضيله أحد الجنسين على الآخر، ممّا يؤدي إلى كارثة اجتماعية لاتحمد عقباها.

لكل ذلك فإنّ المشيئة الالهية هي التي تقرر جنس وصفات المخلوق الجديد: ذكراً أو أُنثى، تاماً أو ناقصاً، واحداً أو متعدداً، حسناً أو قبيحاً. وهذا لطف كبير من ألطاف الله على البشرية جمعاء.

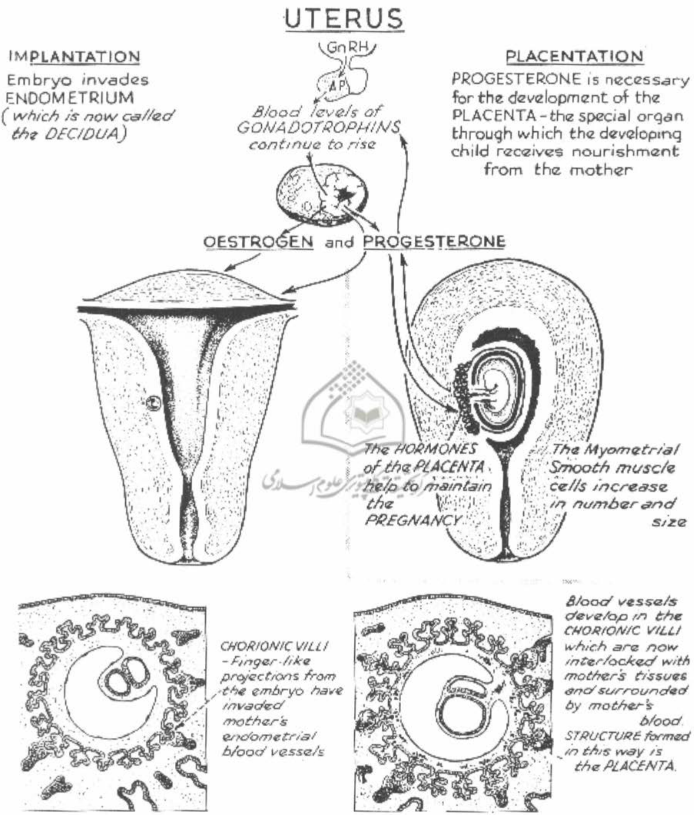
﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾

مدة الحمل الطبيعية هي (٢٧٠) يوماً من بعد تلقيح البيضة، مع وجود اختلاف بالزيادة أو النقصان عن تلك المدة. وحتى الآن لا يعرف بالضبط العوامل المحركة للولادة، ولكن هناك فرضيات وعوامل (ميكانيكية) و(هرمونية) وجد أنها تلعب دوراً خاصاً في عملية إنهاء الحمل، وشروع الولادة.

وهذه العوامل تخضع لقوانين وموازين ربانية ـ تقل وتزداد ـ وفق الارادة الالهية التي تُراعى فيها مصلحة الأُم والطفل. وبعدها تبدأ عملية الولادة بتقلصات دورية للرحم حيث تكون في البداية خفيفة وبفواصل متباعدة، ثم تقوى التقلصات وتقترب فواصلها، فتزداد الآلام ويشتد المخاض حتى تحصل عملية الولادة، حيث تقدم الأُم للمجتمع طفلاً جديداً ينمو ويكبر خلال مراحل الطفولة حتى يبلغ أشده في مرحلة الشباب.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

فخلال مراحل الشباب يموت البعض منهم، ويبقى البعض الآخر ويعمر سنين طويلة، ولكنه يفقد القابلية على التعلم وحفظ المعلومات، لأنّ خلايا الدماغ أصابها التعب وفقدت الكثير من طاقتها وحيويتها، لأسباب كثيرة أهمها: تكلس الشرايين التي تزود الدماغ بالدم، ممّا يجعل الانسان يرتد إلى حالة الجهل أو ما يشابهها.



صورة تمثل عملية تكوين المشيمة داخل الرحم



الصبغيات : الشيفرة السرية للخلق

[الاعجاز القرآني]

بعد ذلك الاستعراض البسيط لمراحل نشوء الانسان، نجد أنّ القرآن الكريم قد بيّن لنا تلك المعجزات والآيات الناطقة قبل مئات السنين، عندما كانت الجزيرة العربية والعالم يعيش في سبات عميق، وتخلف حضاري وعلمي كبير. حيث لا وجود للأجهزة الحديثة كالمجاهر وغيرها، ولا بحوث وباحثين.

أما العلوم الطبية فكانت بدائية لم تعرف التطور والتخصص الذي نشهده اليوم، كعلم التشريح الطبي، وعلم الأجنة الحديث.

بينما القرآن الكريم - في هذه الآية المباركة - يفصل ويصور مراحل النشوء والتطور البشري بأسلوب علمي رائع حدا بالعلماء والباحثين أنْ يقفوا إجلالاً وخشوعاً ورهبةً أمام عظمة الخالق الذي صور لنا حياة الانسان منذ بدايتها حين تعانقت البيضة مع الحيمن لتكوّن العلقة. وكيف أنّ العلقة تحولت إلى مضغة مُخلّقة وغير مُخلّقة، خلال عمليات بديعة ومدهشة تزيد في إيمان الانسان بعظمة الخالق الجبار.

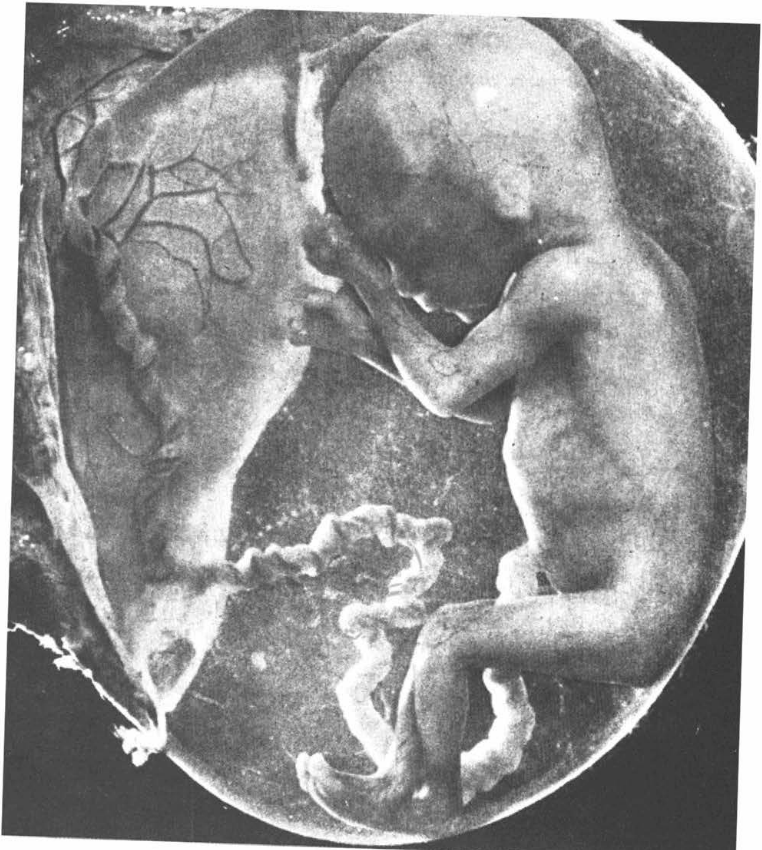
إذْ كيف يمكن للخلايا المضغية (Embryoblast) المتماثلة تماماً في بنائها أنْ تعطي الوريقات الثلاث التي أشرنا إليها وهي (الداخلية والخارجية والمتوسطة) المختلفة عن بعضها البعض؟!

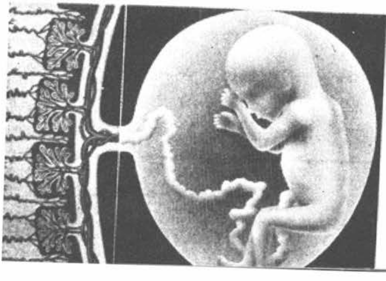
ثم كيف أنّ الخلايا المتماثلة في كل وريقة تعطي أجهزة مختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟!

فالوريقة (الخارجية) مثلاً، يتشكل منها الدماغ والأعصاب وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والشعر والأغشية المخاطية بالفم والأنف.

والوريقة (المتوسطة) يتشكل منها القلب والأوعية الدموية والدم والعظام والعضلات والكليتين وأدمة الجلد وقسم من الغدد الصماء.

أما الوريقة (الداخلية) فيتشكل منها مخاطية الجهاز التنفسي والطريق الهضمي والغدة الدرقية وجارتها والغدة الكظرية والكبد والبنكرياس.





صورة تمثل الجنين وهو يسبح داخل

الكيس الامينوسي

وهنا نتساءل: كيف أنّ هذه الخلايا المتماثلة تخصصت من تلقاء ذاتها لتعطي مراكـز الاحسـاس والشعـور والعاطفة، والمراكز العصبية الأُخرى، وكذلك مختلف الأعضاء والأجهزة، علماً بأنّ هذا التخصص والتكامل يحصل والجنين لا يزال صغيراً جداً، إذْ لا يزيد طوله على (٣٠) ملم ووزنه (٢ـ٣) غم عند نهاية الاسبوع السابع؟!

بعد عملية التخلق وإعجازاتها تنقلنا الآية الكريمة إلى حكمة إلهية أُخرى تمس مستقبل البشرية كافة. ويتجلى فيها الحب والعطف واللطف الالهي بأسمى وأجمل معانيه، وهي: أنّ الله وحده هو الذي يقرر ما يشاء في الأرحام: ذكراً كان أم أُنثى، ولمدة محدودة لا يعلمها إلاّ هو.

وصدق الله العلي العظيم عندما قال: ﴿يا أَيُّها ٱلنّاسُ إِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ في ٱلْأَرْحامِ ما نَشآءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ [1].

* * *

(١) سورة الحج: الآية ٥.

الموضوع الثاني

« آيات ناطقة »

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ.وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[1].

هلم تعلم :ـ

١ـ أنّ التجاويف الموجودة في الرأس هي للموازنة واتقاء الصدمات التي قد يتعرض لها الانسان خلال حياته اليومية.

٢ـ وأنّ الشعر لحفظ الرأس والبدن من الحر والبرد.

٣ـ وأنّ الجبهة بدون شعر لأنها مصب النور إلى العينين، وجعل فيها التجاعيد لمنع وصول العرق بسهولة إلى العينين والحاجبان مفرق العينين ليردا عليهما النور.

٤ـ وأنّ درجة حرارة الانسان ثابتة بالرغم من الفعاليات المختلفة التي يقوم بها الانسان، وهذا ما لا يوجد في أحسن الماكنات المصنوعة في العالم، حيث تتجاوز حرارتها حرارة جسم الانسان أضعاف المرات، بالرغم من صغرها وعدم قيامها إلا بوظيفة واحدة فقط.

٥ـ وأنّ العين لا توازيها أكبر وأحدث الكاميرات العالمية الموجودة، لأنها تصور ملايين الصور يومياً بدون إزعاج أو ضوضاء، وبمختلف الأحجام والألوان، وليس لها جهاز تحميض معقد مثل الكاميرات الحالية.

٦ـ وأنّ الأنف جعل في وسط العينين ليقسم النور إلى العينين بالتساوي،وأنّ ثقبه إلى الأسفل ليكون مصب الرواشح، والشارب والشفة لمنع نزول سوائل وروائح الأنف إلى الفم[2].

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٠ـ٢١.

(٢) طب الإمام الصادق(ع): للأستاذ محمد الخليلي.

٧ـ وأنَّ شرايين الدماغ والرأس والكلية والقلب والرئتين والجسم، تختلف من حيث التركيب والوظيفة بعضها عن البعض الآخر.

٨ـ وأنَّ الشعر والأظافر خالية من الحياة، لأنَّ طولها سمج وقبيح وقصها حسن، ولو كانت فيها حياة لآلَم الانسان قصها.

٩ـ وأنَّ الأذن لا تسمع الذبذبات الصوتية التي هي أقل من (١٦) موجة في الثانية، وأكثر من (١٦) ألف موجة في الثانية. وهذه نعمة من الله لأنَّ الانسان لو سمع جميع الأصوات لأُصيب بالخوف والهلع والموت وذلك من شدة الضوضاء التي قد يتعرض لها.

١٠ـ وأنَّ عدد ضربات القلب (٧٦) ضربة في الدقيقة، وتصل بمعدل (١٠٠) ألف ضربة يومياً أي (٤٠) مليون ضربة بالسنة أو ما يعادل (٢٠٠٠) مليون ضربة في الشخص المتوسط العمر[١].

١١ـ وأنَّ طي الركبة إلى الخلف لأنَّ الانسان يمشي إلى الأمام، فتعتدل الحركات، ولولا ذلك لسقط في المشي. والقدم مقوسة لأنَّ المشي إذا وقع على الأرض بكامل القدم ثقل الجسم وتعب.

١٢ـ وأنَّ جدار الأنف البسيط على الرغم من صغر مساحته ودقته، والذي يمر فيه الهواء ليل نهار بمعدل (٢٠) مرّة بالدقيقة، يعتبر من أدق وأعظم أجهزة التكيف الهوائي في العالم.

١٣ـ وأنَّ في المعدة يوجد (٣٥) مليون غدة معقدة التركيب لأجل الافراز، أمّا الخلايا الجدارية التي تفرز حامض (كلور الماء) فتقدّر بمليار خلية.

١٤ـ وأنَّ في العفج والصائم يوجد (٣٦٠٠) زغابة معوية في كل (سم^2) لامتصاص الأغذية المهضومة، وفي الدقاق (٢٥٠٠) زغابة، مع العلم أنَّ طول الأمعاء الدقيقة (ثمانية) أمتار.

---

(١) الأيديولوجيه الإسلامية: للشيخ عبدالحميد المهاجر.

١٥ـ وأنّ في مخاطية الفم يتوسف (٥٠٠,٠٠٠) خلية تعوض فوراً وذلك كل خمس دقائق.

١٦ـ وأنّ في اللسان (٩٠٠٠) حليمة ذوقية لتمييز الطعم الحلو والحامض والمر والمالح.

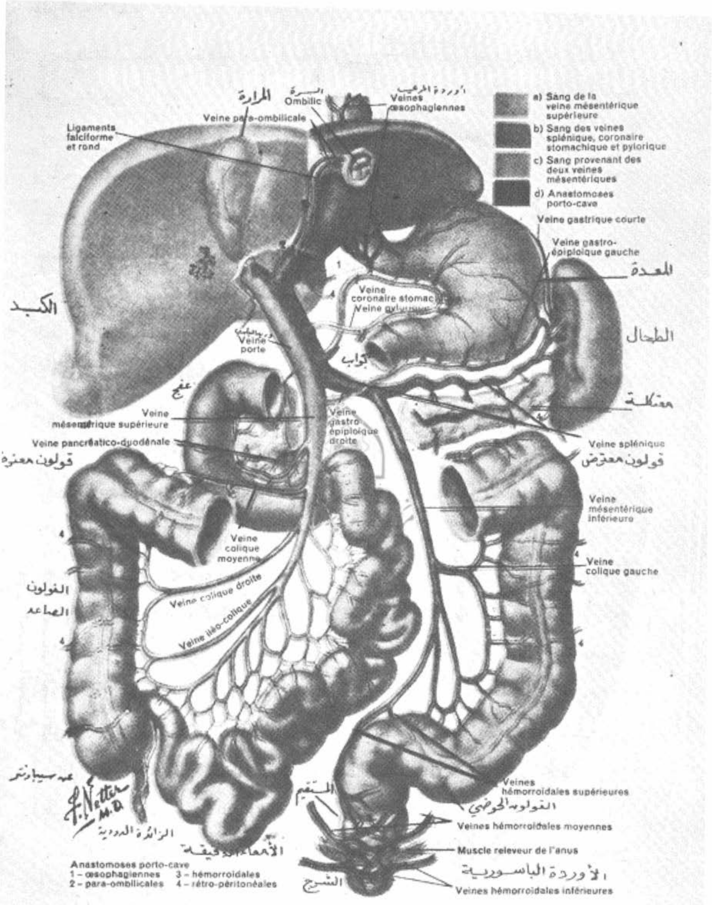
١٧ـ وأنّ الكريات الحمراء الموجودة في جسم الانسان لو وضعت بجانب بعضها في صف واحد، لأحاطت بالكرة الأرضية (٥ـ٦) مرات. أمّا مساحتها فتقدر بـ(٣٤٠٠) متر مربع، وعددها (خمسة) ملايين كرية حمراء في كل (مليمتر مكعب) من الدم، وأنّه يوجد في دم الانسان الكامل (٢٥) مليون المليون كرية حمراء لنقل الأوكسجين، و(٢٥) مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم، ومليون مليون صفيحة دموية لمنع النزف داخل الأوعية الدموية في حالة النزف.

١٨ـ وأنّ دفقة المني الواحدة عند الرجل تحوي (ثلاثمائة) مليون حيواناً منوياً، ولايتخلق الانسان إلاّ من حيوان منوي واحد يندمج مع بيضة واحدة من الأُنثى.

١٩ـ وأنّ الكلية الواحدة تحوي (مليون) وحدةً وظيفية لتصفية الدم تسمى (النفرونات)، ويرد إلى الكلية في مدى (٢٤) ساعة (١٨٠٠) ليتراً من الدم، ويتم رشح (١٨٠) ليتراً منه ثم يعاد امتصاص معظمه في الأنابيب الكلوية، ولا يطرح منه سوى (١,٥) ليتراً وهو المعروف بـ(البول) ويبلغ طول أنابيب (النفرونات) حوالي (٥٠) كيلومتراً، وأنّ الكلية الطبيعية بالرغم من صغر حجمها تقوم بمئات الوظائف، ولو أردنا أنْ نقوم بصنع كلية اصطناعية مماثلة لتطلب منّا مصانع كبيرة وكثيرة تأخذ حوالي (خمسة) كيلومترات مربعة من الأرض.

٢٠ـ وأنّ لسان المزمار الصغير الحجم الكثير الفعالية يعتبر أمهر وأحسن وأعظم شرطي مرور في العالم.

٢١ـ وأنّ تحت سطح الجلد يوجد (٥ـ١٥) مليون مكيّفاً لحرارة البدن ألا وهي الغدد العرقية.



المرارة
السرة
Ombilic
Veines
œsophagiennes
Veine para-ombilicale
Ligaments
falciforme
et rond
a) Sang de la veine mésentérique supérieure
b) Sang des veines splénique, coronaire stomachique et pylorique
c) Sang provenant des deux veines mésentériques
d) Anastomoses porto-cave
Veine gastrique courte
Veine gastro-épiploïque gauche
المعدة
الكبد
Veine
coronaire stomac
Veine pylorique
Veine
porte
بواب
الطحال
عفج
معثكلة
Veine
mésentérique supérieure
Veine
gastro
épiploïque
droite
Veine pancréatico-duodénale
Veine splénique
قولون معترض
Veine
mésentérique
inférieure
Veine
colique
moyenne
Veine
colique gauche
القولون
الصاعد
Veine colique droite
Veine iléo-colique
Veines
hémorroïdales supérieures
المستقيم
القولون الحوضي
Veines hémorroïdales moyennes
الزائدة الدودية
الأمعاء الدقيقة
Muscle releveur de l'anus
الأوردة الباسورية
الشرج
Veines hémorroïdales inférieures
Anastomoses porto-cave
1 – œsophagiennes 3 – hémorroïdales
2 – para-ombilicales 4 – rétro-péritonéales

٢٢ـ وأنَّ بصمات أصابع الانسان لا تتشابه من إنسان لآخر حتى في حالة التوائم.

٢٣ـ وأنَّ الجسم يستهلك من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة أي بمعدل (٧,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مليون خلية في الدقيقة الواحدة، وبنفس الوقت يتشكل ويتركب نفس العدد من الخلايا تقريباً.

٢٤ـ وأنَّ الكبد بحجمه المعروف يقوم بأكثر من (٦٠٠) عملية فيزيولوجية في اليوم.

٢٥ـ وأنَّ الرغامي عند الانسان تتفرع إلى قصبات ثم قصبات وهكذا، حتى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الأسناخ الرئوية، ويبلغ عد الأسناخ الرئوية حوالي (٧٥٠) مليون سنخاً، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجداره عرق دموي صغير يتم خلاله تبادل الغازات[١].

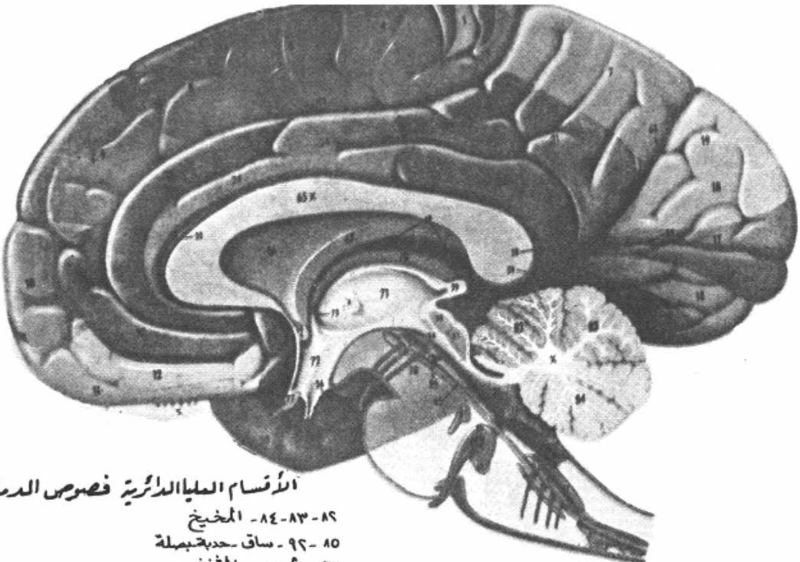
٢٦ـ في الدماغ (١٣) مليار خلية عصبية و(١٠٠) مليار خلية دبقية إستنادية تشكل سداً منيعاً لحراسة الخلايا العصبية من التأثر بأية مادة، والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية وكأنَّ الخلايا العصبية مستعصية على السرطان. وأنَّ الخلايا العصبية في جسم الانسان لو وضعت بصف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض[٢].

٢٧ـ تبدأ أسنان الانسان بالتعظم في بداية الشهر السابع من عمر الجنين، وتبدأ بالظهور في الشهر الخامس أو السابع وتسمى الأسنان اللبنية، وعددها (٢٠) سنّاً وتبدأ بالسقوط في بداية السنة السادسة وحتى الثالثة عشرة، كي تسمح بنمو الأسنان الدائمية التي تعدادها (٣٢) سنّاً.

واقتضت الحكمة الالهية جعل تلك الأعداد ثابتة عند الصغار والكبار، وذات

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم.
(٢) الطب محراب الإيمان: للدكتور خالص جلبي.



الأقسام العليا الدائرية فصوص الدماغ

٨٢-٨٣-٨٤- المخيخ

٨٥-٩٢- ساق حدبة بصلة

٦٥- الجسم الثفني

٦٦- الحجاب الشفاف

٧١- السرير البصري

٧٢- الطريق إلى الغدة النخامية.

٧٩- الغدة الصنوبرية

عبد أبوت

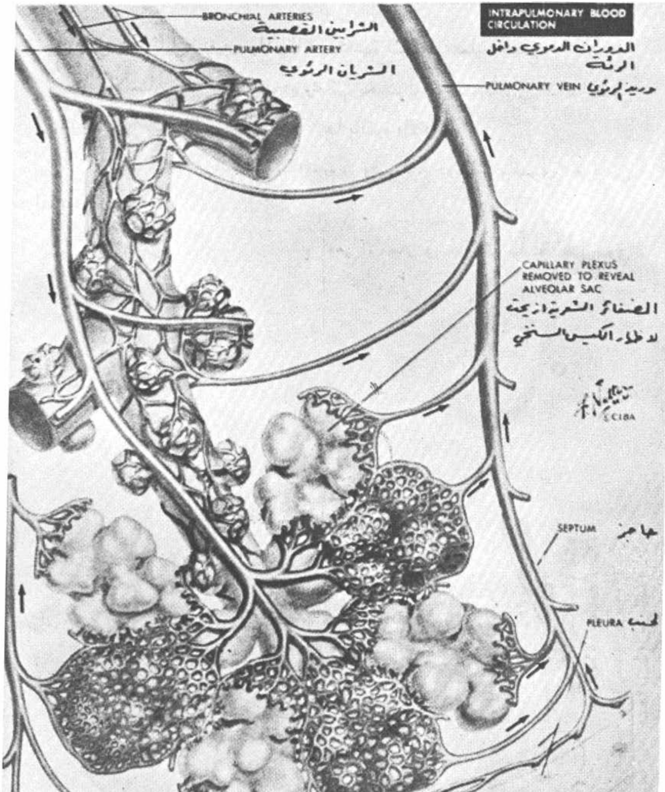
نسق جميل غير قابل للتغيير، ولها وظائف متعددة لتسهيل عملية الهضم.

والأسنان ذات تركيب قوي ومحكم، بحيث لو قورنت بأقوى آلات الطحن المصنوعة من الحديد الخاص لتفوقت عليها بالقوة والادامة.

وللأسنان خاصية فريدة ومتميزة، وهي عدم ذوبانها بأقوى الحوامض المعروفة كحامض (النتريك).

ويستفاد من الأسنان في تقدير عمر الانسان في حالات الطب العدلي، وفي تنظيم الصوت والكلام.

* * *



الشبكة الشعرية السنخية لتصفية الدم

الفصل الثامن
ـ الطب العدلي أو الشرعي ـ

هو علم تخصصي يضم بين دفتيه مجموعة من العلوم الطبية الحديثة، كعلم الكيمياء والسموم، وعلم الفيزياء والمجهر، وعلم النفس الشرعي، وعلم الجريمة والأسلحة وكيفية التعرف عليها، إضافة إلى دراسات كثيرة لبعض التأثيرات المختلفة التي تنتج عن العوامل الطبيعية.

كما أنَّ للطب العدلي دوراً فعالاً في معرفة السبب أو الأسباب الحقيقية لظاهرة أو جريمة معينة مع كشف الظروف والملابسات التي أُحيطت بها، وتشخيص الفاعل الأصلي الذي ارتكب تلك الجريمة من خلال إعطاء الاحتمالات أو الرأي القطعي وفق قواعد وأُسس علمية قويمة، يمكن بموجبها التعرف على مجمل أحداث الفعل الواقع وكونه جنائياً أم انتحارياً أم عرضياً، وتشخيص الجاني أو الجناة والآلة المستعملة، أو المادة السامة التي استخدمت حين حدوث الجريمة، وإعطاء التقرير النهائي عن المدة التقريبية التي وقعت فيها الجريمة أو الحادثة، وتفصيل حدوثها وفق أسانيد علمية وطبية واضحة.

وكان الطب العدلي في بدايته علماً بسيطاً يعتمد على الظواهر والأحداث والمشاهدات التي يتركها الجاني عند ارتكاب الجريمة أو الشروع بها، ولم يكن يواكب الأحداث والتطورات التي بدأت بالظهور في المجتمع وعصفت بأمنه واستقراره والتي منها:

١ـ استخدام التكنولوجيا العلمية الحديثة.

٢ـ اكتشاف الآلات والأسلحة النارية وتطورها.

٣ـ اكتشاف أنواع السموم المستخدمة لأغراض شتى.

٤ـ تعاطي المسكرات والمخدرات بكثرة.

٥ـ زيادة تناول الأدوية والعقاقير المختلفة خصوصاً المنومة منها والمسكنة.

٦ـ تطور الأساليب الاجرامية وتنوعها، وطرق تنفيذ الجريمة بشكل لم يكن في الحسبان أو التصور العقلي .

لهذا توجهت جهود العلماء والمختصين في حقل الطب العدلي للكشف عن طرق ووسائل علمية جديدة تواكب الأحداث وتفسرها وفق الامكانات المتاحة، ولتجعل من مهنة (الطب العدلي) مهنة متطورة تساير التطورات والوقائع التي تستجد داخل المجتمع بما توفر لديها من علوم ووسائل حديثة ـ علمية وطبية ـ تكون كفيلة بإعطاء القرار النهائي في ذلك الحدث الجنائي أو تلك الظاهرة.

الأمر الذي حدا بالدول والحكومات إلى إنشاء معاهد الطب العدلي وفق أحدث الدراسات الطبية والعلمية، وتتناول دروس هذه المعاهد وأبحاثها آخر ما وصل إليه العلم الحديث، حيث أُدخلت الآلات الحديثة في شتى مرافق الطب العدلي، إضافة إلى إلحاق المختبرات العلمية العديدة به، والتي قدمت الكثير من الدعم العلمي الذي يُمَكّن الطبيب العدلي من إبداء رأيه والأخذ به واعتباره قطعياً استناداً إلى النتائج المختبرية المعطاة.

وقد وظف الطب العدلي إمكاناته في خدمة العدالة والانسانية، وأخذت العدالة مجراها الطبيعي دون أن ينازعها منازع أو يراودها شك نتيجة رأيه العلمي الذي يتربع على جانب الصواب.

٧ـ ازدياد الجرائم الجنسية ـ كما تشير إليها الاحصاءات الرسمية بين فينة وأُخرى ـ دليل واضح على هذه المشكلة الخطيرة وأهميتها، والتي تقف عوامل اجتماعية وراءها من فقر وتفاوت طبقي وتحلل أخلاقي، وتمارس هذه الجرائم بشكل طبيعي في بعض بلدان العالم دون موانع وقيود تحد من انتشارها.

٨ـ ضعف الوازع الديني عند الفرد العادي وعدم إيمانه جعله فريسة الاصطياد والوقوع في حبائل الانحرافات والجرائم المختلفة التي شغلته عن نفسه،

وعـزلته عن دينه، الأمر الذي لم يدع له فرصة يراجع فيها دينه، ويلتمس المدنية الكاملة الصادقة، من معدن هذا الدين، ومن نسيج ثوبها القشيب من خيوط أحكامه ومبادئه.

٩ـ التسابق السريع للحصول على الأموال بطرق غير مشروعة، وبالجري اللاهث وراءهـا، نتيجة التقليد الأعمى والنظرة العجول، والشهوة الحمقاء، التي ساقت الكثير من الشبان، والكهول، بل والشيوخ، إلى هذا المزلق الخطر دون رادع من إيمان أو قانون أو ضمير.

الفوائد المتوخاة من الطب العدلي

١ـ مساعدة الجهات القضائية في كشف الحقيقة، وتشخيص السبب والمسبب خدمة للحق والعدل.

٢ـ رفع المظلومية التي تقع نتيجة الخطأ أو الشك أو الالتباس، عن بعض المتهمين، بسبب الحكم الظاهري على الحادث.

٣ـ كشف الجريمة وملابساتها، والتعرف على ظروف الحدث وغيره.

٤ـ تعيين الزمن الذي مضى على الحادث، أو ما يقرب منه.

٥ـ تشخيص الآلة أو السلاح المستعمل ونوعه.

٦ـ بيان الوسيلة التي استخدمت في تنفيذ العملية.

٧ـ التعرف على المادة الكيمياوية أو السم المستخدم عند الحادث.

٨ـ تقدير العمر للجاني والمجني عليه على وجه التقريب.

٩ـ بيان سلامة الجاني والمجني عليه من الناحية العقلية والنفسية.

١٠ـ إجراء الفحوصات المختبرية لمعرفة كمية المواد السّمية، أو المسكر، أو المخدرات، التي سببت الحادث.

١١ـ معرفة جنس الجاني والمجني عليه.

١٢ـ إصدار القرار النهائي بصدد الجروح المختلفة، سواء أكانت جنائية أو عرضية أو انتحارية.

١٣ـ التعرف على حوادث الاختناق أو الغرق، وكونها جنائية أم عرضية أو انتحارية.

١٤ـ تشخيص حالات الاعتداء الجنسي،وإصدار القراره النهائي من كونها حالات اغتصاب أو لا.

١٥ـ تشخيص البكارة وبيان سلامتها أو عدمها، وإعطاء المدة التقريبية لإزالتها.

١٦ـ كشف حالات اللواط المختلفة.

١٧ـ إجراء الفحوصات الخاصة بشأن الحمل، والتأكد من حالاته الحقيقية والكاذبة.

١٨ـ التحقق من كون الجنين أو الطفل المولود، هل جاء نتيجة عمل مشروع أو لا؟

١٩ـ التعرف على ظواهر الشنق والخنق المختلفة، وكونها حالات جنائية أم عرضية أم انتحارية.

٢٠ـ بيان حالة الوفاة وكونها طبيعية أو مشبوهة، وإصدار التقرير اللازم بصددها.

٢١ـ إجراء الفحوص على البقع الدموية والمنوية والشعور الموجودة للتوصل لمعرفة المتهم أو المجني عليه.

والقرآن الكريم تعرّض للطب العدلي في آيات عديدة شملت مواضيع مختلفة الجوانب والأبعاد، وهي تبين بجلاء وعلمية كيفية التعرف على الحقيقة بأسلوب علمي وعملي، فكانت بحق اللبنات الأساسية التي جعلت الطب العدلي يأخذ حيزاً لا بأس به في مجمل حياتنا الاجتماعية (الماضية والمعاصرة).

ولعلّ أعظم البراهين على عبقرية إنسان، هو ما يبتكر من الأعمال، أو الآراء المبتكرة التي لم يُسبق إليها. ونحن إذا تصفّحنا حياة الامام علي (عليه السلام) بتجرد علمي، رأينا أنه ابتكر أُموراً لم يُسبق إليها. ووثبة تفكيره إلى هذه الأوليات التي تفرد بها خير دليل على فطرة عبقرية مصفاة.

فالامام علي (عليه السلام) أُعجوبة من أعاجيب القضاء، لأنّه أوّل قاضٍ فرّق بين الشهـود لئلا يتواطأ اثنان منهما على شهادة تشوه جمال الحق، أو تطمس معالمه، فسنّ بهذه السُنة الحميدة البارعة للقضاء، ما يجعل سبيل الحق لهم واضحاً، وينزّه أحكامهم عن الشبهات، ويحول بين الذين يتلاعبون بضمائر الناس وبين ما طبعوا عليه من الغش، فلا يتمكنون من خداع القاضي.

وهو أوّل من سجّل شهادات الشهود حتى لاتتبدّل شهادة ـ باغراء من رشـوة، أو تدليس من طمـع، أو ميل مع عاطفـة ـ فكان بذلك مبتكراً من أعظم المبتكرين، لأنّ صيانة حقوق الناس من العبث والغش أثمن من حياة الناس نفسها. فجاءت الأجيال والأُمم والحكومات والدول لتسير على الأُسلوب الذي رسمه الامام الأعظم (عليه السلام). وهو أوّل مكتشف أو مبتكر للتفريق ما بين لبن أُم الأُنثى وأُم الذكر.

وروي في «كنز العُمّال في السنن والأقوال» ج٣ ص١٧٠ عن شريح القاضي قال: كنت أقضي لعمر بن الخطاب، فأتاني يوماً رجل فقال: يا أبا أُميّة! إنّ رجلاً أودعني امرأتين: إحداهما حرة مهيرة ـ أي غالية المهر، والجمع مهائر ـ والأُخرى سريّة، فجعلتهـما في دار، وأصبحت اليوم وقـد ولدتا غلاماً وجارية، وكلتاهما تدّعي الغلام، وتنتفي من الجارية، فاقض بينهما بقضائك.

قال: فلم يحضرني شيء فيهما، فأتيت «عمر» فقصصت عليه القصّة. فقال: «فما قضيت بينهما؟» قلت: «لو كان عندي قضاؤهما ما أتيتك!».

فجمع عمر من حضر من أصحاب النبي(ص) وأمرني فقصصت عليهم، فشاورهم في ذلك، فكلّهم ردّ الرأي إليه وإليّ..

فقال عمر: لكنّي أعرف حيث مفزعها، وأين منزعها.

قالوا: «كأنّك أردت ابن أبي طالب».

قال: «نعم، وأين المذهب عنه؟».

قالوا: «فابعث إليه يأتك!».

فقال: «لا، له شمخة من هاشم، وأثرة من علم، يؤتى لها، ولايأتي، وفي بيته يؤتى الحكم، فقوموا بنا إليه».

فأتينا إليه، فوجدناه في حائط يركل فيه على مسحاة ويقرأ: «أيحسب الانسان أنْ يترك سدى؟» ويبكي، فأمهلوه حتى سكن، ثم استأذنوا عليه، فخرج إليهم، وعليه قميص قدّ نصف أردانه.

فقال: «ياعمر! ما الذي جاء بك؟»

فقال: «أمر عرض!».

وأمرني فقصصت عليه.

فقال: «فيم حكمت فيها؟».

قلت: «لم يحضرني فيها حكم».

فأخذ بيده من الأرض شيئاً ثم قال: «الحكم أهون من هذا!».

ثم استحضر الامرأتين، وأحضر قدحاً ثم دفعه إلى إحداهما فقال: «احلبي فيه» فحلبت، ثم وزن القدح، ودفعه إلى الأُخرى فقال: «احلبي فيه» فحلبت فيه، ثم وزنه. فقال لصاحبة اللبن الخفيف: امضي وخذي ابنتك، ولصاحبة اللبن الثقيل: خذي ابنك.

ثم التفت (ع) إلى عمر فقال: «أما علمت أنّ لبن الجارية على النصف من لبن الغلام؟ وأنّ ميراثها نصف ميراثه؟ وأنّ عقلها نصف عقله، وأنّ شهادتها نصف شهادته!».

فقال عمر: «أرادك الحقّ ـ يا أبا الحسن ـ ولكن قومك أبوا...».

ومن إنسانيته التي لا تجارى، خبر المجنونة التي قامت عليها البيّنة في عهد عمر، أنّه فجر بها رجل، فأمر عمر بجلدها الحدّ. فمرّ بها الأمام علي(ع) فقال: «ما بال مجنونة آل فلان تقتل؟». فقيل له: «إنّ رجلاً فجر بها وهرب، وقامت البينة عليها، فأمر عمر بجلدها!» فقال(ع): ردّوها إليه وقولوا له: أما علمت أنّ هذه مجنونة آل فلان، وأنّ النبي(ص) قد رفع القلم عن المجنون حتّى يفيق، إنّها مغلوبة على عقلها. ونفسها فردّت إليه، وقيل له ذلك، فقال: فرّج الله عنه، لقد كدت أهلك في جلدها!...

ومن مواهبه (ع) ليتمكن من الوصول إلى الحقيقة ما ذكره عنه الأصبغ بن نباتة قال: «إنّ شاباً شكا إلى علي(ع) نفراً، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا، ولم يعد أبي فسألتهم عنه. فقالوا: مات، ما ترك شيئاً، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح القاضي فاستحلفهم وخلّى سبيلهم. فدعا عليّ بالشرط، فوكّل بكلّ رجل رجلين وأوصاهم أنْ لايمكّنوا بعضهم أنْ يدنو من بعض، ولا أنْ يمكّنوا أحداً يكلمهم.

ودعا كاتبه، ودعا أحدهم فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أُصيب بماله؟ وسأل عمن غسله ودفنه؟ ومن تولى الصلاة عليه؟ وأين دفن؟ والكاتب يكتب، فكبر علي(ع)، فكبّر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم، إلاّ أنهم ظنوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم.

ثم دعا آخر بعد أنْ غيّب الأول من مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد يخبر بضد ما أخبر صاحبه.

ثم أمر برد الأول فقال: يا عدوّ الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلاّ الصدق، ثم أمر به إلى السجن وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلمّا أبصر القوم الحال، لم يشكّوا أن صاحبهم أقرّ عليهم.

فدعا آخر منهم فهدّده فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهاً لما صنعوا. ثم دعا الجميع، فأقروا بالقصة، واستدعى الذي في السجن. وقيل له: قد أقرّ أصحابك

ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بها أقرّ به القوم فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل».

ونحن إذا رأينا ما يقوم به محققو أيامنا نعلم أنهم ينسجون على منوال الامام الحكيم، اللّهم إنّ الامام استعمل ذكاءه وفطنته، وهؤلاء كثيراً ما يستعملون التعذيب، ليحصلوا من المتهم على الاقرار الذي يبتغونه!...

ومن ذلك قصة التي ولدت لستة أشهر، وحادثة المرأة التي زنت وهي حامل، وقصة التي جحدت ابنها. وهذا الاجتهاد يدل على ما وهب الله لوصي رسول الله(ص) من العلم والذكاء الذي يبلغ حد المعجزة، ولولا ذلك لظلم هذا الولد، لكن الامام(ع) أدرك من ارتباك المرأة أنّ في قضيتها سراً، وأنّ المرأة إذا كان في قلبها ذرة من الايمان والأنسانية لن تقبل الزواج بابنها، فكان ذكاؤه وعلمه واجتهاده السبيل إلى حل هذه المعضلة[1].

فهذه القضايا تدل بداهة على ما وهب الله للامام علي(ع) من صفاء العقل، وذكاء الرأي، وصفاء الحكمة، وخلوص النية، ونقاء الضمير، بحيث لا تلتاث عليه قضية، مما جعل عمر بن الخطاب يقول: «لولا علي لهلك عمر».

وحبّ الامام للعدل، وتقديسه إيّاه، جعله يقف أمام قاضي الحكومة مدّعياً بدرع له على خصم يهودي، ولما لم تتوافر له الأدلة خسر الدعوى فلم يتبرّم، ولم يتذمّر، ولولا إقرار اليهودي بصحة ادعاء الامام، ما تراجع القاضي عن حكمه.

ولتقديسه العدالة، باشر تنفيذ الحدّ بنفسه على والي الكوفة ـ الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ـ يوم ثبت أنّه يتعاطى الخمر!

وصدق الله العلي العظيم حين قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ. بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[2].

---

(١) للمزيد من الإطلاع يراجع كتاب «قضاء أمير المؤمنين» للشيخ محمد التستري.

(٢) سورة القيامة: الآيتان ٣و٤.

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾[1].

﴿وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ ٱلْمُسْتَعانُ عَلَىٰ ما تَصِفُونَ﴾[2].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلآ أَنْ رَءا بُرْهانَ رَبِّهِ﴾[3].

﴿قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكاذِبِينَ. وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصّادِقِينَ﴾[4].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَلاتَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَأُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْفاسِقُونَ﴾[5].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنّا قَتَلْنا ٱلْمَسِيحَ عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّ ٱتِّباعَ ٱلظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾[6].

﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِها ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[7].

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٣) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٤) سورة يوسف: الآية ٢٦_٢٧.

(٥) سورة النور: الآية ٤.

(٦) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٧) سورة النور: الآية ٢٧_٢٨.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[1].

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[2].

* * *

(١) سورة يوسف: الآية ٧٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦.

الموضوع الأول
« الإغراء والاغتصاب »

﴿قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ. وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ (١).

كان يوسف (ع) يسحر العقل بجماله، ويأخذ بالأبصار من حسنه، يبهر العيون وتنجذب إليه القلوب هيبةً، حَسَن الطالع، جميل المحيّا، محبوب الصوت، كامل الخَلق والخُلُق، ذا جلال تشد إليه الأبصار وتجله النفوس، تتعذر العين من النظر إليه طويلاً، وليس بمقدور القلب أنْ يتركهُ ويفارقهُ طويلاً. لأنَّ النفس أصبحت أسيرة ما وهبه الله له من الجمال والكمال والهيبة، فتتلهف لسماع حديثه وطراوة لسانه وعذوبة صوته.

تلك الصفات الجميلة، مضافاً إليها ما وهبه الله له من الحكمة والعلم، جعلت من يوسف أنْ يدخل إلى العقول والقلوب بيسر وسهولة، ويسيطر عليها بقوة واقتدار وكأنه أصبح ملكاً. ﴿فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (٢).

لهذا السبب أخذت امرأة العزيز ـ وكان يوسف(ع) يعمل في بيتها ـ تراوده عن نفسه، بعد أنْ غلبت عليها الشهوة، وأضلها الشيطان عن الطريق القويم، فقامت بإغلاق أبواب الدار، وهي تأمل في نفسها ما تأمل. وتمر لحظات حساسة وحاسمة وبها يسيطر الايمان على قلب يوسف(ع) فينشغل عنها بذكر الله والخشية منه. ويحاول الانصراف من البيت وتركه لاعناً الشيطان ووساوسه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٦ و٢٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣١ و٣٢.

﴿وَراوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ ٱلظّالِمُونَ. وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَءا بُرْهانَ رَبِّهِ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

ويجري يوسف(ع) نحو باب الدار في عملية سباق وصراع محاولاً الهرب من ذلك الموقف الشيطاني الذي حصل في الدار. في حين بذلت هي كل المحاولات بعد أنْ استزلها الشيطان، فتتبعه وكلها رغبة واندفاع حتى أمسكت قميصه وسحبته بقوة كي لا يترك دارها، ويوسف(ع) يحاول فتح الباب حتى تمزق قميصه، تخلصاً من ذلك الموقف.

﴿وَٱسْتَبَقا ٱلْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدا ٱلْبابِ قالَتْ ما جَزآءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءاً إِلّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وكان العزيز عند الباب مما أسقط في يدها وذهب ما كانت تسعى إليه. فتتدارك الموقف وتظهر نفسها بمظهر البريئة المظلومة، وتدّعي خلاف الحقيقة والواقع، وتحاول إلصاق التهمة بيوسف، ويوسف(ع) يدافع عن نفسه. وامرأة العزيز تصر على الاتهام بعناد.

وهنا تتدخل العناية الالهية الحكيمة للدفاع عن يوسف(ع) لتبريء ساحته من التهمة الموجهة إليه، ولتصون شرفه وسمعته أمام العزيز والمجتمع، حيث تجري حكمة إلهية على لسان طفل صغير كان موجوداً في البيت، وهذا اللطف الرباني والقانون العدلي كان ولايزال مصدراً مفيداً من مصادر الطب العدلي في وقتنا الحاضر، وينطلق لسانه بالحق: ﴿قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكاذِبِينَ. وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٥.

فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1].

وهذا البرهان الواضح والدليل الساطع الذي جرىٰ على لسان ذلك الصغير أبعد التهمة عن يوسف بصورة علمية وعقلية جعلت العزيز يقتنع ببراءة يوسف(ع) وكذب امرأته، فلم تأخذه العاطفة أو الحكم الظاهري على ما شاهده ورآه بأم عينيه.

ومن المعروف طبّياً أنّ هنالك علامات ودلائل تحدث أثناء أي عملية اعتداء أو اغتصاب تحصل بين رجل وامرأة. ومن خلال معرفة تلك العلامات والدلائل يتمكن المحقق والطبيب العدلي من التوصل لمعرفة الواقع والحادث وكونه جنائياً أو غيره. بعد دراسة الظروف المحيطة بالمتهمين، ومقارنة الأدلة الواقعة والمقدمة من كلا الطرفين لاثبات ادعاء كل منهما.

ويعرف (الاغتصاب): بأنه حالة الاتصال الجنسي مع امرأة دون رضاها. وقد يحصل في الكثير من الحالات أنْ تكون المرأة موافقة على عملية الاتصال ثم تشعر بالندم على ما أقدمت عليه، لاسيما إذا انكشف أمرها، فعند ذلك تحاول التخلص من العار والفضيحة وإلقاء تبعة ذلك على الرجل، مدعية أنه اعتدى عليها بالقوة أو بالاغراء أو باستعمال مواد مسكرة ومخدرة.

وهذا بالضبط ما حصل بين يوسف(ع) وامرأة العزيز التي اتهمت يوسف(ع) بمحاولة الاعتداء عليها بعد أنْ اكتشفت زوجها على الباب، فحاولت دفع التهمة عنها وإلصاقها بيوسف(ع).

* * *

(١) سورة يوسف: الآية ٢٦ ـ ٢٨.

[علامات الاغتصاب عند المرأة]

وتكون تلك العلامات موضعية في الجهاز التناسلي للمرأة، أو علامات عامة سببها مقاومة المرأة للاعتداء.

(١) العلامات الموضعية:

أ ـ تمزق غشاء البكارة عند الباكر.

ب ـ نزف دموي مختلف الشدة مصدره غشاء البكارة.

ج ـ دفق منوي يرافق الاغتصاب تظهر آثاره في المهبل وثياب المرأة وكذلك على جلد الناحية التناسلية للمرأة.

د ـ وجود كدمات وسحجات على الجزء الداخلي للفخذ والناحية التناسلية.

هـ ـ وجود شعور غريبة على الأجزاء الداخلية للفخذين والناحية التناسلية.

و ـ حدوث التهاب أو مرض جنسي نتيجة العدوى الحاصلة من عملية الاغتصاب.

ز ـ حصول الحمل عند المرأة المغتصبة.

(٢) العلامات العامة:

وتنتج من مقاومة المرأة للرجل أثناء الاعتداء، وتدل على عدم رضا المرأة، وتبدو هذه العلامات بشكل كدمات أو سحجات ظفرية وخدوش على الجهة الأمامية الأُنسية للفخذين عند محاولة المعتدي إبعاد فخذي الضحية، كما تُشاهد على الأيدي والذراعين أو الوجه وحول فوهتي الأنف والفم عند قيام المعتدي منع الضحية من الصراخ، وتبرز على العنق عند محاولة الخنق.

وتفحص الملابس الداخلية للمرأة للكشف عن وجود بقع دموية أو منوية أو شعور حدثت نتيجة الاعتداء، أما الملابس الخارجية فتفحص بعناية ودقة للكشف عن وجود البقع المختلفة المار ذكرها، إضافة لوجود التمزقات المختلفة التي تدل على عدم

الرضى والمقاومة. كذلك تفحص الشعور الموجودة على الملابس ومقايستها مع شعور المعتدي.

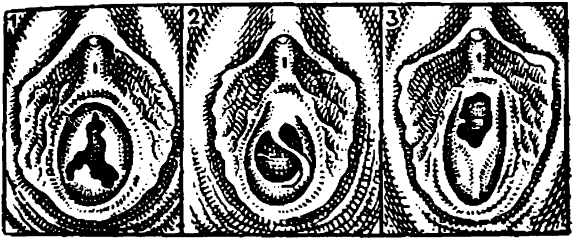
علامات الاغتصاب عند الرجل

إذا تم الاغتصاب بعد تغلب الجاني على مقاومة المرأة، بدت عليه علامات المقاومة بشكل سحجات وكدمات وخدوش وعضّات في الوجه واليدين، أو أي مكان آخر من جسمه.

كما تظهر آثار المقاومة على ثيابه بشكل تمزقات وشقوق. ويفتش دوماً عمّا قد عُلِقَ بجسمه من شعور المجني عليها. فتفحص للتأكد من مصدرها. كذلك تفحص البقع الدموية التي تشاهد على ثيابه وتقارن مع فئة دم المجني عليها لمعرفة مصدرها. ويتم أيضاً التفتيش عن البقع المنوية وفحصها إذا وجدت. ويفحص المتهم عن الاصابات الزهرية وتقارن مع ما يكشفه الفحص عما تحمله الضحية من هذه الأمراض[١].

* * *

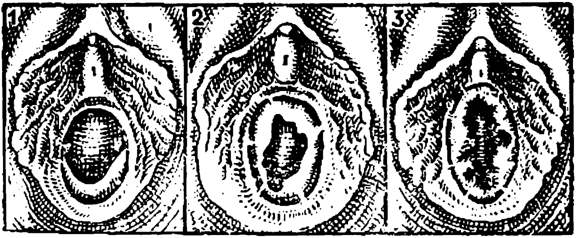
(١) الطب الشرعي: د.زياد درويش.



١ ــ غشاء بكارة مفصص .

٢ ــ غشاء بكارة جسري .

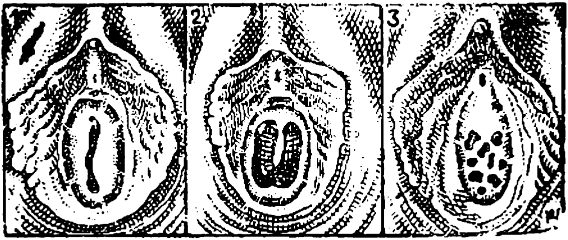
٣ ــ غشاء بكارة متليف لم يتمزق بالجماع . (عن سيمونان)



١ ــ غشاء بكارة هلالي .

٢ ــ غشاء بكارة حلقي ذو حافة غير منتظمة .

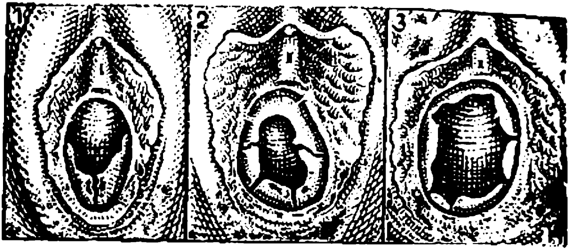
٣ ــ غشاء بكارة ذو حافة مهدبة . (عن سيمونان)



١ ـ غشاء بكارة عمودي .

٢ ـ غشاء بكارة جسري ـ فتحتا الغشاء متصلتان في الخلف .

٣ ـ غشاء بكارة غربالي .　　　　(عن سيمونان)



١ ـ تمزق وحيد تالي للجماع في غشاء بكارة هلالي .

٢ ـ اربعة تمزقات في غشاء بكارة حلقي تالية للجماع .

٣ ـ شكل غشاء البكارة بعد الجماع المكرر ـ الحليمات الآسية .

الموضوع الثاني
ـ أسرار البنان ـ

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[1].

ما فائدة الأصابع ومفاصلها والأظافر فيها؟ وَلِمَ كانت متفاوتة في الطول والقصر؟

من فوائد الأصابع والأظافر تزيين الانسان والقدرة على لقط الاشياء الصغيرة كالابرة ونحوها ومسك القلم ورفع الأشياء عن الارض، ومن فوائد الاظافر القدرة على الحك وحفر بعض الأشياء ووقاية الأصابع من الفساد عند مزاولة العمل باليد، فهي بمنزلة الحديدة التي في أسفل العصا. وجعل في الأصابع مفاصل ثلاثة وعظام ثلاثة مربوطة بأعصاب قوية للقدرة على طيها عند إرادة القبض بها ومزاولة مثل ما مرّ، ولو كانت اليد قطعة واحدة لما قدر الانسان على شيء من أعمال اليد، وإلى عجائب خلق الأصابع الإشارة بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

وبالأصابع ومفاصلها يمكن العد، وجعلت متفاوتة في الطول والقصر لتكون أعون على القبض بها، ويمكن حفظ المقبوض فيها فيصير الابهام والخنصر بمنزلة الصمامتين ولذلك كانا أقصر الكل، والسبابة والبنصر أقصر من الوسطى ليتشكل من الجميع شبه إناء، وجعل الابهام متباعداً كثيراً عن السبابة ليكون معها كالعقدة حين القبض على شيء، إلى غير ذلك من الفوائد التي لاتحصى، فجلّ من لا يدرك حكمته إلاّ هو، وتباً لمن أنكره وهو يرى آثار خلقه العجيبة.

يحوي القرآن الكريم حوالي (٧٥٠) آية أو أكثر تختص بالعلوم الكونية، وهي

(١) سورة القيامة: الآية ٣و٤.

بحق مشاعل مضيئة وسط العلم الحديث، وهداية لا يعتريها خطأ أو يمسها تعديل لما سيكشف في المستقبل.

«ليس لأحد مهما أُوتي من علم غزير وكفاءة فائقة ونبوغ مرموق أنْ يفسر جميع الآيات الكونية في القرآن تفسيراً علمياً ناصعاً كاملاً غير ناقص. وهكذا كلما تكامل العلم المادي ظفرنا بحقائق جديدة سبق كلام الله المجيد إلى ذكرها بإيجاز»[1].

وظـل سر بعض تلك الآيات خافياً على الناس والعلماء حقبة طويلة من الـزمن، ولم تعـرف حقيقته إلاّ في العصر الحاضر نتيجة تطور العلوم والاكتشافات واستخدام التكنلوجيا الحديثة وآخر المخترعات. فتكشفت لنا بعض الأسرار القرآنية، وما تحتويه من الاعجازات الكبرى التي تجعل العالم والجاهل يزداد إيماناً بعظمة الخالق الذي خلق الأشياء بحكمة وإتقان. وإنْ كان البعض ولا يزال قد تساوره الشكوك حول العديد من المسلّمات والحقائق القرآنية الألهية كيوم القيامة والمعاد وغيرها.

أولى الاسلام قضية البعث اهتماماً خاصاً، إذ كان البعث مضلة للكثير من الضالين، لما وقع في تصورهم من استحالة أنْ يعود الانسان إلى الحياة مرة أُخرى بعد أنْ تذهب معالمه في الأرض، ويصبح تراباً من ترابها.. بل إنَّ كثيراً من المشركين كانوا على استعـداد لأن يؤمنـوا بالله وحده، وأنْ يطرحوا هؤلاء الشركاء الذين اتخذوهم معبودين مع الله، ليكونوا شفعاء لهم عنده، على حين أنهم لم يكونوا مستعدين بحال أن يؤمنوا بالبعث بعد الموت، ومن ثم كان تكذيبهم للنبي إذْ جمع في دعوته إياهم إلى الايمان، الايمان بالله، والايمان باليوم الآخر.

وهـذا، لم يذكر القرآن الكريم عن المشركين ما كان من اعتراضهم على الإيمان بإله واحد، ما ذكره عنهم في كثير من المواضع من إنكارهم للبعث.

---

(١) التكامل في الإسلام: العلامة الفيلسوف د.احمد امين الكاظمي ج٦ ص١٨.

فإذا ذكر القرآن عنهم في انكارهم لوحدانية الله قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾[(١)].

وقولهم: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قالُوا وَما ٱلرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَزادَهُمْ نُفُوراً﴾[(٢)].

إذا ذكر القرآن عنهم وجهاً واحداً لاعتراضهم على وحدانية الله، ذكر عنهم ألواناً من الجدل، وصوراً من الاحتجاج على استحالة البعث، وذلك كما في قوله تعالى على لسانهم:

﴿وَقالُوا أَءِذا ضَلَلْنا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[(٣)].

وقولهم: ﴿أَءِذا مِتْنا وَكُنّا تُراباً وَعِظاماً أَءِنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[(٤)].

وقولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[(٥)].

إلى كثير من مئات الآيات التي تعرض أقوال المشركين في البعث، وترد على هذه الأقوال، وتنقضها، وتسفه أحلام الذين يرددونها.

ولهذا لم يقبل الاسلام إيمان من لا يؤمن بالله، ثم لايؤمن باليوم الآخر، ولا بلقاء الله، ولا بالوقوف بين يديه ليحاسب عمّا عمل في الدنيا، وليلقى جزاء ما عمل من خير أو شر.

وليس البعث لمجرد البعث، وإنما هو للحساب والجزاء، والجنة أو النار.

ما الحياة الدنيا في شريعة الاسلام إلاّ معبر إلى الآخرة، وإلاّ امتحان للانسان، يكشف فيه عن جوهره، ويخرج الثمر الطيب أو الخبيث منه.. وهذا الثمر

---

(١) سورة ص: الآية ٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٠.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٠.

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٨٢.

(٥) سورة سبأ: الآية ٧.

هو زاده إلى الحياة الآخرة، فإنْ تزود في دنياه بالأعمال الطيبة الصالحة، وجد في الآخرة الحياة الطيبة الصالحة، وإنْ تزود بالخبيث الكريه، وجد هناك الحياة الخبيثة الكريهة.

قليل من النـاس أُولئـك الذين يرحلون عن هذه الحياة الدنيا، دون أنْ تنازعهم أنفسهم إلى التعلق بها والحنين إليها، مهما كان سوء حظهم فيها، وشقاؤهم بها..

الناس جميعهم ـ إلاّ هذه القلة القليلة ـ يتعلقون بالحياة راغبين في المزيد من البقاء فيها، ولو أخذت منهم الأيام، وألحت عليهم العلل، وحطمتهم السنون.. فحب البقاء طبيعة كل حي، وهو في الانسان طبيعة وإرادة معاً.. طبيعة تدفعه إلى حفظ نفسـه، بالابقاء على ذاته أطول عمر ممكن، وإرادة تخلقت في الانسان من اتصاله بالحياة، واختلاطه بالأحياء، وانفساح آماله بينهم، وامتداد آثاره فيهم.

والموت هو الذي يقطع على الانسان حبل هذا الرجاء، ويقتل في نفسه كل دواعي هذا الأمل في امتداد الحياة إلى غاية لا نهاية لها.

ومع هذا، فقد رفض العقل الانساني منذ أول مرحلة من مراحل تفكيره أنْ يجعل الموت خاتمة نهائية لحياة الانسان.. وقد اتخذ لذلك عدة أساليب، يخفف بها من سطوة العدم الذي يخيل إليه أنه سيحتويه بعد الموت.. فأقام المقابر لموتاه، وسعى إليهم ـ في أوقات مختلفة ـ يناجيهم، ويبثهم ما بصدره من حنين وأشواق، حتى لكأنهم في سفر قد طال وهو ينتظر عودتهم، ولقاءهم بعده.. ثم حول المقابر وعليها أُقيمت التماثيل للمـوتى وتُليت الأدعية، وقدمت القرابين، ليجد الميت في ذلك ما يهنأ به ويستريح إليه.

وهكذا، أقام العقل الانساني حياة ـ على أية صورة ـ في عالم الموتى.. ولم يؤمن العقـل أبـداً بأن وراء الموت هذا العالم الذي يلفه العدم المطلق، كما يتوهمه الماديون الذين عرفهم الناس جيلاً بعد جيل.

ولقـد كان أهم ما ميّز دين المصـريين القـدماء، هو فكرة الخلود، ووصل الانسان بعد الموت بحياة جديدة، وتلك الفكرة هي جرثومة التفكير التي تخلقت منها

الديانة الفرعونية، والتي قامت في ظلها حضارة الفراعنة.

وقـد تنقلت هذه الفكرة في الانسانية، وصحبت أطوار طفولتها، وصباها، وشبابها، وكهولتها، وتخلق من كل أولئك صوراً وأشكالاً للخلود، بعضها ساذج يثير الضحك المشوب بالعطف والألم معاً، على أولئك الذين قدموا أنفسهم قرباناً وثمناً للخلود، وبعضها ذكي عبقري يكشف عن عظمة الانسان، واستحقاقه للخلود.

ثم جاء دور الديانات السماوية، فالتقت مع ذكاء الانسان وعبقريته، وكشفت له عن حقيقة هذا الخلود الذي وقع في تفكيره، واستقر في ضميره، ولكنه لايجد له الدليل الذي يقيمه مقام اليقين في كيانه، فجاءته كلمات السماء بالبيان المبين عن الحياة الآخرة، وما فيها من حساب، وثواب، وعقاب، وجنة ونار.

فالديانات السماوية كلها تحمل إلى الناس عقيدة البعث والحساب والجزاء، وتجعل الايمان بهذه العقيدة مقروناً بالايمان بالله، ومكملاً لهذا الايمان.

واتباع الديانات السماوية الثلاث اليوم، الموسوية، والعيسوية، والاسلامية، يؤمنون بالحياة الآخرة، وبالحساب، والجنة والنار، ولكن مع اختلاف في المفاهيم والتصورات..

هذه الشكوك والوساوس الشيطانية تطرح نفسها على الانسان ـ غالباً ـ بصيغة سؤال ملغوم، وهو: كيف يمكن أنْ يبعث ويعاد ذلك الانسان الذي أكله الدود وبليت عظامه، وأصبح ذرات صغيرة متناثرة، إلى وضعه الأول قبل الموت؟

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

سؤال ساذج وتفكير محدود شغل ذلك الانسان المسكين، فلم يعد يتصور أو يفكر في بداية خلقته عندما كان نطفة لاترى بالعين المجردة، وكيف تطورت بأمر الله؟ فأصبحت تدريجياً إنسـانـاً كامـلاً في الصفات والخلقة، يمتلك من الأجهزة المعقدة

---

(١) سورة يس: الآية ٧٨ـ٧٩.

والعديدة ما يبهر العقول والأبصار.

ومع ذلك، فأنَّ الألطاف الالهية لا تنقطع عن الأنسان، فهي رحمة دائمة توجه الانسان نحو الخير والهداية، وهذا من أسمى علامات الحب والرحمة الالهية عليه كي تجعله يدرك الحقيقة والصلاح.

فالباري جلَّ جلاله وعظمت أوصافه، يخاطب الانسان في هذه الآية الكريمة وعقله، بطريقة علمية وإعجازية مقنعة تذهب عنه الشك وتزيده من اليقين، وتجعله يرى الحقيقة بأُم عينيه، فيقتنع بها بعد أنْ يكتشف بنفسه شيئاً من القدرة والاتقان والإعجاز الالهي العظيم في كيفية خلق وتصوير الانسان.

ولا عجب في ذلك فالذي خلق الأنسان من تراب قادرٌ على أنْ يعيد عظامه البالية إلى حالها ووضعها الأوّل، بل وأكثر من ذلك له القدرة على إعادة البنان إليه بكل ما يحمله من دقة في التركيب والاختلاف، فلو فحصت البصمات التي يحتويها البنان لما وجد اثنان متشابهان على وجه المعمورة، وهذه الدقة المتناهية تمثل إحدى وجوه القدرة الالهية التي لا تحصى ولا تُعد.

لقد ظل سر بصمات بنان الانسان مجهولاً لا تعرف ماهيته فترة طويلة من الزمن، حتى اكتشف العلماء المجاهر الحديثة التي وقفوا بواسطتها على أحد الأسرار الربانية التي أذهلت العلماء والباحثين، وجعلتهم يزدادون إيماناً وخشوعاً لعظمة الله وقدرته. وأصبح واضحاً كوضوح الشمس أنَّ لكل إنسان بصمته الخاصة التي تميزه عن الآخرين، وتدل عليه بطريقة لا تقبل الغلط أو الاشتباه.

ولو سألنا العباقرة من الرسامين والعلماء أنْ يرسموا (وليس يصنعوا) مئات البصمات المختلفة لعجزوا عن ذلك. وهذا برهان عملي على أنَّ مليارات المليارات من البصمات المختلفة التي لا تشبه بعضها بعضاً هي من صنع إله قادر متمكن عظيم إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

وهنا نصل إلى نتيجة يقبلها العقل والعلم، وهي أنَّ الذي صنع تلك المليارات

من البصمات التي لا تتشابه أو تتجانس، له القدرة على إعادتها لأصحابها الأصليين بشكلها وهيئتها الأولى، وهو بلا ريب قادر على جمع وإعادة عظام الانسان التي أبلاها الدهر.

وفي الوقت الحاضر يطلق على عملية فحص البصمات والتعرف على أصحابها بـ(علم الاستعراف بالبصمات). كذلك تمكن العلماء في الوقت الحاضر من كشف معجزة إلهية أخرى للبنان غير البصمات وهي: أنّ ذبذبات الخطوط أو الكتابة التي تتكون من جراء مسك القلم بالبنان والضغط عليه حين الكتابة، تختلف من شخص لآخر عند ملايين الناس، ولا يمكن أنْ تتطابق تلك الذبذبات عند اثنين مهما حاولا التقليد أو التلاعب في ذلك.

وهذه المعجزة الالهية التي حصلت بفضل البنان كان لها دور كبير في حل المشاكل والمعضلات والمنازعات التي حصلت أو سوف تحصل، حينما يدعي بعض الناس أنّ الكتابة أو التوقيع الموجود في الرسالة أو العهد أو الاتفاق أو المقاولة أو الصك لا يعود إليهم.

وعندها تقوم الجهات القضائية المسؤولة بمقارنة ذبذبات خطوط المدعي والمدعى عليه بالمجاهر الخاصة، وبعدها تعطي الرأي القاطع حول القضية، لأنّ الفحوصات دقيقة لا تقبل الطعن أو التشكيك، حتى قيل: أعجب ما في الانسان أربعة: إختلاف الأصوات، والوجوه، والبنان، وذبذبات الخطوط.

[الاستعراف بالبصمات]

يحوي الجلد من راحة الأيدي والأقدام ولب الأصابع على إنشاءات دقيقة تشكل ارتفاعات وانخفاضات خطية تأخذ أشكالاً مختلفة. وتتكون هذه الانشاءات في الشهر السادس من الحمل ولا يطرأ عليها أيّ تبدل بعد الولادة، وتبقى بعد الوفاة حتى تفسخ الجثة.

وتختلف أشكال بصمات لب الأصابع من شخص لآخر لدرجة أنّ إحتمال

وجود بصمتين متشابهتين تماماً عند شخصين من سكان العالم بعيد جداً، قدّر بواحد بين (٦٤) مليارد.

وحالياً صنفت البصمات تصنيفاً سهلاً لجعلها أفضل وسيلة للاستعراف في الوقت الحاضر. وقسمت البصمات حسب أشكالها إلى أربعة أنواع:

١ـ الأقواس: وفيها تمر الخطوط من أحد جانبي البصمة إلى الآخر دون أنْ تشكل زاوية أو مركزاً.

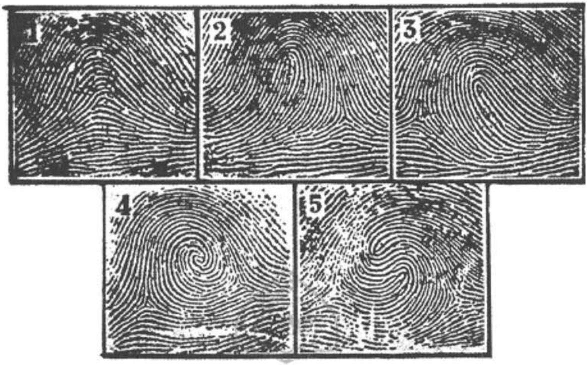
٢ـ المنحدرات اليسارية: وفيها تمر الخطوط بشكل عروة متجهة إلى اليسار تاركة زاوية في الأيمن.

٣ـ المنحدرات اليمينية: وتكون فيها العروة مفتوحة من الجهة اليمنى، وتقع الزاوية في الأيسر.

٤ـ المستديرات: وفيها تدور الخطوط حول مركز في الوسط على شكل دائري، ولها زاويتان: إحداهما في اليمين، والأُخرى في اليسار.

٥ـ البصمات المركبة: وهي التي تشتمل على أكثر من نوع واحد من الأنواع السابقة.

* * *



١ ـ الاقواس . ٢ ـ المنحدرات اليسارية . ٣ ـ المنحدرات اليمينية

٤ ـ المستديرات . ٥ ـ البصمات المركبة

(فوائد البصمات)

يترك المجرم عادة بصمات أصابعه في مكان الجرم، لأنَّ الغدد العرقية تنفتح أقنيتها على قمة الخطوط الحليمية في راحة اليد والأصابع، فيصبح جلد هذه النواحي رطباً بصورة دائمة، بحيث أنَّ تماس هذه المناطق بسطح أملس يترك أثراً واضحاً على السطح المذكور.

ولاظهار تلك الانطباعات يذر عليها مساحيق تختلف باختلاف طبيعة الجسم الذي وجدت البصمات عليه وباختلاف لونه.

فإذا وجدت على السطوح اللماعة والزجاجية استعمل لاظهارها مسحوق الأسبيداج الأبيض (فحمات الرصاص) وإنْ وجدت على سطح أبيض اللون ـكالورق ـ استعمل مسحوق(سلفور الأنتيموان). ومتى ظهرت البصمة تصوّر وتكبّر.

ولمعرفة صاحب البصمة المأخوذة تقارب وتقارن ببصمات أصابع الضحية ثم ببصمات المتهمين، وأخيراً تضاهى مع بصمات ذوي السوابق المحفوظة في إدارة الأدلة الجنائية. وتتم المضاهاة بفحص البصمتين في جهاز مكبر يظهر الصورتين متجاورتين.

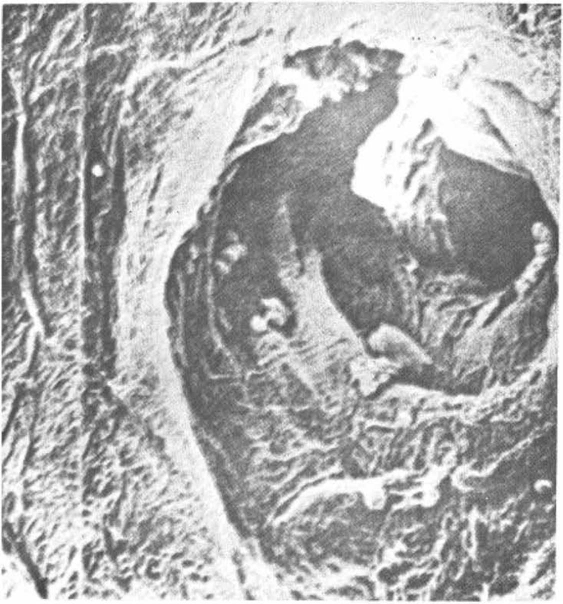
ولكي نقرر أنَّ البصمتين تعودان لشخص واحد يجب أنْ تتفقا في الشكل (أقواس، منحدرات، وفي شكل الزاوية والمركز وفي السعة). وفي وجود أي آثار لجروح أو ندبات وفي الصفات الفرعية للخطوط المكونة للبصمة، من حيث بداية هذه الخطوط وانتهائها، وانحرافها، وتفرعها، أو اندغامها في خط آخر، أو تكوّن جزر في طريق الخط.

ويكتفى عادة بوجود اثني عشر نقطة اتفاق للقول بأنَّ البصمتين متماثلتان، وإنْ كان الحصول على عدد أكبر من نقاط الاتفاق ممكناً في أكثر الأحيان [1].

---

(١) الطب الشرعي: الدكتور زياد درويش.

مسام عرقي





ان هذا ليس « مغارة » انه مسام عرقي · يعتبر المسام العرقي مكيف تحت الجلد لظروف البرد والحر ، من هذه المكيفات يوجد تحت جلد الانسان ما بين ٥ ـ ١٥ مليون غدة عرقية ، يبلغ مجموع طول انابيبها ٤ كم ، وتضخ ليتر من العرق كل ٢٤ ساعة ·

بصمة

والصورة السفلية صورة مكبرة لبصمة انسان حيث قدر امكانية تشابه بصمتين في العالم بـ حوالي ٦٤ مليار من البشر ، مع العلم ان آخر احصائيات العالم هو ٣٫٨ مليار ·

الموضوع الثالث
(الإله الغريق)

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾[١].

كانت (مصر) يحكمها (فرعون) ادعى الربوبية،فأخذ يتصرف بها وبأهلها كيفما يشاء، يسخرهم ويستعبدهم وفق مزاجه وهواه، والويل لمن عصاه، وكل من تحدثه نفسه بذلك سيكون السجن والتعذيب والقتل مصيره بلا شك.

وقد لقي بنو إسرائيل ـ بشكل خاص ـ أشد الأذى وأسوأ الأعمال على يد فرعون وجلاوزته، فكان يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم لأبسط الأسباب وأدناها.

هكذا كانت مصر، وهكذا كان فرعون، حتى بعث الله موسى (عليه السلام) وأمره أنْ يذهب إلى فرعون ويدعوه إلى الايمان بالله، وترك الادعاء الباطل بالالوهية، وأنْ يرفع الأذى والعذاب عن الناس عامة، وبني اسرائيل بشكل أخص، باعتبارهم الطبقة التي تحملت القسط الأكبر من الأذى الفرعوني.

وعلى الرغم من الآيات التي جاء بها موسى (عليه السلام) بأمر الله تعالى، فإنّ فرعون يرفض الايمان والتصديق بذلك، بل زاد من إيذاء بني إسرائيل عمّا كان عليه سابقـاً: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾. وكأنه يتحدى النبي موسى(ع) مستغلاً في ذلك سطوته وجبروته، تحركه ـ إضافة إلى ما مرّ ذكره ـ العقد النفسية الكامنة في ذاته، والكبرياء الزائف إلى ارتكاب الجرائم البشعة والقتـل الجماعي الذي جعل من حياة بني إسرائيل جحيماً ومأساة، حتى قال بنو إسرائيل لموسى: لقد أُوذينا قبل مجيئك ومن بعد ما جئتنـا.

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٢.

وهنا يطلب (موسى) من (فرعون) أنْ يسمح لبني إسرائيل بالرحيل وترك مصر، ولكن فرعون يرفض ذلك ويثور، وينزل الله تعالى عليهم الطوفان المدمّر جزاء ذلك، وعندها يطلب (فرعون) من (موسى) أنْ يدعو ربه لرفع العذاب ثمناً للموافقة، وَيُرْفع العذاب، ويرفض (فرعون) الوفاء بالوعد، ويأتي العذاب الالهي متعاقباً بصور وأشكال متعددة: كالجراد، والقمل، والضفادع.

وفرعون وهامان يرفضان الانصياع والاذعان لتلك الآيات، فيحول الله ماء النيل إلى دم (فكان القبطي يراه دماً، والاسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الاسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطي يشربه دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، ولما رفع عنهم غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل)[1].

حتى أرسل الله على ـ الفراعنة ـ عذاب الرجز، فجزعوا وأصابهم الهلع، وطلبوا من (موسى) أنْ يدعو ربه لرفع العذاب، ولما ارتفع أطلقوا سراح بني إسرائيل وأنصارهم، فاجتمعوا إلى (موسى) الذي أمرهم بالسير والخروج من مصر عبر البحر، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ويوسوس الشيطان لـ(فرعون) وحاشيته، ويخوفهم من (موسى) وأنصاره حتى يندم (فرعون) على سماحه لبني إسرائيل بالذهاب، فيجمع جيشاً كبيراً تحت قيادته، ويخرج في طلب (موسى) وقومه.

ولما اقترب (موسى) من البحر، و(فرعون) من (موسى) قال أصحاب (موسى): إنّا مدركون، فأوحى الله إلى (موسى) ﴿أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه، فكان كل فِرْق كالطود العظيم فتكوّن اثنا عشر طريقاً على عدد فرق بني إسرائيل.

ولما وصل (فرعون) وجنوده إلى البحر ادعى كذباً أنّه هو الذي أقام تلك الطرق، واقتحم أمامهم البحر بفرسه، وسار جيشه الجرار خلفه، حتى إذا توسطوا

---

(١) قصص الأنبياء: الفصل الرابع ص٢٦٩

البحر، كان أصحاب (موسى) قد خرجوا منه، وعندئذٍ أمر الله الرياح أنْ تقلب ماء البحر رأساً على عقب، فصارت الأمواج كالجبال تضرب الجيش الفرعوني وتدمره، وجعلته يغوص في قاع البحر بلا أمل من النجاة والخلاص.

وعندما يشاهد (فرعون) ذلك، يصيبه اليأس، ويرى الموت يحيط به من كل جانب يقول عندها: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

توبة كاذبة، وإيمان زائف يدّعيه كلما أصبح في خطر، أو رأى العذاب، ناسياً أو متناسياً الآيات العديدة التي جاء بها (موسى) وكذّب بها، عندما كان يتربع على عرش الأُلوهية الواهي.

ومن هذا نستخلص أنْ إيمان (فرعون) لم يكن حقيقياً نابعاً عن يقين، بل هو إيمان الكذابين والمنافقين والغادرين، إيمان العصاة والمتكبرين والطاعنين الذين لا يصلحهم إلاّ الموت.

لذا جاءه جبرائيل (عليه السلام) ودفعه إلى قاع البحر، لينهي حياة ذلك الطاغية الذي لا ينفع معه العفو، أو الارشاد، أو الآيات العديدة التي تهدي كل من له عقل يفكر به ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

ويموت (فرعون) خنقاً وغرقاً بماء البحر، ويتبع بقية أصحابه الغرقى إلى جنهم وبئس المصير.

وبغرق (فرعون) نستعرض لمحة موجزة عن الغرق من الجوانب الطبية والعدلية:

(الغرق): يعرّف بأنه شكل من الاختناق المرضي يحدث حين يتنفس الشخص، أو يتوقف تنفسه تحت سطح الماء، أو أي سائل آخر، ولا يشترط أن يغمر الماء كامل الجسم ليحصل (الغرق)، بل يكفي أن تغمر فتحتا الأنف والفم.

أنواع الغرق:

(١) انتحاري (٢) جنائي (٣) عرضي.

(سبب الـوفاة غرقاً): معظم الغرقى يموتون اختناقاً بعد أن يعجزوا من النجاة بأنفسهم، فيدخل الماء إلى المجاري التنفسية، حتىٰ يصل الى القصبات الدقيقة فيمنع الهواء من الدخول الى الحويصلات الرئوية، وتمتلىء القصبات بزبد رغوي ناتج من امتزاج الماء بالهواء والمفرزات القصبية، وبالدم الناتج من تمزق بعض الحويصلات الرئوية.

على أنَّ بعض الغرقى لا يموتون اختناقاً، بالرغم من أنهم فقدوا الحياة تحت سطح الماء، وإنما يموتون بسبب النهي القلبي المنعكس الذي يوقف التنفس والقلب، والناتج من الخوف الشديد الذي يعتري بعض الأشخاص بالرغم من كونهم يجيدون السباحة.

(مدة الوفاة غرقاً): يحدث تنفس عميق عند ملامسة جسم الغريق للماء البارد، ويتلوه وقف تنفسي إرادي قصير المدة، تزداد خلاله كمية غاز الفحم بالدم، ممّا يؤدي لحدوث شهيق عميق غير إرادي، يدخل بواسطته الماء إلى الرئتين والمعدة، ويفقد الوعي.

وتستمـر الحـركـات التنفسية بعد فقد الوعي، لتزيد كمية الماء الداخلة للرئتين، مما يؤدي إلى إختلاجات مُـعممة،ثم يتوقف التنفس، بينما يستمر القلب على العمل بضع دقائق اخرى. ويعتقد أنَّ الموت يتم عند الأنسان بمدة (٥ـ٦) دقائق، وقـد يستغـرق وقتـاً أطـول إذا تمكن الشخص الغريق من الصعود لسطح الماء، واستنشاق الهواء عدة مرات قبل أنْ يغيب في الأعماق.

العلامات الخاصة بالغرق:

١ـ وجود زبد رغوي أبيض أو مدمى قليلاً في المجاري التنفسية.

٢ـ احتواء المجاري التنفسية على الماء الحاوي على ذرات رملية أو حشائش أو نباتات مجهرية مما يوجد عادة في الماء الذي غرق فيه الشخص.

٣ـ اتساع الرئتين وزيادة وزنهما، بسبب امتلائهما بالماء.

٤ـ احتواء المعدة على كمية من الماء غير الممزوج بالطعام الذي يماثل في صفاته الماء الذي غرقت فيه الجثة.

٥ـ احتواء الأجواف القلبية على دم أسود شديد الميوعة خالٍ من الخثرات، وفاقد لخاصته الصمغية، فلا يلتصق باليدين، وتنتج هذه التغيّرات من ترقق الدم بالماء المتسرب إليه من الرئتين.

٦ـ وجود رمال أو حشائش في قبضة كل من يدي الغريق، أو عالقة تحت أظافره.

والآن، نعود إلى الاله الغريق، ونرى ما آل إليه مصيره الأسود بعد الغرق، فقد نبذه الله إلى ساحل البحر، وألقاه على الرمال جثة هامدة لكي يراه القوي والضعيف، والمؤمن والكافر، فيتعضون به وبمصيره، ويروا رأي العين نهاية ذلك الطاغية (الصغير) الذي كان يدّعي الأُلوهية والخلود.

فها هو (فرعون) جسد جامد بلا حراك تذروه الرياح، وتحرقه الشمس، وقد بدت عليه ـ بوضوح ـ علامات الخوف والرعب، فوضعت بذلك حدّاً قاطعاً لكل الادعاءات والأباطيل الفرعونية، وأصبحت الهيبة والهالة الزائفة جسداً غريقاً مرمياً على الرمال، لا يسمع ولا يجيب. فصار عبرة للخلف الباقي ليتعظ ويستفيد منها. وكيف أن إله الأمس أصبح صخرة جامدة ينظر إليها كل غادٍ ورائح؟! وأنّ (فرعون) لم يحلّق إلى السماء، ولم يكن في سفر طويل أو مهمة إلهية. وبهذا قطع الطريق على أيّ محاولة أو ادعاء أو إشاعة تنادي بخلود (فرعون) أو وجوده حيّاً.

كانت جثة (فرعون) الممدّدة على الرمال تبدو عليها علامات الغرق، والعلامات الدالة على وجودها بالماء.

فما هي تلك العلامات؟

١ـ شحوب الجثة وبرودتها، وتحبب الجلد الناجم من تقلص العضلات الناصبة للشعور.

٢ـ وجود الزرقة الجيفية بشكل غير منتظم، ويكون لونها وردياً، إذا كان الماء بارداً.

٣ـ يتعطن جلد الجثة عند الغرق، ويبدو ذلك واضحاً في راحة اليدين، وأخمص القدمين، حيث ينبتج الجلد ويتجعد ويبيض لونه وتنفصل البشرة عن الأدمة، ثم تسقط بشكل شرائح كبيرة، أو بشكل أصابع القفاز.

٤ـ تفسخ الجثة في الماء يسير أبطأ مما هو عليه في الهواء، ويؤدي في النهاية الى طفو الجثة على سطح الماء، ويتم ذلك بعد (٢ـ٣) أيام صيفاً، و(٧ـ١٠) أيام شتاءً في الأقاليم المعتدلة.

٥ـ تتفسخ الجثة بأسرع وقت فيما لو خرجت من الماء، وتركت في الهواء، حيث يبدأ التفسخ في الرأس، والقسم العلوي من الجذع، نظراً لتجمع سوائل البدن في هذا الجزء، فينتفخ الوجه، وتبرز المقلتان، وتسودان. لذلك يشبّه البعض الرأس في هذه الحالة برأس (العبد).

٦ـ تصاب الجثة التي تبقى في الماء باستحالة من نوع خاص، تتحول فيها الأنسجة الشحمية إلى مادة شمعية لينة القوام، ناعمة اللمس، بيضاء اللون، ومصفرة ذات رائحة كريهة، يتركب قسمها الأعظم من أحماض شحمية مشبعة ناجمة عن إماهة وهدرجة الشحوم العضوية الطبيعية، ويعرف هذا التحول بـ(التصبن) أو التشمع الموتي. والأنسجة المتصبنة تقاوم التفسخ فلذلك تحتفظ الجثة بشكلها الخارجي، ويمكن التعرف عليها ومعرفة صاحبها وسبب الوفاة فيها بعد إنقضاء زمن طويل عليها.

الموضوع الرابع
الانحراف الجنسي
[اللواط]

﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[١].

﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٢].

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرانَ مِنَ ٱلْعالَمِينَ.وَتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ﴾[٣].

وقال الرسول الأكرم (ص): *«إنّ أخوف ما أخاف على أُمتي فعل قوم لوط»*.

وقال الامام علي(ع): *«من أمكن من نفسه طائعاً يلعب به ألقى الله عليه شهوة النساء»*.

وقال الامام الصادق(ع): *«الوطء بالدبر هو الكفر بالله العظيم»*.

«حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج، وإنّ الله أهلك أُمةً بحرمة الدبر، ولَمْ يهلك أمةً بحرمة الفرج».

الاسلام هو دين الله وأحكامه شرع الله، وليس لأحد أنْ يشرع من عنده حكمًا واحداً! والمسلمون كلهم يعلمون هذا ويعملون به، ولكن الغرب الكافر والشرق

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٨٠ـ٨١.

(٢) سورة النمل: الآيتان ٥٤ـ٥٥.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٦٥ـ١٦٦.

الملحد يقيس الدين الاسلامي ـ الذي هو من عند الله ـ على الدين المسيحي الذي هو من رجال الكنيسة، والذي ربطته الكنيسة بها بأُصوله وفروعه وعقيدته وأحكامه، قيدتـه بها وربطته بحبالها، فاختلق رجالها النصوص وابتدعوا الأقوال التي توافق هواهم وتشبع رغباتهم، جاء في «إنجيل متى» الإصحاح ١٨ فقرة ١٨: «كل ما تربطونه في الأرض يكـون مربـوطاً في السماء، وكل ما تحللونه في الأرض يكون محللاً في السماء». فالكنيسة هي تحلّل وتحرّم ثم تنسخ متى تشاء وتريد، فتحرم ما حللته وتحلل ما حرمته.

ولما كان التحليل والتحريم من رجال الكنيسة فقد جردوا المسيح من طبيعة الناسوت والبشرية ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، وجردوه من الغفران والحرمان والجنة والنار وبيع اشبار وافتار وأذرع وأمتار في السماء والجنة وجعلوا ذلك بيد البابا وأتباعه من القساوسة والرهبان، فجردوا الله من سلطانه ووضعوا ذلك بأيديهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ونسبوا إلى رسله الزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين، وغير ذلك مما يتحاشى منه المؤمنون فكيف بأنبياء الله ورسله المكرمين؟!

والكنيسة الانجليزية التي حرمت الزواج على رجال الدين، أباحت اللواط بشرط أنْ يكون المفعول به قـادراً على أنْ يبارز الفاعل مبارزة الند للند، وأقر مجلس العموم البريطاني هذه الفاحشة النكراء وصاغها بقانون، فابتهج الشعب بذلك وأقام الحفلات وتعاطى فيها ـ علناً ـ اللواط.

كما وأنَّ بابا روما برأ اليهود من دم المسيح، وطرح النصوص التي جاءت في إنجيل متى أرضاً وضرب بها عرض الحائط، إلى غير ذلك من المخالفات.

وكان من نتائج تسلط الكنيسة واستبدادها على أتباعها ثورة الغرب الكافر والشرق الملحد عليها، وانفصال السياسة عن الدين، واستغلال الاكليروس في الغرب لمصالح الاستعمار، وباستعباد العباد وإفساد البلاد وتحكم اللقطاء بالشرعيين، كما فعلوا في فلسطين وغيرها من الأقطار والأمصار.

ولكن الثورة على الكنيسة انتقلت من الحاكمين إلى داخل الاكليروس أنفسهم، فمنذ بضع سنوات ثار جماعة منهم في هولندا على سلطة البابا، ومن مطالبهم الرئيسية السماح بالزواج لرجال الدين، وقامت ثورة مماثلة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا،وهذا يستحيل أنْ يحدث بين المسلمين، لاتفاق مذاهبهم على أنَّ التشريع لله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكافِرُونَ﴾[1].

وفي مجلة «روز اليوسف» المصرية تاريخ ٦ آب ١٩٧٣ كلمة بعنوان «لماذا عادوا إلى الله» جاء فيها: العودة إلى الله هي آخر شعارات الشباب في الغرب، وجاء ذلك من ردود الفعل للانحلال وانتشار الفساد حيث وصل عدد نوادي اللواط في لندن (١٧٦٥٠) وفي الولايات المتحدة (١٤٥٠) وفي باقي أوروبا إلى (١٦٧٣٠).

وكل هذه النوادي لفاحشة اللواط النكراء تنص قوانينهم على مشروعيتها، وفي كل يوم تصدر في تلك البلاد ـ المتحضرة مادياً واقتصادياً والمتخلفة روحياً وأخلاقياً ـ قوانين من هذا النوع، والكثير من شبابنا وشاباتنا ورجالنا ونسائنا الذين يرحلون إليهم لطلب العلم أو المعيشة والمقيمين هناك في ديارهم ينهلون من هذه الأخلاق المادية الحيوانية، التي لا هَمَّ لأهلها إلاّ بطونهم وفروجهم كالبهيمة لا هَمَّ لها إلاّ علفها.

وكذلك نشرت الصحف أنَّ ألمانيا الغربية أصدرت قانوناً يبيح تبادل الزوجات بين المتزوجين، وثانياً يبيح اللواط، وثالثاً يسمح ببيع الصور العارية، ورابعاً قوانين تبيح الوصية إلى القطط والكلاب، وخامساً حصر الميراث بالولد الأكبر، وسادساً الاتجار بالبغاء، وسابعاً المتاجرة بالشعوب، وثامناً التفرقة العنصرية، وتاسعاً الاحتكار والاستغلال وحرمة الانتاج كي ترتفع الأسعار وإنْ مات الفقراء جوعاً وسغباً، وعاشراً قمع الشعوب واجلاؤها عن أوطانها وإحلال شعوب أُخرى محلها، كما فعلوا في فلسطين والفلسطينيين، وغيرها في كثير من البلدان والأوطان.

ومن هنا انتشر الفساد وطغت المشكلات وتفاقم الاستياء، الذي عبر عنه

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

الجيل بالهيبز والمخدرات، وخطف الطائرات، واغتيال الأبرياء، ونهب الأموال وسلب الثروات، وتفشي المنكرات، وموت الضمير وذوبان الأخلاق، وطغيان الشهوات والظلم والفساد في البلاد وبين العباد، وأكل القوي الضعيف والغني الفقير واستعباد الحاكم المحكوم[١].

هذا في الغرب الرأسمالي الكافر. أما الشرق الشيوعي الملحد، فقد زاد في الطين بلات، وفي الطنبور نغمات، فقد حارب المؤمنين بالله من مسلمين ومسيحيين سراً وجهاراً ولا يزال، وتنكر لكل القيم والأديان وجحد الخالق والمخلوق، وأهلك الحرث والنسل، وأشاع الفوضى في الجنس والأخلاق والحياة، وأجاع الشبعان ولم يشبع الجائع، وقتل الحرية والأحرار، وضرب البلاد والعباد، فزاد على الغرب الثبور والويلات، وكل ما في الغرب وإنْ عظم بلاؤه يصغر عند الشرق وإلحاده، وعدم اعترافه إلاّ بالمادة والماديات، وتبنيه لدعوة الالحاد وإنكاره المثل والقيم والأديان، وكل فضائل بني الانسان.

ونحن نكتب هذا الفصل وبين أيدينا التقارير الغربية نفسها تروي لنا قصة «اللواط» وكيف أنّ قوانينهم تبيحه بصورة رسمية. ولعل البحث الذي قدمه الدكتور كنسي (KINSEY) وآخرون برهان ساطع ودليل قاطع على عمق المأساة التي وصلت إليها شعوب العالم المتحضر اسمياً، فقد قام الدكتور المذكور بإجراء البحث على (١٦٠٠٠) فرداً من المجتمع الأمريكي، وكانت النتائج كما يلي:

(٤٪) من الرجال يمارسون اللواط بشكل مطلق.

(٢٪) من النساء يمارسن السحاق بشكل مطلق.

(١٣٪) مارسوا اللواط لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

(١/٣) ثلث العدد مارس اللواط عند البلوغ[٢].

---

(١) يراجع الاسلام بنظرة عصرية: ص٤٥ و٥٥.

(٢) Harrison's principles of Internal medicene.

ذلك هو منطق الفريزة المسعورة، والغريزة لا ضمير لها ولا وفاء، ولا ثبات لحكمها ولا دوام، وذلك هو حكم ازدواج الشخصية، فإنّ المرء المستسلم لغريزته لابدّ وأنْ يتقمص في ذاته شخصيتين متباينتين:

(حيوانية) تؤثر الانطلاق، وهذه التي تبتدئ الشوط بخداع الفريسة لإخراجها إلى الميدان.

و(ايديولوجية) تقدس القيم، وهذه تجيء في نهاية الشوط، وعلى يدها يتم نحر الفريسة. ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ ٱكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ ٱلْعالَمِينَ﴾[1].

ألا ترى انصراف الشبان عن الزواج الشرعي هذا الانصراف الكبير؟ ميوعة وتحلل، وازدواج في الشخصية، وترهل في الخلق وضعف في الارادة، وخور عن احتمال العظائم من الأمور، ومسخ في معالم الرجولة.

هذه مواريث الاختلاط والانطلاق مع الشهوات والقاء الحبل على الغارب فيها، فهل يرغب الشاب منا أنْ يهبط إلى هذا الدرك، وأنْ يحتم على مستقبله بهذا الخسار؟. ودع عنك العقبى التي يتحدث عنها الدين وينذر بها الناس أجمعين، عقبى الجرأة على الله سبحانه بانتهاك حدوده وارتكاب محرماته.

ولقد رأينا بأبصارنا ما يصدق هذا القول في الغرب نفسه، في الغرب الذي ابتدع هذه البدع واختط هذه الخطط، ثم سار عليها وسار على أثره المولعون منا ومن غيرنا بالتقليد.

رأينا ما يصدق ذلك في فرنسا نموذج الغربيين في التهتك والانحلال والفساد والخلاعة، وقدوتهم في الانطلاق، حين أدركتها الحرب العالمية الثانية ولم تبق فيها الخلاعة من سمات البطولة والرجولة شيئاً يستحق التقدير، نعم رأينا هذه الدولة حين أدركتها هذه الحرب كيف طأطأت رأسها لأول لطمة، ورفعت يديها عند أول هجمة،

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٦.

كيف رفعت يديها كلتيهما لتتقي وتستسلم في آن واحد، شيمة الخاشع الضارع الذي لا يقوى دفعاً ولا يملك نفعاً؟!

نعم وهكذا تفعل الميوعة وهكذا يصنع التحلل وهمود النخوة وخمود الجذوة. طأطأت للذل والاستكانة دولة كانت تزعم أنها ثانية دول الدنيا في القوة وأولاها في التمدين، ولم تعدل من موقفها جيوش جرارة من حلفائها تخف لنصرها، وأدوات جبارة تقف في ظهرها، فهل نطمع في تجربة أكبر من هذه التجربة؟ وستكشف الليالي عن تجارب وتجارب تُذكر للعبرة وتسجّل للتأريخ.

ستكشف الأيام ذلك ولا محيد، وسيراه الراؤون، فإنَّ غاية الشيء لاتنقطع عنه، ولابدَّ من ظهورها في أعقابه متى تمهدت لها الفرصة، وصحت لها المناسبة. وليست الكارثة كارثة فرد أو أفراد، ولو كانت كارثة فرد لأمكن الاستغناء عنه، بل ولوجب أنْ يستغنى عنه كما يجب قطع العضو الموبوء عن الجسد السليم. إنّها ليست كارثة أفراد ولكنها كارثة أُمة، وكارثة الأُمة ماحقة ساحقة لا يمكن التغاضي عنها، ولا يسوغ التساهل فيها.

ومن المقرر الذي لا يرتابون في ثبوته أنَّ الافراط في الناحية الجنسية له تأثير مباشر كبير في عرقلة النشاط العقلي على الخصوص. وقد قالوا: «إنَّ العقل يحتاج إلى وجود غدد جنسية حسنة النمو، وكبت مؤقت للشهوة الجنسية حتى يستطيع أنْ يبلغ منتهى قوته» [١].

كل هذا ثابت، وقد قرره العلم ولم يبق فيه مجال لريبة ولا موضع لجدل، فكان من حق الاسلام أنْ ينظم نشاط هذه الغريزة، وأنْ يحدد من جماحها حفظاً للتوازن في الانسان، ومعادلة بين طاقاته وضروراته! وكان من حق الاسلام أنْ يتدخل في أمر الغريزة إنقاذاً للقوة العقلية من الضعف، وصوناً للنشاط العقلي من التردي والانهيار.

---

(١) انظر كتاب: الانسان ذلك المجهول] تأليف الدكتور الكسيس كاريل العالم الفرنسي المعروف. وتعريب سفيق أسعد فريد: ص١٧٤.

كان من حقـه أنْ يضـع لهذه الغريزة الجامحة نظاماً كاملاً عادلاً يقيها من الكبت ويصونها عن الانطلاق، ويحفظها عن التأرجح، ليفي للمرء بجميع ضروراته ويوازن بين جميع غرائزه، وليتجه به متوازن القوى مستقيم الطباع معتدل الأخلاق والأعمال والملكات، ليتجه به كذلك وحدة متزنة مستقيمة إلى كماله الأعلى في داره الأُولى وفي حياته الأُخرى، وَمَنْ أحق من دين الله بهذه النظرة العادلة المستوعبة وبهذا التشريع القيم الحكيم؟.

وضروري لدين الحياة أنْ يقوم بهذا الاصلاح للانسان، فيؤسس أحكامه على العـدل، ويضبط حركـاته وسكناته على التوازن، وينشيء غرائزه وجميع قواه ومشاعره على الاستقامة، فلا يؤتي ناحية من نواحيه الكثيرة أزيد مما تستحق، ولا ينقصها شيئاً مما تستوجب، ولايدعها هملاً تتخبط في أمرها كما تبتغي الأهواء.

ضروري لدين الله الذي شرعه للأبد أنْ يقوم بهذا الاصلاح الشامل، ولابُدَّ وأنْ تكون هذه ركائزه وهذه مميزاته.

هكذا يجب أنْ تكون صفة دين الله، نعم وهكذا كان، وهكذا شمل وعم، فليس الرجل أكثر اختصاصاً به من المرأة، ولا الشيخ أحق به من الشاب، ولا الفرد أولى برعايته من الأُمة. إنَّه ضرورة ماسة تقتضيها كل جهاته وكل أحواله وكل روابطه وعلائقه، فلابُدَّ منه، ولابُدَّ من شمول نظرتـه وشمول اصلاحه.

والعدل التام في جميع أنحاء الانسان وبين جميع آحاده، والموازنة الدقيقة بين ما يجب له من شيء وما يجب عليه من حق، هذا العدل المتكامل هو الغاية العظمى التي وضع الله من أجلها الدين ورسم خطوطه وشرع مناهجه:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

نعم وتلك هي التربية الحكيمة التي أرادها الله رب العالمين، وذلك هو قانون

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

الله واضع قوانين هذا الكون وراسم أنظمة هذه الحياة، وتلك هي سننه الثابتة في كل شيء مما خلق، وفي كل قانون مما جعل، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[1].

وقد يفر فارّ من الدين، وقد يتنكر متنكر لهداياته وتعاليمه، وقد يرتاب مرتاب في أمره، ومبعث هذا التنكر وهذه الريبة جهل مطبق بمعنى الدين وضآلة علم بحقائقه، وغفلة صادرة عن مصالح يبتغيها الدين له، ومفاسد كبيرة يقيه الدين إياها. نعم مبعث ذلك جهل وضآلة علم وركوب رأس وعبادة أهواء، وإلّا فماذا غير ذلك؟!. ولو أنَّ العاقل الحصيف فكر قليلاً في شؤون نفسه وشؤون مجتمعه، ولو أنه ارتفع قليلاً في تفكيره عن المادة وملابساتها، وبعد بنظرته عمّا بين يديه من شواغل وصوارف.

أقول: لو أنّه صنع كذلك ففكر ووازن وأنصف في تفكيره وموازنته لعلم حق العلم أنَّ الدين ـ والاسلام من بين الأديان على الخصوص ـ هو النظام الوحيد الذي يصلح له جميع ذلك، ولن يصلحه أبداً أي نظام سواه، وللموضوع مؤلفات أُخرى تعنى بتوضيحه وشرحه.

هذه شريعة وتلك شريعة، بينهما من الزمن قرابة أربعة عشر قرناً، ومن الجهود الانسانية ثورات وأهوال وضحايا لا يحيط بها الاحصاء.

والانحراف الجنسي هو وجود علاقة جنسية واضحة وصريحة بين شخصين من نفس الجنس، أو الجماع عن طريق الشرج، ويحصل عادةً إما برضى الطرفين، أو بالاكراه، وينطبق على المرأة والرجل.

ومن الصعوبة بمكان تحديد الأسباب الأساسية وراء شيوع ظاهرة الانحراف الجنسي وانتشارها. فقد تشاهد لدى الأشخاص الطبيعيين تماماً والمتزنين والمتحررين من أي اضطراب نفسي، بالاضافة إلى مكانتهم الأجتماعية والعائلية المرموقة، كما أنه من الممكن مشاهدتها لدى الشخصيات العصابية المضطربة، والتي

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٣.

لديها اضطرابات نفسية، كما توجد لدى المتخلفين عقلياً والنفاسيين والمصابين بأمراض عقلية عضوية.

العوامل المسببة للانحراف الجنسي:

١ـ عوامل وراثية.

٢ـ استعداد بنيوي.

٣ـ عوامل التكييف.

٤ـ عوامل متعلقة بالظواهر النفسية.

٥ـ تأثير العوامل الفيزيولوجية والهرمونية.

٦ـ ضعف الايمان أو الابتعاد الكلي عن الدين.

٧ـ الايمان بالأفكار الشاذة والهدامة والملحدة[١].

وقد أظهرت الدراسات التي أُجريت على نسبة كبيرة من المنحرفين جنسياً أنّ العوامل الأجتماعية والنفسية تلعب دوراً كبيراً في جذبهم إلى ذلك المنحدر المظلم، خصوصاً الشخصيات المضطربة التي تميل بعض الأحيان إلى التخنث، واللجوء إلى سلوك طريق الاغراء والاغواء ومطاردة الآخرين لاجراء الاتصال الجنسي معهم.

كما لوحظ أنّ بعض الأشخاص البسطاء والمعزولين اجتماعياً، والذين ليست لهم علاقات عامة أو علاقات مودة مع الآخرين، يمارسون الشذوذ أيضاً.

والأغرب مِنْ هذا كله هو أنّ بعض الأشخاص لديهم نزعات كامنة نحو الانحراف الجنسي بالرغم من كونهم أذكياء ومتزوجين ولديهم عدة أطفال.

ويشهد العالم اليوم زيادة مضطردة في الجرائم والانحرافات الجنسية يرافقها تصاعد في المشاكل الاجتماعية من الناحيتين الطبية والقانونية، وليضيف حملاً جديداً

---

(١) الطب النفسي: للدكتور حنا الخوري والدكتورة منال مختار.

على كاهل المؤسسات الطبية، والطب العدلي بالذات.

لذلك وضعت الأُسس التي يتم وفقها فحص الأشخاص المشتبه بهم، وإعطاء التقارير الطبية التي تنفي أو تثبت قيام أُولئك الأشخاص بممارسة ذلك العمل الشائن.

واللواط من الوجهة الطبية العدلية يقسم إلى قسمين:

أولاً: اللواط الحاد أو الغير متكرر

اللواط لمرة واحدة وبموافقة (المفعول به) إذا تم لا يترك أثراً طبياً، أما إذا تم بالقهر والاجبار فإنَّه يترك علامات وآثاراً عامة تدل على مقاومة (المفعول به) تشبه تماماً الآثار التي ذكرناها في حالة الاغتصاب عند النساء، وكذلك علامات موضعية ناتجة عن إيلاج القضيب في الشرج نتيجة مقاومة العضلة الشرجية الدفاعية الموجودة من أول فتحة الشرج.

وهذه العلامات تصبح واضحة ومميزة عندما يكون عدم التناسب بين قضيب المعتدي وفوهة شرج المعتدى عليه كبيراً، كما تحدث في حالات وطء الأطفال، وهذه العلامات يمكن ملاحظتها لعدة أيام بعد وقوع الجريمة منها:

١ـ وجود سحجات مدماة بشكل خطوط وبأطوال مختلفة (عدة مليمترات عادة) تقع في القسم الخلفي من فوهة الشرج وموازية للثنيات الطبيعية لفتحة الشرج. أما في حالة وقوع الاعتداء على طفل صغير ـ حيث يتم الايلاج بعنف ـ تحدث تمزقات مختلفة العمق في العضلة الشرجية، تأخذ على الأكثر الشكل المثلثي الذي قاعدته نحو الأسفل.

٢ـ انخفاض المنطقة الشرجية لتصبح بشكل القمع بسبب التقلص الشديد للعضلة الرافعة للشرج، ويقع رأس القمع في أعلى الشرج وحوافه تتشكل من الأليتين ويتضح ذلك للطبيب العدلي بسبب الألم الناتج عند إجراء عملية الفحص.

٣ـ آلام شديدة من الناحية الشرجية تظهر بوضوح أثناء المشي أو التغوط

أو الملامسة الشرجية.

٤ـ وجود احمرار وتكدم في منطقة الشرج.

٥ـ ضعف وشلل العضلة الشرجية مما ينتج عنه بقاء فوهة الشرج مفتوحة مع عدم قدرة الملاط به من السيطرة على عملية التغوط.

٦ـ وجود بقع منوية حول فتحة الشرج أو في المستقيم.

٧ـ يسبب اللواط أحياناً انتقال الأمراض الزهرية المعدية من اللائط إلى الملاط به.

ثانياً: اللواط المزمن أو المتكرر

وهـذا النـوع يحصل نتيجة تكرر العمل الشاذ لمدة طويلة، مما ينتج عنه علامات خاصة ومميزة تدل على أنَّ اللواط قد مارسه الشخص لفترة غير قصيرة من الزمن وبصورة متكررة، ويمكن ملاحظة ذلك أثناء الاستجواب، وخلال عملية إجراء الفحص حيث نرى أنَّ الشخص يتقبل إجراء الفحص عليه بيسر وسهولة، ويصعد إلى سرير الفحص من دون خجل أو حياء،وينام بطريقة تدل على أنَّه تعود عليها لمدة طويلة، وعنـد إجـراء الفحص يرخي عضلاته الشرجية للطبيب الفاحص ليضيف برهاناً آخر على كونه منحرف جنسياً.

أما العلامات الطبية التي تدل على هذا النوع من الانحراف فهي:ـ

١ـ ارتخاء عضلة الشرج بحيث أن فوهة الشرج تفتح لمجرد جذبها بأقل قوة ويبرز من خلالها غشاء المستقيم المخاطي.

٢ـ سلس الغائط نتيجة لارتخاء العضلة الشرجية، وهذا الارتخاء يعتبر من العلامات المهمة والمميزة للواط المزمن.

٣ـ عدم تقلص العضلة الشـرجية عنـد الـوخـز أو الضغط على الناحية المجاورة لها.

٤ـ انعدام واضمحلال الثنايا الجلدية الموجودة حول فوهة الشرج، وتحول الجلد الموجود حولها إلى طبقة ناعمة الملمس وسميكه.

٥ـ وجود التقرحات والشقوق والأورام في المنطقة الشرجية وحولها.

٦ـ وجود بعض الأمراض والالتهابات حول فتحة الشرج، كما في حالات الأصابة بمرض السفلس مثلاً.

الأمراض الجسمية التي يسببها اللواط:

١ـ سلس الغائط وعدم السيطرة على عملية التغوط بصورة طبيعية.

٢ـ التهاب المستقيم والقولون الحاد والمزمن.

٣ـ الاصابة بمرض السيلان.

٤ـ الاصابة بمرض السفلس.

٥ـ الاصابة بمرض الأيدز.

٦ـ الاصابة بالأمراض الفطرية.

٧ـ الاصابة بالتشققات الشرجية والبواسير.

٨ـ الاصابة بالحمى الراشحة.

٩ـ الاصابة بالدويبات الشعرية.

١٠ـ الاصابة بالقرحة الرخوة.

١١ـ الاصابة بالورم الحبيبي الليمفاوي المغبني الزهري.

١٢ـ الاصابة بالمرض الحبيبي الأربي.

١٣ـ الاصابة بالبرود الجنسي والعنة.

١٤ـ الاصابة بالديدان المعوية المختلفة.

١٥ـ الاصابة بطفيلي الجيارديا.

١٦ـ الاصابة بالتهاب الكبد الحاد والمزمن.

١٧ـ الاصابة بالأمراض الجلدية المختلفة.

١٨ـ الاصابة بالأمراض العضوية الأُخرى، نتيجة الحياة الشاذة والأجواء غير الطبيعية التي يعيش فيها الشخص المنحرف جنسياً، كالتهاب المعدة الحاد

والمزمن، أو الإصابة بمرض السل أو الربو القصبي كما أنّ الاصابة بأمراض: السكر وضغط الدم والسرطان مرتفعة في تلك الشريحة الشاذة.

الأمراض النفسية التي يسببها اللواط:

١ـ التخنث وفقدان الرجولة.

٢ـ الميل نحو تقليد النساء.

٣ـ ضعف الشخصية.

٤ـ الاصابة بالعقد النفسية: كالخوف والشك وغيرها.

٥ـ الأنعزال عن المجتمع وعدم المشاركة في الاحتفالات أو الاجتماعات العامة.

٦ـ الانصراف عن الحياة العائلية وعدم الاهتمام بالزوجة والأولاد.

٧ـ إنهيار الوحدة العائلية وتفككها، نظراً لانشغال رب الأُسرة بممارسة اللواط، مما يؤدي إلى قيام أفراد الأُسرة بتصرفات جنسية وإجتماعية شاذة وغير مقبولة.

٨ـ الميل نحو ارتكاب الجرائم والسرقات ودخول السجون.

٩ـ الادمان على المخدرات والمسكرات.

١٠ـ ممارسة العادة السرية.

١١ـ الانصراف عن الدراسة والتتبع العلمي.

١٢ـ هبوط مستوى العمل والانتاج لدى المنحرفين.

١٣ـ الاستعداد والقبول بالخيانة والتجسس.

١٤ـ اعتناق المبادىء المنحرفة والأفكار الشاذة كالهيبية وغيرها.

١٥ـ ترك القيم والاخلاق الاجتماعية، والانصراف عن العبادات مما ينجم عنه ضعف في الايمان.

١٦ـ كثرة حالات الانتحار بين المنحرفين.

* * *

* المصادر *

المصادر العربية:

١ـ الآداب والسنن، لآية الله الشيرازي (بتصرف).

٢ـ إحياء الميت، للسيوطي.

٣ـ أربعين الأربعين، للنبهاني.

٤ـ إرشاد الساري.

٥ـ اسس الصحة والحياة، للدكتور عبدالرزاق الشهرستاني.

٦ـ اسس الصحة النفسية، للدكتور عبدالعزيز القوصي.

٧ـ الإسلام بنظرة عصرية.

٨ـ الإسلام يتحدىٰ، لوحيدالدين خان.

٩ـ الانسان ذلك المجهول، للدكتور الكسيس كاريل.

١٠ـ البحار.

١١ـ تقريب القرآن الى الاذهان (تفسير).

١٢ـ التكامل في الإسلام، للدكتور أحمد أمين.

١٣ـ توحيد المفضل.

١٤ـ حوار بين الإلهيين والماديين.

١٥ـ دع القلق وابدأ الحياة، لدايل.

١٦ـ الدين والاسلام، لكاشف الغطاء.

١٧ـ رسالة المحكم والمتشابه.

١٨ـ ريحان المجالس وتحفة المؤانس، للأُستاذ طالب الخرسان.

١٩ـ سفينة البحار، للشيخ عباس القمي.

٢٠ـ سنن الترمذي.

٢١ـ سنن النسائي.

٢٢ـ صحيفة آفتون بلادت السويسرية ٩ سبتمبر ١٩٨١م.
٢٣ـ صحيفة اكسبرنسن السويسرية.
٢٤ـ صحيفة الاهرام القاهرية.
٢٥ـ صحيفة النهار البيروتية ٢٧ شباط ١٩٧٢.
٢٦ـ الصواعق المحرقة لابن حجر.
٢٧ـ طب الإمام الصادق عليه السلام، للأستاذ محمد الخليلي.
٢٨ـ الطب العدلي أو الشرعي، للدكتور زياد درويش.
٢٩ـ الطب محراب الإيمان، للدكتور خالص جلبي.
٣٠ـ الطب النفسي، للدكتور حنا الخوري والدكتورة منال مختار.
٣١ـ الطفل بين الوراثة والتربية، للشيخ محمد تقي فلسفي.
٣٢ـ العسل فيه شفاء للناس، للدكتور نزار الدقر.
٣٣ـ قصص الأنبياء، للعلامة نعمة الله الجزائري.
٣٤ـ قضاء أمير المؤمنين عليه السلام، للشيخ محمد تقي التستري.
٣٥ـ كتاب الله محبة.
٣٦ـ كنز العمال، للمتقي الهندي.
٣٧ـ مجلة الصحوة الإسلامية العدد الثاني.
٣٨ـ مجلة المجلة العدد ـ ٨٣.
٣٩ـ مجلة نور الإسلام.
٤٠ـ مجمع البيان للطبري.
٤١ـ المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء.
٤٢ـ المرأة بين المادية والإسلام، للأستاذ طالب الخرسان.
٤٣ـ مسند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.
٤٤ـ مع الطب في القرآن الكريم، للدكتور عبدالحميد ذياب والدكتور أحمد قرقوز.
٤٥ـ مكارم الاخلاق للطبرسي.

٤٦ـ موطأ مالك.

٤٧ـ نهج البلاغة.

٤٨ـ وسائل الشيعة.

1- CURRENT OBSTETRIC AND GYNECOLOGIC DIAGNOIS AND TREATMENT.
2- CURRENT SURGICAL DIAGNOSIS AND TREATMENT.
3- HAND BOOK OF SURGERY.
4- DAVIDSON'S PRINCIPLES AND. PRACTICE OF MEDICINE.
5- CLINICAL PHARMACOLOGY.
6- CURRENT MEDICAL DIAGNOSIS AND TREATMENT.
7- INTRODUCTION TO HUMEN EMBRYOLOGY.
8- DIENEUE ILLUSTRIERTE.

فهرس الموضوعات

* * *